



C M

فستان
الجليلية
وكتب اخرى

كنايت

مجلة شهرية للثقافة العالية
صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد



أطلب مع هذا العدد
هدية منفصلة في ٣٢ صفحة

مجلة الصفار
للأولاد والبنات

الكتاب رقم ١٠٣

التحرير : ٢٣ شارع عرابى (توفيق سابقا) ، شقة
١١١ ، القاهرة - تليفون ٤٦٤٧٥
الناشر : دار الشعب - ٩٢ شارع قصر العينى ،
القاهرة - تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

لوحة الغلاف والرسوم الداخلية
بريشة الفنان : « جمال قطب »

هل تنقص مجموعتك أعداد سابقة من « كتابي » أو مطبوعاته ؟
قد تجدها بإدارة التحرير : ٢٣ شارع عرابي « توفيق »
سابقا ، بالقرب من ميدان التوفيقية ، شقة ١١١ ،
بالقاهرة - تليفون ٤٦٤٧٥

سقوط فرنسا!

أحدث كتاب للصحفي العالمي المعاصر

وليم شيرر



THE FALL OF FRANCE (By: WILLIAM SHIRER)

تلخيص : حلمي مراد

الملحمة التاريخية الثانية ..

بعد ملحمة ((نهوض وانهيال الرايخ الثالث))

● مؤلف هذا الكتاب ((وليم شير)) ، من أشهر كتاب التاريخ السياسي المعاصرين .. فعندما أصدر كتابه السابق عن سقوط ألمانيا الهتلرية (في نحو ألف وأربعمائة صفحة) ، أحدث الكتاب ضجة كبرى في العالم بأسره ، لما احتواه من دراسة مدعمة بالاسانيد والمستندات ، لأدق تفصيلات الاثنى عشر عاما التي حكم فيها هتلر ألمانيا ، وأوشك أن يحكم العالم كله ! .. وقد استغرق منه تأليف ذلك الكتاب خمسة أعوام كاملة ، أطلع خلالها على جميع الوثائق الألمانية الرسمية التي وقعت في يد القوات الأمريكية لدى دخولها برلين في عام ١٩٤٥ . وقد عمل ((وليم شير)) كمراسل للصحف الأمريكية في كل من باريس ، ولندن ، وبرلين ، وفيينا ، وزوما .. كما عمل مراسلا لإذاعة كولبيا خلال الأعوام من ١٩٢٦ إلى ١٩٤١ ، وكان من أواخر من غادروا برلين بعد أن أعلن هتلر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية ، وأصدر عقب ذلك كتابه الأول المشهور « يوميات برلين » ..

وهو في هذا الكتاب الجديد - الذي لا يقل أهمية عن سابقه - يزيع الستار ، لأول مرة ، عن الأسرار الخفية التي قادت فرنسا إلى كارثة الهزيمة الساحقة ، على يد جيوش هتلر ، في يونيو ١٩٤٠ :

قصة .. كالأساطير !

● لم يشهد القرن العشرون - برغم ما تنافر في طريقه من خطام امبراطوريات جبارة - مثل ذلك الانهيال المباهت ، السريع ، الذي حاق بفرنسا في مايو ويونيو ويوليو من عام ١٩٤٠ . ففي خلال أسابيع قلائل ، تردت في درك الهزيمة الساحقة تلك الدولة التي تعد من أعرق الدول الديموقراطية البرلمانية ، والتي كانت من أهم الدول الأوروبية الكبرى وأكثرها

ملنية ، والتي عرف عنها أنها كانت تملك جيشا من أحسن جيوش العالم !

.. وعلى أيدي مارشال في الرابعة والثمانين من عمره - كان من الأبطال الأسطوريين في الحرب العالمية الأولى - يعاونه قادة انهزاميون ، وساسة متخاذلون ، تمت عملية إزالة أنقاض « الجمهورية الثالثة » في فرنسا ، وإقامة نظام ديكتاتوري فاشي في محالها .. وقد ذهل المنهزمون والمنتصرون - على السواء - أمام ما ألحقته ألمانيا الهتلرية بفرنسا من انهيار سريع !

فما هي مواطن الضعف الشنيعة ، التي أدت بشعب موهوب - كالشعب الفرنسي - إلى هذا التردى ، وإلى تلك الحال الداعية للرثاء ؟

لعل من العوامل التي ساعدت على تفسير الانتصار النازي ، تلك الفترة التي سبقت سقوط فرنسا بثلاثة أشهر .. ثلاثة أشهر من الزعامة المضطربة المرتبكة ، في الدولة الفرنسية !

عشيقة رئيس الوزراء تحكم فرنسا ، أثناء مرضه !

● في مساء ٢٧ أبريل ١٩٤٠ ، أصيب رئيس الوزراء « بول رينو » بنزلة برد شديدة ، دعت الطبيب إلى أن يأمره بملازمة الفراش أسبوعا ، فإذا مرضه يتيح للكونتة « هيلين دي بورت » - العشيقة التي كانت تسيطر على حياته - فرصة لتتولى الإشراف على شؤون الدولة مؤقتا !

ولقد حاول « بير لازاريف » - رئيس تحرير صحيفة « بارى سوار » - أن يتصل تليفونيا برئيس الوزراء ، في نهاية ذلك الأسبوع ، فردت عليه الكونتة دي بورت ، قائلة : « اننا جد مشغولين يا عزيزي ، ولكن .. تعال ، على أية حال » . ويمضي « لازاريف » في رواية ما حدث ، قائلا : « عندما

وصلت الى دار رئيس الوزراء ، وجدت ((هيلين دي بورت))
جالسة الى مكتب بول رينو ، يحيط بها القسادة ، وكبار
المسؤولين والبرلمانيين والموظفين . . . كانت ترأس اجتماعاً ،
وكانت تتولى معظم الحديث ، وتتكلم بلهجة سريعة ، حاسمة ،
مشيرة بآراء ، ومصدرة أوامر ! . . . وكأنت - بين حين وآخر -
تفتح باباً ، فاسمعهما تقول : ((كيف حالك يا بول ؟ . . . الزم
الراحة ، فأنت بحاجة الى الاستجمام ، ونحن ماضون في
تصريف الأمور)) ! . . . وعندما طلبت رؤية رئيس الوزراء ،
رفضت قائلة انه مريض ، وانها تبذل قصارى وسعها لتملا
مكانه !

ورأيت بنفسى عواقب نواحي ضعف الحكومة والجيش
والشعب ، عندما دخلت باريس - وهي عاصمة مغلوبة - في
١٧ يونيو ١٩٤٠ ، فكتبت في مفكرتى اذ ذاك : « يساورنى
شعور بأن ما نراه هنا ، هو تحطم المجتمع الفرنسى . . انهيار
الجيش ، والحكومة ، والروح المعنوية لدى الشعب ! »
والتاريخ يحدثنا عن أمم انهارت - في بعض العصور -
فلم يكن انهيارها نتيجة عيوب فيها ، وانما نتيجة ما كان
للمهاجمين من قوة هائلة . فهل ترى كان انهيار فرنسا من
أمثلة ذلك ؟ . . لقد ظلت أعواماً - وأنا في برلين - أراقب
الارتفاع السريع ، الكبير ، فى القوة الحربية لألمانيا النازية ،
دون أن تبذل الدول الديموقراطية الغربية جهوداً تذكر
لمجاراتها . ولقد تبعت كذلك - ومن طريق مباشر -
ديبلوماسية هتلر المشؤومة ، التى كانت قد اتسمت بنجاح
مذهل ، فاستطاعت أن تفرر بالغرب فى سهولة ، وأن تمهد
الطريق لغزوات وفتوح حربية سريعة التلاحق ! . . وبرغم هذا
كله ، ظل انهيار فرنسا غير واضح الأسباب تماماً ، حتى أن
القادة الألمان - الذين كنت أتحدث اليهم فى برلين - لم يكونوا
يتوقعونه قبل حدوثه !

دولة في حالة انهيار تام

● كنت قد وصلت الى باريس حوالى الظهر من ذلك اليوم - ١٧ يونيو ١٩٤٠ - في أعقاب تقدم الجيش الألماني السريع ، الذى كنت أرافقه كمراسل صحفى أمريكى محايد ، (اذ لم تكن الولايات المتحدة قد اقحمت في الحرب بعد) . وكان اليوم من أيام يونيو الجميلة ، مشرق الشمس ، صافى السماء ، ومع ذلك فلم تكن العين تقع على مخلوق في الطرقات ، اللهم الا جماعات من الجنود الألمان ، يخطرون - في أوقات متفاوتة - في أزيائهم الرمادية القاتمة ، وهم يحملون مدهولين في معالم المدينة العظيمة ، كما يفعل السائحون . أما المتاجر فكانت مغلقة ، وقد أحكمت الأستار الحديدية على نوافذها . كان أغلب أهل باريس قد هربوا منها ، ولم يبق فيها في ١٤ يونيو - وهو اليوم الذى دخل فيه الألمان المدينة - سوى ٧٠٠ ألف ، من خمسة ملايين (حسب تقديرات الشرطة) . . . وعلى مئات الأميال - على الطرقات الممتدة جنوب باريس - كان يهيم أكثر من ثمانية ملايين من اللاجئين الذين استبد بهم النحر . وكانت الجهود التى راح المدنيون يبذلونها ، ليمنعوا وحدات جيشهم - التى ظلت تحاول القتال - من المضي في مقاومة قد تاتي على بيوتهم ومتاجرهم . . . كانت جهود أولئك المدنيين أشد المشططات التى فتت في روح هذه الوحدات . . . حتى ان أهالى إحدى القرى ، القائمة على نهر (اينر) ، أخدموا فتائل المتفجرات التى أشعلها مهندسو جيشهم لمرقلة تقدم الألمان عن طريق نسف الجسر الموجود على النهر !

وكانت وسائل الاتصال قليلة جدا بين أعضاء الوزارة الفرنسية في (تور) - حيث توقفت الحكومة لفترة - في طريقها الى (بوردو) - كما أن وسائل اتصالهم بالعالم الخارجى كانت

معدومة تماما . وعندما ذهب « بول بودوان » - وكيل وزارة الخارجية - لمقابلة رئيس الجمهورية « البير لوبران » ، في (شاتو دي كانجيه) ، وجد رئيس الدولة « معزولا تماما »



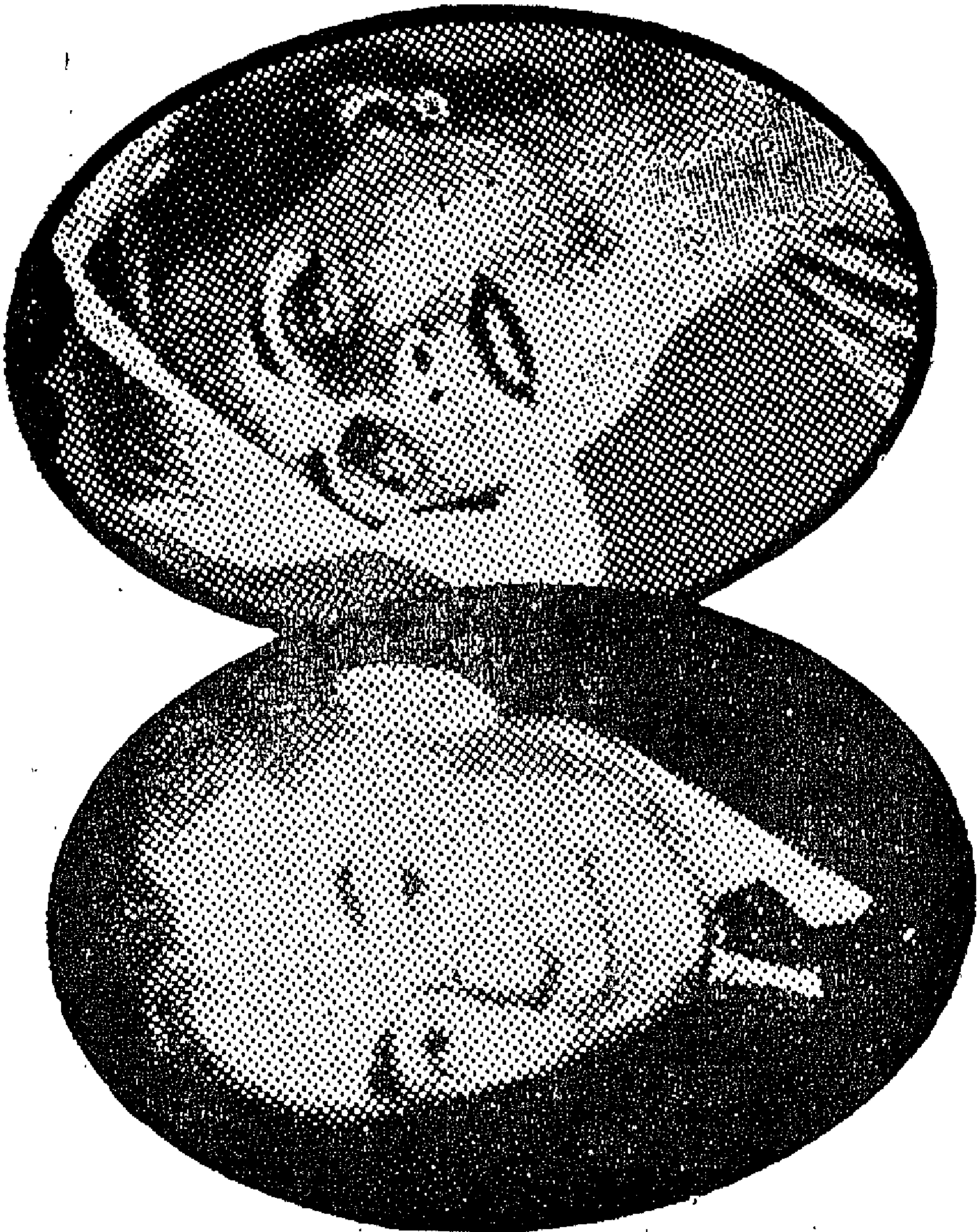
أدوار دالادييه رئيس وزارة فرنسا في بداية الحرب العالمية ، وعشيقته
التي كتبت « جان دي كروستول »

أحدث كتاب للصحفي العالمي « وليم شير » ١١

دون أية أنباء من رئيس الوزراء ، ودون أية أنباء من الدوائر العليا . . فكان مهموما ، حائرا ، لا يعرف شيئا البتة « !

في طريق البحث عن مسئول !

● من الذي كان مسئولا عن هذا الانهيار غير المنتظم ؟



بول ديتو رئيس وزارة فرنسا في أثناء الهجوم الألماني عليها عام ١٩٤٠ ..
والي اليمين عشيقته الكونتيسة « هيلين دي بورت »

الذى أصاب الجيش والحكومة ؟ أهم القادة الذين أساءوا أعداد الجيش وقيادته ؟ .. أم هم السياسة الذين تقاعدوا عن أمداد الجيش بالأسلحة اللازمة ؟ .. أم كانت المسؤولية الرئيسية واقعة على الشعب الفرنسى بالذات ، إذ لان وتراخى . كما كان البعض قد بدأوا يقولون - تحت نظام جمهورى لا يعترف بزعيم ؟ .. ما مدى مسؤولية اليمين المتطرف ، بما كان يبدية من كراهية للجمهورية وعطف على الديكتاتورية الفاشية ؟ .. وما مدى مسؤولية اليسار المتطرف ، الذى كان الشيوعيون من أغناصره ينساقون لما تمليه موسكو ، حتى حين كانت موسكو تعارض المصالح الحيوية لفرنسا ؟ .. هل كان سقوط فرنسا مصداقا لما كان ((بير لافال)) يقول ، من انه لا سبيل للديموقراطيات - فى عصرنا - للصمود أمام الديكتاتوريات ! .. أم أن ثمن النصر فى سنة ١٩١٨ - وقد بلغ حوالى مليون ونصف من القتلى الفرنسيين فى الميدان - كان فادحا ، فلم تتمكن فرنسا من أن تفيق الى درجة كافية لأن تقف فى وجه الألمان على قدم المساواة ، فى الفترة التى امتدت خلال الحربين ؟

أثناء البحث عن اجابات لهذه الأسئلة ، وجدتني أسترجع ذكرى يوم آخر - من أيام الصيف - قبل ذلك بأحد عشر شهرا ، عندما كانت قوة فرنسا تبدو جليلة ، حتى لأكثر الناس ارتياجا . ففي ١٤ يوليو ١٩٣٩ ، قام الجيش والطيران الفرنسيان باستعراضهما التقليدى ، فى ((الشانزليزيه) . وكان القادة قد وضعوا الخططة بحيث يكون العرض فى أقصى درجات الروعة ، ليثبتوا الثقة فى نفوس قسم من المواطنين كانوا فى شك من مقدرة فرنسا على الوقوف فى وجه المانيا النازية . وقد اشتركت فى العرض فصيلة بريطانية ، صفق لها الجمهور طويلا ، إذ لم يفته المعنى المقصود ، وهو أن قوة بريطانيا كانت منضمة الى قوة الامبراطورية الفرنسية ..

وشعرت الجموع التي اجتشدت لمشاهدة العرض الجوي - الذي اشترك فيه سرب بريطاني كذلك - ان الحليفتين تمتلكان قوة كافية لمنافسة ألمانيا في الجو أيضا . وأخذت أحدث الدبابات الفرنسية الثقيلة - التي اشتهرت بأنها أحسن ما كان في العالم يومئذ من الدبابات - تزلزل الطرقات التي تمر بها ، وخلفها فصائل من المدفعية الرهيبية ، الطويلة المدى .

.. ومع ذلك ، ظل الكثيرون ضد المقاومة !

● وهكذا أوحى الجيش - على حد تعبير « جورج بونيه » ، وزير الخارجية - بأنه : « منظم ، منسق ، ذو قوة لا سبيل لمقاومتها ، فكيف كان لامرء أن يخشى ألمانيا ؟ » .. وكان « بونيه » من فريق المرتابين ! .. ومع آخر دقائق الطبول ، صاح « جول جانيني » - رئيس مجلس الشيوخ يومئذ - « كان بديعا أن تمكن السفير الألماني وملحقه العسكري من رؤية قوة جيشنا عن كثب . يجب أن تفهم ألمانيا انه لم يعد لها أن تأمل في تنازلات من ناحيتنا ، فلن يؤيدها الرأي العام الفرنسي ولديه مثل هذا الجيش ! »

وأشرق بالثقة وجه « اندريه تارديو » ، رئيس الوزراء الأسبق ، الذي يثس من الجمهورية منذ سنة ١٩٣٤ ، وقال : « ان العدو - كما تبين تصرفاته في السنوات الأربع الأخيرة - لا يريد حربا ، ولا يقوى على شنّها . انه يفتقر الى المواد الأولية ، والاحتياطي الذهبي ، والخزائنة ، والنقد السائل . انه يفتقر الى استقرار داخلي .. انه يهوش .. واذا صمدنا ، فان المحور سيتراجع ! »

ومع ذلك ، ظل هناك آخرون لم يؤثوا أية ثقة في مقبرة فرنسا على مقاومة عدوها القديم ، وكان ثمة كثيرون لا يريدون المقاومة ، اما عن خوف ، واما عن تأييد للمعتقدات الفاشية . ومن هؤلاء الكونت « الفونس دي شاتوبريان » ، الذي زار

ألمانيا في سنة ١٩٣٧ ، فسرعان ما آمن بالنازية ، وكتب يقول :
« ان هتلر بالغ الطيبة .. اذا حيا الجموع بيد ، فانه يبسط
الأخرى الى الله مخلصا .. ان هتلر يحاول رفع صرح
للمسيحية في ألمانيا .. والاشتراكيون القوميون هم بداية
العمل الآلهي ! »

ومن العجيب ان كتابا لشاتوبريان — يمجّد فيه هتلر
— لقي رواجا واسعا في الدوائر العسكرية الفرنسية اذ ذاك !

زعيمان تحركهما مطامع عشيقتين !

● في تلك الفترة — التي كانت فرنسا تواجه فيها أعظم خطر
من الخارج — كان « ادوار دالاديه » و « بول رينو » يتنافسان
على الحكم .. وخلفهما امرأتان طموحتان — من ذوات الألقاب
— ساهمتا في ارتباك سياسة فرنسا ، وهما : الكونتيسة « هيلين
دي بورت » عشيقة رينو ، والمركيزة « جان دي كروسول »
عشيقة دالاديه . وقد انحسرتا من اسرتين بورجوازيّتين
غنيتين ، وتزوجت كل منهما أحد الارستقراطيين ، واتخذتا
من اللقب وأمال سندا في السعى الى النفوذ السياسي ، عن
طريق الارتباط بسياسي تجمع الاحتمالات على أنه في طريقه
الى القمة !

وكانت زوجة « دالاديه » قد توفيت — بعد عشر سنوات
من زواجهما — والتقى بالمركيزة التي سرعان ما قادتة الى عالم
باهر الأضواء ، فبدأ يشق طريقه في أرقى محافل باريس ..
وكانت المركيزة — في نظر الصحفي الفرنسي برتيناكس —
« موهوبة ، يكسبها أنفها المقوس جاذبية خاصة » .. أما
الأديب الكبير « اندريه مورو » فكان يراها « جميلة ، ذات
بهاء .. شقراء ، ينضج مظهرها بالشباب .. ذات ميل للنفوذ
والسلطان ، وشغف غير موفق بالنظريات الاقتصادية

فتاة الثلج

للمروائي الياباني الفائزة بجائزة نوبل
ياسوناري كاواباتا



SNOW COUNTRY
(BY : YASUNARI KAWABATA)

تلخيص : مختار الجوهري

مؤلف القصة

■ يعد « ياسونارى كاواباتا » - مؤلف هذه القصة - من أشهر كتاب القصة المعاصرين في اليابان ، (بل في العالم كله ، بعد أن حصل على جائزة نوبل في الآداب منذ عامين) . وقد ولد في مدينة (اوزاكا) ، في يونية عام ١٨٩٩ . . . واثناء دراسته الجامعية أظهر موهبة في الكتابة ، فاختير محررا في هيئة تحرير مجلة الجامعة ، وكان اسم المجلة « شنشيشيو » . وفي عام ١٩٢٣ انضم « كاواباتا » الى تحرير صحيفة « بانجي شونجو » ، ثم تخرج في العام التالي من الجامعة ، بعد حصوله على الليسانس في الآدين اليابانى والانجليزى . . . وفى عام ١٩٢٥ وطد اسمه كروائى ، بروايته الأولى « راقصات اقليم ايزو » . . . ثم توالى انتاجه : فنشر في عام ١٩٢٩ رواية « ازاكوزا » ، سلسلة في احدى الصحف ، وبعقبقتها مجموعة قصص قصيرة بعنوان « الطيور والحيوانات » . . . و « عين العصر المنهار » - في عام ١٩٣٣ - وفي عام ١٩٣٥ بدأ في كتابة روايته الحالية « اقليم الثلوج » - التى تقدمها لك في الصفحات التالية تحت عنوان (فتاة الجيشا) - وقد آتمها في عام ١٩٣٧ ، فلما نشرت منح من اجلها جائزة « بونجي كونوا » . . . وفى عام ١٩٤٧ نشر « كاواباتا » رواية « سمبا سورو » - ومعناها « الف طائر كركى » - ثم صدرت له رواية « صوت الجبل » (١٩٤٩) ، و « الزواج مرة اخرى » (١٩٥٣) و « شعب طوكيو » ، و « البحيرة » (١٩٥٥) . . . ثم « قصيدة فنائية » ، و « مرآة صباح فضى » ، ثم « النار المقدسة » ، و « استعراض في الاقاليم » . . . وكان « كاواباتا » قد انتخب في عام ١٩٥٤ عضوا في اكاديمية الفن اليابانى . . . كما اختير رئيسا لنادى القلم اليابانى لعدة سنوات . وفى مايو ١٩٥٩ حصل على ميدالية « جوته » ، تقديرا لادبه . . . والان تعال نقرأ معا أشهر قصصه الطويلة : « اقليم الثلوج » ، او « فتاة الجيشا » !

هذه القصة . .

■ يعتبر الساحل الغربى لجزيرة « هسو » - كبرى الجزر اليابانية - من أغزر مناطق العالم ثلوجا ، برغم وقوعه على نفس خطوط العرض المحصورة بين (برشلونة) وجنوب المغرب . . وذلك لأنه يتعرض - فى الشتاء - للرياح الجليدية التى تهب من سيبيريا نحو الجنوب .

ومن المفارقات الطبيعية العجيبة ، ان عيون المياه الساخنة تنبثق فى جميع أرجاء الاقليم . ولينابيع الساخنة مغزى خاص لدى الرجل اليابانى ، فهو يسمي اليها وحيدا ، دون أن يصطحب أسرته - كما يفعل رواد مراكز المياه المعدنية ، فى بقية العالم - ليقضى فترة ممتعة ، فى صحبة بنات « الجيشا » .

ولبنات « الجيشا » فى مراكز الينابيع الساخنة وضع خاص ، يختلف عن زميلاتهن فى المدن . فبينما تتاح القرص لهؤلاء لكى يصيحن موسيقيات أو راقصات شهيرات ، نجد ان بنات « الجيشا » فى تلك المراكز يوضعن فى مرتبة أدنى ، فهن مضطرات الى ان يرفهن عن رواد الجبال والينابيع الساخنة - فى العطلات الاسبوعية - بكافة ألوان الترفيه ، حتى تلك المتعلقة بارضاء رغباتهم الجنسية . . ومن ثم ، فمن المألوف ان تسمى الفتاة منهن الى افراد احد الرواد بالزواج منها ، أو حملة على ان ينشئ لها مطعما فى تلك المراكز السياحية ، حتى تتخلص من رتبة الوضع الذى ألقته فيه المقادير .

وحول هذه الطبقة من فتيات « الجيشا » ، كتب « كاواباتا » هذه القصة ، التى رسم فيها الحياة فى مراكز الينابيع الحارة فى جبال اليابان . كما عرض صورة دقيقة رائعة لهؤلاء الفتيات ، بأدق ما يختلج فى صدورهن من مشاعر وعواطف . . ومنزج كل ذلك فى إطار مأساة إنسانية رائعة ، حتى ليخال القارىء ان أحداث القصة تحمله - على أجنحة الخيال - الى جبال جزيرة « هسو » ، والجو العاطفى الشاعرى الذى يسيطر عليها . .

● غادر القطار النفق الطويل ، وانطلق يجرى على أرض مكسوة بالثلوج ، حتى انتهى الى محطة صغيرة في الجبل . . وأسرعت فتاة كانت تجلس في الجانب الآخر من المركبة - فعبرت المركبة إلى الجانب الذي يجلس فيه المسافر الثرى « شيمامورا » ، ففتحت النافذة القائمة بجوار مقعده ، وإذا الريح الباردة تندفع منها . . ولكن الفتاة أطلت ، ونادت ناظر المحطة ، فوافاهم متباطئا ، وهو يحمل « فانوسا » مضيئا ، وقد أحاط رأسه ووجهه بدثار ثقيل ، مما أوحى الى « شيمامورا » بقسوة البرد خارج القطار . . وصاحت الفتاة : « اننى يوكو . . كيف حالك ؟ » . . فأجاب ناظر المحطة : « بخير . . اذن فقد عدت من العاصمة ؟ »

- كتب لي أخى عن عنايتك به ، فشكرا .
- ليس هذا المكان مناسباً لفتى مثله في مستقبل العمر ، ولكنه يؤدى واجبه خير اداء . . والعمل كثير بسبب تراكم الثلوج

- أرجو أن تنصحه بارتداء الثياب الثقيلة !
وتخول الرجل فأشار بمصباحه لسائق القطار كي يواصل سيره ، فصاحت الفتاة في صوت عذب ، مس قلب « شيمامورا » ما سبى فيه من أسمى : « قل له أن يحضر لزيارتى ! » . . ثم أغلقت « يوكو » النافذة ، وعادت الى مكانها ، وعلى وجهها مسحة من الحزن . . وأخذ « شيمامورا » يتأملها في اهتمام ، مرجحاً أنها لم تتزوج بعد ، وإن كانت بصحبة رجل شاحب الوجه ، بادي السقم ، راحت تجذب عليه وترعاه ، كما تفعل الزوجة لزوج معتل . .

وكان « شيمامورا » قد قضى في القطار ثلاث ساعات طوال ، فزين له السأم أن يشغل نفسه بمراقبة الفتاة ، محاولاً أن يستعيد في ذهنه صورة فتاة أخرى - كان يقوم بالرحلة من

أجل أن يراها - فلا تسعفه الذاكرة بصورة واضحة .. ومد
أصبعه الى زجاج النافذة ، الذى تكاثف عليه ضباب الأنفاس ،
فكاد يصبح دهشة ، اذ طالعت عينا الفتاة .. ثم فطن الى أن
الظلام السائد فى الخارج ، والأنوار المضياء داخل القطار ،
أخالت زجاج النافذة الى مرآة ، انعكست عليها صورة جارته
.. ورأى فى عينيها فتنة وجمالا ، فمال على النافذة - وكأنه
يحاول رؤية الثلوج - ومسح ما بقى من ضباب على الزجاج ،
وراح يتابع مناظر الفتاة ، وهى تحنو على الرجل المريض ،
وكانه يشاهد شريطا سينمائيا يعرض رؤى عالم آخر ! ..
ومر القطار بنار مشبوبة فوق الجبل ، فبهر « شيمامورا »
منظر وهجها الظاهر خلف النافذة ، وقد بدا فوقه طيف وجه
الفتاة المنعكس على صفحة الزجاج .. وبدأت عينا الفتاة
لشيمامورا ، كشعلتين وسط الثلوج التى كست الجبل !



● **ودهش** « شيمامورا » اذ غادرت الفتاة وصاحبها
القطار ، فى نفس المحطة التى كان يقصدها ! .. وأسرع الى
خارج المحطة ، فلفت نظره الثلج الذى كسا أسطح البيوت
وقمم الأشجار ، فسأل سائق « التاكسى » الذى استقله الى
فندق القرية : « هل يسقط الثلج هنا غزيرا فى الشتاء ؟ » ..
كانت هذه أول مرة يزور فيها القرية فى الشتاء ، وواتاه جواب
السائق : « انه يصل أحيانا الى أربعة أمتار أو خمسة . ولكننا
لا نزال فى بداية الشتاء ، ولا يزيد سمك الثلج عن مترين أو
ثلاثة » . وعاد يسأل السائق : « ألا تزال الفتاة التى تقيم مع
معلمة الموسيقى موجودة بالقرية ؟ »
- لقد كانت بالمحطة ، ألم ترها ؟ كانت ترتدى معطفنا
أسود ..

- لم افطن اليها .. وماذا كانت تفعل بالمحطة ؟
- سمعت أنها جاءت لاستقبال ابن معلمة الموسيقى .

اذن فقد كان الرجل العليل هو ابن معلمة الموسيقى ، التي
تقيم معها فتاة الجيشا ((كوناكو)) ، التي جاء من أجلها ! . .
وداخله شعور غريب ازاء هذه المصادفة ، وساءل نفسه :
أكانت هناك علاقة بين فتاة القطار ، وفتاة ((الجيشا)) التي جاء
ابن يارتها ؟ . . واذ بلغ الفندق ، وجدته هادئا ، يكاد يخلو من
النزلاء ، في فترة الركود التي تسبق موسم الترحلق على
الجليد . . وبينما كان عائدا الى حجرته ، بعد ان اغتسل
بالماء المعدنى الساخن ، مر بحجرة الاستقبال ، فرأى امرأة
طويلة ، في لباس « الجيشا » . . وخفق قلبه اذ تبين انها
فتاته « كوناكو » ، وقد صبغت وجهها بالطلاء الابيض ،
كتقاليد بنات « الجيشا » . . اذن ، فقد أصبحت منهن
أخيرا ؟!

ولم تبد الفتاة لهفة أو انفعالا ، بل حيته برصانة ، وهى
تتفرس في وجهه . . ثم سارت الى جواره نحو غرفته ، دون
أن ينبس أحدهما بكلمة ، وان كانت غيبتها قد أغرورقتا
بالدموع . . وتذكر « شيمامورا » انه برغم ما كان بينهما من
ود ، في الماضى ، فانه لم يكتب اليها قط طوال مدة غيابه -
ولعلها حسبته قد نسيها ! - وفكر في أن يعتذر لها ، ولكنه
رأى في دموعها ونظرتها المستسلمة ، أنها لم تكن تفكر في لومه ،
وانما كانت تشعر بالرضى لعودة ما كانا عليه ، فلم يشأ أن
يفسد اللقاء بأى اعتذار . .



● واذ دخلا غرفته ، جفت الفتاة دموعها ، وشباعت في
وجهها ابتسامة حزينة ، وأخذت تحملق فيه . . فوجد نفسه
يسترجع ذكرى لقائهما الأول :

كان يعيش في جنة وفزاغ في (طوكيو) ، فاذا أدركه الملل ، رحل الى
بعض المناطق الجبلية طلبا للتغيير . وفي إحدى المرات ، هبط الى هذه القرية
الشهيرة بعيونها المعدنية - بعد جولة في الجبال استغرقت اسبوعا - فلما

حل بهذا الفندق ، طلب من صاحبه استدعاء إحدى فتيات « الجيشا » لتنادمه .. ولكن الفتيات الاثنتي عشرة - اللواتي كن في القرية - كن مشغولات في حفل كبير أقيم في تلك الليلة .. وعرضت عليه صاحبة الفندق أن تستدعي له فتاة تقيم مع معلمة الموسيقى ، ولم تكن قد انضمت تماما لطائفة « الجيشا » . وجاءت الفتاة بعد قليل ، بصحبة إحدى خادومات الفندق ، حتى إذا همت الخادم بالانصراف ، استبقته ، مما أوحى الي « شيمامورا » بأنها كانت بعد طاهرة نقية .. على أن الخادم لم تلبث أن تسالت خلسة الى الخارج ، وهما يتحدثان عن الطبيعة ، والثلوج .. هكذا كان أول لقاء له بكوماكو !

ولم يشعر « شيمامورا » - في ذلك اللقاء - برغبة في الشراب مع الفتاة ، فأخذ يتسلى بسؤالها عن حياتها ، وراحت تجيب ببساطة وإيجاز : لقد ولدت بأحدى قرى الاقليم ، حتى إذا أتت دراستها الاعدادية ، أوفدها أبواها الى أحد بيوت « الجيشا » في (طوكيو) لاعدادها لهذه المهنة .. ولكن الله قيض لها رجلا كريما سدد ديونها للبيت ، وعرض عليها أن تتدرب لتصبح معلمة للرقص .. ولكنه مات بعد عام ونصف العام !

وفي أسي راحت الفتاة تروى ما مر بها من شقاء وبؤس ، بعد وفاة ذلك المحسن .. ولكنها - برغم ذلك ، وبرغم بلوغها التاسعة عشرة - استطاعت أن تحتفظ بطهرها ونقاها ! .. ورفعها هذا في عيني « شيمامورا » ، فازداد عطفها عليها ، واحتراما لها .. ثم تصاعف تقديره حين وجدها على المام كبير بشؤون « الكابوكي » . (المسرح الكلاسيكي الياباني) ، والرقص ، و « الباليه » .. وتبين « شيمامورا » ، وهو يصغي الى حديثها باستمتاع ، أنه كان بحاجة الى رفيقة تبادله الحديث ، أكثر منه الى امرأة تشبع غريزته .. ومن ثم تركها تنصرف - في ساعة متأخرة من الليل - دون أن يمسه بسوء !

ووافته بعد ظهر اليوم التالي ، فاذا به يبادرها طالبا أن تستدعي له إحدى فتيات « الجيشا » المحترفات ! .. وذهلت - في بادئ الامر - ثم اتجهت الى النافذة ، وقد تضرع وجهها ، وراحت تتأمل الجبال مليا . وما لبثت أن قالت في غضب : « لم أت لتسألني هذا الطلب ! .. اذهب بنفسك فابحث عن واحدة منهم ! »

- بل أحب أن تستدعي لي بنفسك أحدا من ، فانا اعتبره صديقة ، ولهذا تصرفت معك بالامس تصرفا نبيلاً .. انني رجل قضي في الجبال اسبوعا ، فانا بحاجة الى امرأة ، ولن أطيق أن ألقى ليلتين معك في أحاديث شتى ، دون اشباع رغبتى !

وغضت بصرها وهي صامتة ، فاحس بأنه قد جاوز حدود الصراحة .. ولكنها ما لبثت أن هزت رأسها بأسى ، والخجل يكسو وجهها ، وقالت : « سأستدعى لك واحدة ، ولكنى لن احضر الى هنا مرة أخرى ! »
 - لا تكونى حمقاء ! .. ألم أقل اننى أريدك صديقة ؟ .. اذا تورطت فى علاقتى بك ، فقد لا اتوق الى رؤيتك بعد ذلك .. وأنا أحب ان أراك واتحدث اليك .. ولو اننى استدعيت امرأة لا تحبينها ، فقد تكرهين لقائى !
 .. فأشاحت بوجهها وصاحت : « كفى ! » .. ولكنها - بعد قليل - عادت تقول بصوت خافت ، وكأنها ندمت على احتدادها : « الواقع .. اظنك على حق فيما تقول ! » .. وعادت فجلست قريبا منه ، على الحصر ، وفي عينيها شعور عميق ، جعله يشعر كأنه ارتكب ذنبا ! ولكنه لم يكن كاذبا فيما قاله لها . كان يراها بريئة ، سالجة ، ليست من الصنف الذى يشبع الرجل معه شهوته .. بل كانت اصلح لان تصبح رفيقة لزوجته - عندما يحضرها الى الجبل - وربما لقنتها دروسا فى الرقص والموسيقى .. وصارحها بأفكاره ، فابتسمت - لأول مرة - قائلة : « يسرنى هذا ، فالصداقة شيء جميل ! »

- اذن ، هل تستدعين لى احدى فتيات « الجيشا » ؟
 فقالت وقد عاودها الغضب : « الآن ؟ .. ماذا تفعل بها فى وضع النهار ؟ » .. وكأنما ندمت على غضبها ، فتراجعت قائلة ان فتيات « الجيشا » فى القرية قليلات ، والطلب عليهن كثير ، وبيوت « الجيشا » لا تتحمل تبعات اتصالاتهن بالعملاء .. فلما استوضحها ، قالت : « أقصد ان اللقاء قد ينتهى بطفل .. أو مرض خبيث ! »

ولم يجد حيلة سوى أن يكلف احدى خادمتى الفندق باستدعاء فتاة له .. وأرادت « كوماكو » الانصراف ، فابتدراها : « لا تنهبن الآن ! » .. لكنها أجابته فى انفعال : « لا أستطيع البقاء .. سأعود فيما بعد ! »



• لم يكذ « شيمامورا » يرى الفتاة التى احضرتها الخادم ، حتى احس برغبته تتلاشى .. وراحت الفتاة تعابشه ، ولكنه وجد نفسه زاهدا ، حتى فى الحديث ! .. وما لبث أن زعم أنه مضطر للذهاب الى مكتب البريد . واذ غادر الفندق ، استهواه الجو ، ومنظر الجبل ، فانطلق يصعد الجبل بنشاط ، وهو يضحك .. حتى اذا شعر بالتعب ، انشئ عائدا ، واذا به يلتقى بكوماكو ، فى ظل اشجار الارز .. وبادرته قائلة : « لاشك أنك سعيد ، كما تنم ضحكائك ! » ، فعاد يضحك قائلا : « لقد استغنيت عن نساء الجيشا ! »

وجلس الى جوارها ، ففصت بصرها الى الارض ، فى شيء من الجفاء ..

واذ طال الصمت ، سرح نظره خلال الاشجار ، ثم قال : « لقد أخطأت عندما رايتك في الفندق أول مرة ، فظننت ان كل بنات « الجيشا » على شاكلتك ! » .. وشعر بارتياح لطهارة الفتاة واحتشامها .. وسادها سكوت تخله خريف الماء في مجرى جبلى .. واخذ الظلام يهبط ويبدأ .. وفطن « شيمامورا » - وهو يتذكر معاملته لفتاة « الجيشا » التي أحضرها الخادم - الى أنه منذ البداية لم يكن راغبا في غير « كوماكو » ، وان استدعاه الاخرى لم يكن سوى حيلة لكي تفهم ما بنفسه ، فأحس بخسة لاتباعه هذه الطريق الملتوية ! وبدأ وجهها المستدير دقيق القسمات ، تعلوه مسحة من الحزن ووحشة الوحدة .. وشفتاها الرقيقتان لا تكفان عن الاختلاج ، حتى وهى صامتة .. واهدابها مسبلة ، كأنها لا تجرؤ على التطلع الى وجه جليسا .. وعنقها نحيل - كمنق طفلة ، لا امرأة مكتحلة بالنمو - وان كان صدرها معتلا ، على نقيض ما عرف من ضهور صدور فتيات « الجيشا » ، نتيجة الحزام العريض الذى يشد على صدورهن ! قصاوى القول ، ان مظهرها كان يوحي بالبراعة اكثر مما ينم عن فتنة الجمال !



• وفى حوالى الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم ، كان فى حجرته عندما فوجئ بصوتها يناديه ، ثم رآها تندفع داخلة ، فتتشر وتسقط على الحصى .. وكانت - منذ فارقتها فى الاصيل - قد ذهبت للقاء بعض الوافدين ، وأسرفت فى الشراب على غير عادتها .. وما ان فطنت الى حالها حتى انصرفت وهى تترنج ، واذا قدماها تحملانها الى الفندق ، والى غرفته .. وكانت صيحاتها الثملة - وهى تناديه - صيحات انبعثت من أمواق امرأة تشدد رجلها ، وقد أزال الشراب كل تحفظ تتظاهر به ! .. ومالت عليه ، وهو مستلق فى فراشه ، وقالت : « لست ثملة ، ولكنى أخطأت اذ تناولت أنوما مختلفة من الشراب ، وهذا يثقل الرأس ! »

وكان المطر يتساقط بغزارة فى الخارج ، والفتاة تزداد تشبها بشيمامورا ، فاذا تراخت ذراعه حولها ، تهاوت الى الارض ، فيضمها بشدة من جديد .. واخذ يخاطبها - فى حنو - مهدئا من روعها .. وتسلمت يده - خلال فتحة (الكيمونو) - تعيث بصدرها ، فسكتت الفتاة لحظة ، ثم عقدت ذراعيها فوق صدرها لتصد يده ، وبصفت ذراعها بقسوة ، سخطا على نفسها لانها لم تمنعه من البداية !

وبهت « شيمامورا » .. وكأنما انتبهت الفتاة الى أنها آذت شعوره ، فرفعت ذراعيها عن صدرها .. ثم تناولت إحدى يديه فوضعتها على صدرها ، وراحت تداعب اليد الأخرى .. وأحس بصدرها يعلو ويهبط ، فتملكته

عاطفة جارفة ، وضمتها اليه في قوة ، وهو يهمس : « لا تخشى شيئا ! »
ولكن الصداق عاودها ، فتلوت من الألم ، وصاحت : « لم أعد أحتمل
.. خير لي أن أعود الى منزلي ! »

.. كيف تذهبين وأنت في هذه الحال ؟ .. ثم انصتت الى المطر !
.. سامود حافية القدمين ، ولو اضطرتت الى أن ازحف الى البيت !
وانتصبت جالسة ، وهي تتنفس بعمق ، ولكن الألم كان يتجلى على
أساريرها .. وقاومت الرغبة في افراغ ما في جوفها ، وتاملت ساعتها فإذا
بها تجاوزت الثانية ، فقالت لشيماورا : « عد الى نومك .. وسأجلس هنا ،
حتى اذا تحسنت حالي ، انصرفت الى بيتي ! »

وعاد الى فراشه .. ولكنها ما لبثت أن صاحت : « انهض ! .. دع
الفراش ! » .. فصاح بها : « أنك تحيريني ! » .. ثم نهض ، فجذبها
وارفدها الى جواره .. وحولت وجهها عنه في البداية ، ولكنها لم تلبث أن
أقبلت عليه ، تقبله في عنف .. وظلت فترة تسلمه شفيتها ، ثم تنأى بهما ،
وهي تكرر : « لا .. قلت أنك تريد أن تكون صديقين فحسب ! »

وجعله قولها يؤثر الابتعاد عنها .. فعادت تقترب منه ، وهي تهمس :
« لن أندم على شيء .. ولكن لا تظنني من أولئك النسوة .. فعلاقة الرجل
بهن لا تدوم .. هكذا قلت أنت ! »

وكانت لا تزال تحت تأثير الخمر ، فاستطردت : « ليس الذنب ذنبى .. بل
ذنبك .. أنت الذي خسرت المعركة .. أنت الذي ضعفت ، لا أنا ! » ..
وسقطت في شبه سبات ، وهي تعض كعها ، كأنها لتصد سعادتها من الظهور !

وهذات لفترة ، وقد نضبت كافة انفعالاتها ، ثم صاحت ، وكأنها داهمتها
فكرة اشقتها : « أنك تضحك مني .. ألسنت تضحك ؟ »
قال : « كلا .. لست أضحك ! »

.. بل تضحك مني في نفسك .. وحتى اذا لم تضحك الآن ، فستضحك
فيما بعد !

وغلبها التأثير فبكت .. ثم عاودها الهدوء ، وأبدت الندم على سوء ظنها
به ، وأقبلت تتلطف اليه ، دون أن تشير الى ما حدث بينهما منذ قليل ! ..
وما لبثت أن فطنت الى أن الليل أوشك أن ينتهي ، فابتسمت في خجل قائلة
أنها تؤثر أن تغادر الفندق قبل طلوع النهار ، حتى لا يراها أحد !
ولكنها .. مع ذلك .. ظلت تبتلكا ، حتى بدت تباشير الفجر ، ودبت
الحركة في الفندق ، فأصلحت من شعرها ، وأسرعت خارجة ، وهي ترفض أن
يودعها لدى الباب ، خشية عيون الخدم !

وفي ظهر ذلك اليوم ، غادر « شيماورا » القرية ، عائدا الى (طوكيو) .

● أفاق « شيمامورا » من ذكريات ذلك اللقياء الأول بينهما ، منذ عام ، فالتفت الى الفتاة قائلاً : « أتذكرين ما قلت في تلك الليلة ؟ .. لم تكوني على حق ، فانا لم أضحك منك ، ولا فكرت في ذلك يوماً ! »

وبدت حمرة الخجل تحت الطلاء الأبيض - الذي كسا وجهها - وابتسمت في استحياء .. ولعل كلماته ذكرتها بما كان بينهما - في تلك الليلة - فغضت بصرها ، وبدأت تعد على أصابعها .. فسألها : « ماذا تعدين ؟ » .. فقالت : « كان ذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر مايو » .

- وكيف تذكرين تاريخ ذلك اليوم ؟

- لقد انقضت مائة وتسعة وتسعون يوماً .. لقد دونت

ذلك في مذكراتي !

- اذن ، فأنت تحتفظين بمذكرات ؟ .. منذ متى ؟

- بدأتها قبيل رحيلي الى طوكيو ، لأتدرب على فنون

« الجيشا » .. كنت اذ ذاك في السادسة عشرة ، فاعتدت

قبل أن أنام - كل ليلة - أن اكتب في مذكراتي أحداث اليوم

.. على أننى لم أعد اكتب يومياتى بانتظام ، في السنوات

الآخيرة ..

ودهش « شيمامورا » اذ أخبرته أنها تسجل في مذكراتها

- الى جانب الأحداث - ملخصات لما تقرأ من كتب وروايات

.. وحدث أنها بذلك تملأ بعض الفراغ الذى تعانيه في حياتها

في تلك القرية الجبلية الموحشة .. وللحرة الثانية ، شعر بأنه

لا يستطيع أن يعاملها معاملة لآية امرأة عادية من « الجيشا » !

.. وكأنما حدثت ما كان يدور بخلد ، فغلبها الاستحياء ،

وسارت الى النافذة ففتحتها ، وجلست على حافتها ..

وهبت الرياح باردة ، فسار اليها شيمامورا ، قائلاً : « هل

جننت ؟ »

وكان الليل يبدو - خارج النافذة - حالك الظلمة ..

ومالت الفتاة لتحول بين « شيمامورا » واغلاق النافذة ، فلمست يده عنقها ، وقال : « ستصايين بأذى من البرد . . الا ترين كيف أصبح عنقك باردا ؟ » . وحاول أن يجذبها الى داخل الحجرة ، ولكنها تشبثت بحافة النافذة ، وهى تقول : « دعنى هكذا بعض الوقت ! »



● وفي الفجر التالى ، استيقظ « شيمامورا » على حركتها فى الفراش . . واذا رآته يجلس فى الفراش ، قالت : « أشعر بأننى حزينة ! » . . كانت - كماداتها - مضطربة الأعصاب ، قضت الليل تتقلب فى الفراش ، فلم تنم الا لما . . ونهضت ففتحت النافذة . . كانت خيوط الفجر الاولى قد بدأت تنساب من وراء الجبل ، فقالت : « سأنصرف الآن . . قبل أن يخرج الفلاحون لحقولهم ، وتستيقظ خادمت الفندق ! »

: ولما أتمت ارتداء ثيابها ، هدأت فترة ، ثم راحت تمشى فى الحجرة ، وهى بادية القلق ، جتى خيل لشيمامورا كأنها وحش يخاف بزوغ النهار !

وفي ظهر ذلك اليوم ، سار « شيمامورا » فى الطريق المنحدرة الى القرية ، وهو يتأمل قمم الجبال وقد تألفت تحت أشعة الشمس . . فلما بلغ القرية ، سار فى الشارع الرئيسى . . وما لبث أن مر بيت كبير ، رأى أمامه بعض نساء « الجيشا » . . وحديثه هاتف فى أعماقه بأن « كوماكو » كانت بينهن . . وصدق حدسه ، اذ لم يلبث أن رآها . . وغبست ، وتضرج وجهها ، فود لو أنها تجاهلته ، وأسرع الخطو ، ولكنه لم يلبث أن سمع وقع قدميها خلفه ، وهى تلحق به . . وبادرته قائلة : « ما كان ينبغي أن تفعل هذا . . انك تخرجنى بالمرور فى مثل هذه الساعة ! »

- أنا اخرجك ؟! . . أنت التى سببت الحرج لنفسك ،

حين تخرج وجهك ، وجئت تجرين خلفي ! »
وتوقفت ، وأحاطت بذراعها احدي الأشجار ، وقالت :
« انما تبعتك كي أسالك أن تزورني في منزلي ! »

— سأصحبك اذا سمحت لي بقراءة مذكراتك . . ولكن ،
أليس في البيت رجل مريض ؟
— وكيف عرفت بهذا ؟

— كنت أجلس بالقرب منه ، في القطار . . وكانت معه
فتاة ترعاه في رقة وعطف . أترينها زوجته ، أو فتاة ذهبت من
هنا لتأتي به ، أو انها جاءت ترافقه من طوكيو ؟ . . انها كانت
تحنو عليه كالأم الرؤوم !

— لم لم تقل هذا ليلة أمس ؟ . . حقاً ، انك غريب
الاطوار !

وخيل اليه أن في صوتها حدة ضايقته . . ولعلها كانت
منبعثة عن شيء في قرارة نفسها . . وفطن الى أنه حين رأى
« كوماكو » — في الصباح — عند النافذة ، وخلفها الجبل
المكسو بالثاوج ، تذكر صورة عيني الفتاة ، على صفحة زجاج
القطار . . فلماذا لم يحدثها عنها ، اذ ذاك ؟ . . وقادته الى
البيت . . كانت ثمة حديقة زهور صغيرة عند المدخل ،
يتوسطها حوض تسبح فيه بعض الأسماك . وكان البيت
قديماً متداعياً ، فتبعها — على سلم خشبي — وهو لا يكاد
يستبين ما حوله ، حتى بلغا حجرة ضيقة ، تحت سقف البيت
المجذب . . فقالت : « كانت هذه الحجرة مخصصة لتربية
ديدان القز ، قبل أن أسكنها . . أتستغرب لوجودي في مكان
حقير كهذا ؟ »

وهبطت الى الطابق الأسفل لتحضر فحماً ، حتى تشعل
النار في المدفأة ، فأخذ « شيمامورا » يجيل بصره في المكان : لم
تكن هناك سوى نافذة واحدة صغيرة ، ولكن ورق الجدران
كان جديداً ، يعكس أشعة الشمس فيملاً الحجرة نوراً . . وفي

أحد الأركان ، رأى خزانة ثياب من خشب قديم - ولكنه فاخر - حدس أنها من بقايا أثاث « كوماكو » حين كانت في طوكيو . وكان الفرق واضحا بين الخزانة وطاولة الزينة الرخيصة ، التي استقرت بجوارها ، تحمل أدوات التجميل التي تستعملها فتاة « الجيشا » . .

وعادت « كوماكو » بالفحم ، وهي تغنى مبتهجة ، وقالت : « جئت بالفحم من حجرة المريض . . لا تجزع ، فالنار تقضى على الجراثيم ! » . . وأخذت ترص الفحم في المدفأة ، وشعرها الأسود متهدل ، وهي تروى قصة ابن معلمة الموسيقى . . كان مريضا بالسل ، فلما اشتدت به العلة ، جاء ليقضى نحبه في بيت أمه . وكانت الأم من فتيات « الجيشا » في (كيوتو) - عاصمة اليابان القديمة - ثم تحولت الى معلمة للرقص والموسيقى ، ولكنها أصيبت بالنقرس - حين بلغت الأربعين من عمرها - فجاءت تقيم في القرية ، التماسا للعلاج بمياهها المعدنية . .

وكانت « كوماكو » تتكلم ببساطة ، ولكنها لم تذكر شيئا عن الفتاة التي رافقت المريض من طوكيو ، ولا عن سبب وجودها في البيت . . ولكنه حين هبط الى الطابق الأسفل ، لمح في حجرة الاستقبال آلة موسيقية تدعى « الساميسن » ، وفجأة سمع صوتا يقول : « أسمحين لى بالدخول يا كوماكو ؟ » وعرف في الصوت الصافي صوت « يوكو » ، رفيقة القطار . . وما لبث أن رآها أمامه . وألقت الفتاة عليه نظرة خاطفة ، ثم اختفت في داخل البيت . . ورافقته صورة نظرتها طيلة الطريق الى الفندق . كانت نظرة باردة ، أشبه بضوء يابوح من بعيد فيثير الخيال ! . . والتقى عند الفندق بمذلة عمياء عجوز ، فدعاها الى تدليكه . ورافقته المرأة الى حجرته ، وساد السكون المكان فترة ، والمرأة تزاول مهمتها . وما لبثت أن قالت : « ليس جسمك بدينا » ، ولا هو نحيف . . يبدو أنك

لا تكثر من تعاطى الخمر ! » . وترامت اليهما أنغام من غرفة بعيدة ، تصدر عن آلة « الساميسن » ، فتساءل شيمامورا ، ليبدد الصمت : « ترى من التى تعزف ؟ » . فأجابت العمياء : « من الممكن معرفة فتاة الجيشا من عزفها ! »

— وهل بينهن عازفات ماهرات . . هنا ؟

— لعل « كوماكو » أحذقهن ، فهى — برغم صغر سنها — بلغت مستوى عاليا . انك تعرفها بلا شك !

— لست أعرفها معرفة وثيقة ، ولكنى قدمت بالأمس فى القطار مع ابن معلمتها !

— لقد طال مرض المسكين فى طوكيو ، ويقال أن « كوماكو » أصبحت من فتيات الجيشا — فى الصيف الماضى — لتوفير نفقات علاجه !

— وما شأن « كوماكو » ونفقات علاجه ؟

— ألا تدرى أنهما كانا خطيبين ؟

ودهش شيمامورا لسماع هذا النبأ من المدلكة العمياء ، ولم يستطع أن يصدق أن « كوماكو » قد باعت نفسها من أجل هذا الفتى العليل ، الذى كان بعيدا عنها فى طوكيو . وأراد أن يستدرج العمياء كي تمضى فى الحديث ، ولكنها لاذت بالصمت . . وبعد أن تركته ، وجد نفسه يفكر فى « كوماكو » ، ويقرر أن يسألها عن حقيقة علاقتها بهذا الفتى العليل : هل كانت خطيبته حقا ؟ . . وماذا كانت علاقته بالفتاة « يوكو » ؟ . . وأحس بالبرد يسرى فى أوصاله ، فلما انتبه الى نفسه ، وجد أن العمياء قد تركت نافذة غرفته مفتوحة . . وكان الليل قد أقبل ، والريح الباردة تهب من ناحية الجبل . .

وكان الفندق قد أعد فى تلك الليلة اجتماعا ، للتأهب لفصل الترحلق على الجليد ، دعا اليه بعض فتيات « الجيشا » ومن بينهن « كوماكو » . فلما انتهى الاجتماع ، جاءت الفتاة الى حجرة « شيمامورا » فأشعلت المدفأة ، وربت خده ،

وهي تقول : « مالى أراك شاحب اللون الليلة ؟ » . وكانت قد
أسرفت في احتساء شراب « الساكى » (١) ، فبدت ثمة قليلا
.. وجلست الى جانب « شيمامورا » في الفراش تعابثه ،
فسألها : « متى بدأت حياتك كفتاة جيشا ؟ »

— منذ شهر يونية . وقد فكرت في أن أذهب الى ثغر

(هاماماتسو) .

— كي تتزوجى ؟

وأحنت رأسها موافقة . وذكرت أن ثمة رجلا كن يلح
عليها في الزواج ، ولكنها لم تستطع أن تحبه ، وقد وجدت عناء
كبيرا في الوصول الى قرار بشأنه .. فسألها شيمامورا :
« مادمت لم تحبيه ، فلماذا لم تقررى الابتعاد عنه في الحال ؟ »
— لم يكن الأمر بمثل هذه البساطة !

— يبدو أن فكرة الزواج من « أى » رجل ، كانت تروق

لك !

— لا تكن قاسيا في حكمك ! بل كنت أود تدبير كل شيء
حولى ، كي لا تواجهنى أية مشكلات أو تعقيدات .

وستكت شيمامورا لحظة ، ثم سألها : « هل كان بينك وبين
ذلك الرجل من (هاماماتسو) علاقة ما ؟ » .. فأجابت في
شيء من الحدة : « أتظننى كنت أتردد في الزواج منه ، لو كانت
هناك علاقة بيننا ؟ الواقع انه هددنى بأننى طالما بقيت هنا ،
فلن يسمح بزواجى من أى رجل آخر ! »

— ولكن ماذا كان يستطيع أن يفعل وهو في ذلك المكان

النائى ؟

وتنهطت كوماكو وهي تشعر بالدفع في الغرفة ، ثم قالت
وهي تضحك : « كنت أظن في ذلك الوقت أنى حامل ! »

(١) « الساكى » هو الشراب التقليدى في اليابان ، وهو نوع من الخمر
يصنع من الارز ، ويشرب دافئا بعد تسخينه .

وكورت جسمها كطفلة صغيرة ، ولاذت بأحضانها وقد غلبها النعاس .



● عندما استيقظ « شيمامورا » في الصباح ، وجدها جالسة في الفراش تكتب شيئاً على ظهر مجلة قديمة . وحيتها قائلة : « لا أستطيع الذهاب الى منزلى الآن . وقد تظاهرت بالنوم حين جاءت الخادم عند الفجر لتضع الفحم في المدفأة . ويبدو اننى كنت ثمة قليلاً ليلة أمس ، فتمت نوما عميقا » . . . فنهض شيمامورا من فراشه وهو يقول : « هيا بنا الى الحمام » ، فقالت : « لا أستطيع . . فقد يرانا بعض الخدم في الصالة » .

وذهب وحده . . فلما عاد ، وجدها منهمكة في تنظيف الحجرة ، وقد لفت منديلاً حول رأسها ، حتى لا يصل الغبار الى شعرها ، فجلس الى جانب المدفأة يدخن . . وعندما سقط رماد السيجارة على الحصر ، جمعته « كوماكو » في منديل ، واحضرت منفضة للرماد . . وضحك « شيمامورا » وقال لها : « لو كان لك زوج ، لما كففت عن زجرك طول الوقت ! »

— كلا ، بل كنت أعنى به طول الوقت ، فلها خلقت !
وجلسا يتناولان الافطار ، وأشعة الشمس تغمر الغرفة . . وتذكر « شيمامورا » ما قالت له المدللة العمياء عن مهارة « كوماكو » فى الموسيقى ، فاقترح عليها أن تعزف له فى حجرتها . . وأطاعت ، فاتصلت بمنزلها تليفونيا ، طالبة ارسال آلة العزف ، وبعض الملابس . وسألها : « هل أنت مخطوبة حقا لابن معلمتك ؟ »

— متى سمعت هذا ؟

— سمعته بالأمس .

— انك رجل غريب الأطوار حقا . . لماذا لم تسألنى بمجرد سماعه ؟

— انك تغيرين مجرى الحديث ، دون أن تجيبى عن سؤالى !

— لست أغير مجرى الحديث .. ولكن هل صدقت ما سمعت ؟

— لم أصدق كل ما سمعت ، ولكنهم قالوا انك أصبحت من فتيات « الجيشا » لتتمكنى من دفع أجر علاج ذلك الفتى العليل !

— هذا الحديث يبدو كقصة فى مجلة رخيصة ، ولكنه غير صحيح . فلم أكن مخطوبة للفتى فى يوم من الأيام — ولو أن الناس يظنون ذلك ! — ثم اننى لم أصبح فتاة « جيشا » لأساعد أحدا . ولكن الواقع اننى أدين لأمه بالكثير ، فكان لزاما أن أؤدى لها بعض هذا الدين .
— أن حديثك أشبه بالافاز !

— سوف أخبرك بكل شيء ، وفى صراحة : لقد راقت للام — فى فترة ما — فكرة أن أتزوج من ابنها ، ولكن الأمر لم يتعد حدود التفكير ، فلم تفتح أسرتى فى الأمر بكلمة واحدة ، وان كنا أدركنا — بطريقة ما — ما كان يجول بفكرها .. هذا كل ما فى الأمر !

— أذن فقد كان هناك نوع من الارتباط بين الأسرتين ؟
— كان شيئا من هذا القبيل . ولكننا عشنا معظم حياتنا متباعدين . فلما ذهبت الى طوكيو لتدرب على فنون « الجيشا » ، كان ذلك الفتى هو الوحيد الذى ودعنى فى المحطة ، وقد كتبت ذلك فى أول صفحة من أول مفكرة لى .
— لو أنكما عشتما معا ، لكان من المحتمل أن ينتهى الأمر بكما الى الزواج ؟

— أشك فى ذلك .. وعلى أية حال ، فلا حاجة بك لأن تفكر فى هذا ، والفتى مشرف على الموت !

— وهل من الصواب أن تقضى لياليك بعيدة عن البيت في مثل هذه الظروف ؟

— ليس من حقلك أن توجه الى هذا السؤال ! . . وكيف يحق لرجل مشرف على الموت أن يتحكم في حياته ؟
ولم يحضر « شيمامورا » جواباً . . ولكنه تعجب من أنها لم تذكر كلمة واحدة عن الفتاة « يوكو » ! . . وبصدد هذه الفتاة يوكو ، التي كانت تعنى بالفتى المريض في القطار كما لو كانت أمه ، أو زوجته : ماذا يكون شعورها حين تأتي بملابس لكوماكو في غرفة رجل غريب بالفندق ، وهي ولا شك تترك أنه كانت ثمة علاقة — من نوع ما — بين « كوماكو » والفتى العليل الذي جاءت برفقته من طوكيو ؟

ولم يوقف شيمامورا من أفكاره غير صوت « يوكو » الصافي ، ينادى من خارج الحجرة : « كوماكو ، كوماكو ! » . وأسرعت كوماكو خارجة ، وهي تقول : « شكرا جزيلا لك يا يوكو ، اذ جئت بحاجياتي بنفسك ، ولا شك أن حملها كان ثقيلا عليك ! » . . وبعد أن أنصرفت « يوكو » ، تناولت كوماكو آلة « الساميسن » ، وبدأت تشد أوتارها في مهارة ودقة ، ثم أخذت مجموعة من « النوتات » الموسيقية ، جعلت قلبه فيها لتختار ما يروق لها ، فقال شيمامورا في استغراب : « هل تتمرنين على هذه النوتات بنفسك ؟ »

— أنا مضطرة الى ذلك ، فلا يوجد هنا من يدربنى . .

— وماذا تفعل معلمة الموسيقى التي تعيشين معها ؟

— انها مصابة بالشلل ، ولا تملك مساعدتي . . ولا حتى بالارشادات الشفوية . . بل انها تتضايق اذا استمعت الى العزف على « الساميسن » دون أن تستطيع أن تبدى رأيا !
— وماذا عن الغناء ؟

— لست أحب الغناء . . لقد تعلمت بعض الأغاني القديمة بمصاحبة الرقص ، وهذه أستطيع ترديدها بسهولة . . أملا

الأغاني الحديثة فاني أحاول أن أتعلمها من الاذاعة ، ولكنى لا أدري الى أى حد أحسن أداءها ، سيما واننى أحس بالخجل فى حضرة الغرباء .. أما اذا غنيت لشخص أعرفه جيدا ، فيخيل الى اننى أجيد الفناء ، وخصوصا اذا اشترك معى هذا الشخص !

ونظرت الى « شيمامورا » نظرة ذات معنى ، وكأنها تقول له أنها على استعداد لأن تغنى له ، اذا صاحبها . لكنه أحس بالخجل ، لأنه لم يكن يحسن الفناء . فلما انتظرت الفتاة طويلا ، دون أن يقول شيئا ، عضت على شفتها السفلى ، ثم وضعت الآلة الموسيقية على ركبتيها ، واختارت إحدى « النوتات » الموسيقية ، وهى تقول : « لقد تدربت طويلا على هذه القطعة » . واذ بدأت العزف على « الساميسن » ، أحس شيمامورا برعشة تسرى فى أوصاله ، وتملكه شعور من الاحترام والتقدير ، ولم يسهه الا أن يستسلم للأنغام ، تعزفها « كوماكو » فتلاعب بمشاعره كيفما تشاء !

.. انها لم تكن غير فتاة « جيشا » فى قرية جبالية نائية .. شسابة لم تكد تبلغ العشرين .. ورغم أنها كانت تعزف وتغنى فى حجرة صغيرة ، فانها كانت تؤدى دورها باتقان ، كما لو كانت فوق مسرح كبير ، فى مواجهة جمهور غفير .. واذ رفعت عقيرتها بالفناء ، أحس « شيمامورا » بالرهبة والزهو ، وكأنها تغنى له وحده !

وعندما انتهت من أغنيتها ، شعر بالراحة ، وحدثه نفسه بأن المرأة مشغوفة به .. ثم تناولت « الساميسن » مرة أخرى ، وبدأت تعزف مقطوعة جديدة ، وتغنى بصوت عذب ، دون أن تحسب حسابا لمضى الوقت ، اذ لم تعد تفكر فى العودة الى منزلها قبل مطلع النهار ، كما اعتادت أن تفعل من قبل .. وأخيرا نهضت من مكانها ، متأهبة للانصراف ، ولكنها عادت فجلست فى الشرفة ، فى تكاسل ، وهى تنظر الى

الجبال المغطاة بالثلوج ، وقالت : « لقد بدأت طلائع الشبابة تأتي للترحلق على الجليد » . . وأضافت كما لو كانت تحدث نفسها : « ان النزلاء يتعجبون دائما ، حين يقابلون بعض فتيات الجيشا في الجبال ، وكأنهم لا يتصورون أنهن يستطعن ممارسة هذه الرياضة مثلهم ! » . . فقال شيمامورا : « أحب ان أراك في ملابس الترحلق على الجليد ! » . . فقالت : « ان موسم الترحلق على الجليد مرهق لنا حقا ، فالفنادق تزدهم بالنزلاء ، الذين يحدثون صخبا وضجيجا لا ينقطعان طول المساء . . ثم يطلبون أن نلتقى بهم في الجبال أثناء النهار ! . . اننى أفكر جديا في أن أمتنع عن الترحلق على الجليد هذا العام . »

وعندما انصرفت ، خرج « شيمامورا » الى الشرفة ليرقبها وهى تسير فى الطريق المنحدر ، المؤدى الى القرية . وكانت السماء ملبدة بالغيوم . . وما لبث المطر ان انهمر بغزارة .



❶ وفى اليوم التالى ، شعر « شيمامورا » بأن وقت عودته الى طوكيو قد حان ، قبل أن يزدهم الفندق بهوابة الترحلق على الجليد ، فأرسل يستدعى « كوماكو » فى المساء ، ليودعها قبل رحيله . . وكانت الليلة صافية ، مفعرة ، شديدة البرد ، ومع ذلك فقد جاءت « كوماكو » - حوالى الساعة الحادية عشرة - وأصرت على أن يخرجها للنزهة قليلا ، بين أشجار الأرز . فلما تردد هو ، بسبب البرد ، جذبتة فى شىء من العنف ! . . وكان الطريق المنحدر مغطى بطبقة سميكة من الجليد ، وبدأت القرية الصغيرة هادئة تحت السماء الباردة . . فقالت كوماكو : « هيا بنا نذهب الى المحطة ! »

- هل أنت مجنونة ؟ ان المسافة تتجاوز كيلومترين ، كيف نذهب ونعود فى هذا البرد القارس ؟

— أنك سوف تعود الى طوكيو قريبا ، فدعنا نلق نظرة على المحطة !

واضطر الى أن ينزل عند رغبتها ، فلما عادا الى الفندق كان « شيمامورا » يحس بأوجاع في جميع أجزاء جسمه . . . وجلست « كوماكو » على الحصر الى جانب الموقد وقد بدا عليها الضيق ، فلما عرض عليها الذهاب معه الى الحمام ، رفضت : . . فذهب وحده . . . وحين عاد وجدها قد أعدت له فراشه الى جانب المدفأة ، وجلست عابسة الوجه دون أن تنطق بكلمة ، فسألها عما بها . . . وأجابت : « لا شيء . . . اذهب أنت الى فراشك ، ودعني أجلس هنا لحظة . . . بل انى سأجلس هكذا حتى الصباح ! »

وسأله شيمامورا نفسه : أكانت الفتاة نادمة مثلا لأنها تورطت في علاقتها مع واحد من نزلاء الفندق ؟ . . أم أنها كانت تجاهد للتحكم في عواطفها قبيل افتراقهما ؟ . . . واذا طال الصمت بينهما ، قالت : « أرجو أن تعود الى طوكيو ! » . لكنه لم يكذبصارحها بأنه اعتزم الرحيل في الغد ، حتى صاحت في دهشة ولوعة ، وكأنها لم تكن تتوقع هذا الرد : « لماذا تبغى العودة بهذه السرعة ؟ » ، وحدقت في وجهه برهة ، ثم انتفضت في انفعال ، وألقت بنفسها في أحضانه ، قائلة : « حرام أن تقول هذا ! . . انهض ! . . قلت انهض ! » . . . ومضت تردد مثل هذه الكلمات — في هذيان محموم — وهي تضمه الى صدرها في عنف ، وقد نسيت ما قالت له قبل لحظات ، عن توعك صحتها . . . وعندما فتحت عينيها ، بعد برهة ، كانت الدموع تترقرق فيهما . . . وقالت في هدوء واستسلام : « من الخير أن ترجل الى طوكيو غدا ! »



● بينما كان « شيمامورا » يعد حقيبته ليستقل قطار الساعة الثالثة — من بعد ظهر اليوم التالي — استدعت

صاحبة الفندق « كوماكو » . . وسمعتهما تتحدثان في قاعة الجلوس ، فأدرك أن صاحبة الفندق تحاسبها على الساعات التي قضتها معه . وبهت عندما تبين أن « كوماكو » أبت أن تحسب الأوقات التي كانت توافيه فيها دون أن يطلبها ! . . فحرك عواطفه أنها كانت تغلب الصداقة على العمل ! ورافقته الفتاة الى المحطة . . وراحا يدرجان الرصيف ، في انتظار القطار ، فقال يبدد وحشة الصمت المتوتر : « لم يزد الجليد كثيراً عما كان يوم قدمت ! » . . ولكنها كانت تفكر في أمر آخر ، إذ بادرت قائلة : « ما أحسبك تهتم بالمال ، فإن لديك منه الكثير ! » . . ثم تحولت تتفرس في وجهه ، وسألته : « لماذا لا تطلق شاربك ؟ »

وضحك لاضطراب أفكارها . . وفجأة ، قالت : « اسمع ! . . الغريان تنعق ! . . لكم يزعجنى نعيقها ! » ، وراح جسدها يرتعد بعنف ! . . ولاح لهما - على حين غرة - شبح امرأة تقبل من القرية مهرعة ، حتى إذا اقتربت ، تبينا أنها « يوكو » . . وأقبلت نحوهما ، وهي تصيح « كوماكو . . يوكيو ! » . . ثم تعلقت بكوماكو كطفل مذعور ، وهي تهتف بها : « ان حالة يوكيو قد ساءت . . تعالى حالا ! » . . فأغمضت « كوماكو » عينيها ، وقد شحب لونها ، وتجلى عليها الألم . . ولكنها - مع ذلك - هزت رأسها في اصرار عجيب ، وقالت : « لا أستطيع الذهاب الآن ! »

ودهش شيمامورا ، وقال : « لا حاجة بك الى البقاء معي ! » . . فصاحت : « ليس من الصواب أن أذهب . . كيف لي أن أعرف أنك ستعود ثانية ؟ » . . وحاولت « يوكو » أن تستعطفها ، ولكنها دفعتها عنها ، قائلة في غضب : « اتركيني الآن ! » . . فظلت الفتاة تحمق فيها بعينين جامدتين ، وكأنها هبط على وجهها قناع أخفى كل تعبير ، فلم يدر « شيمامورا » أكانت غاضبة ، أم مندهشة ، أم آسفة حزينة لتصرف

صاحبته ! .. واذ فطنت « يوكو » الى انه كان ينظر اليها ، هتفت في استعطاف ، وان ظل وجهها جامدا : « هلا سمحت لها بالانصراف ؟ »

قال : « من الواجب ان تذهب طبعاً .. هيا ياكوماكو ! »
وبان الغضب على « كوماكو » ، فدفعت صاحبته بعيداً عنه ، وتشبثت بذراعه بعنف ، تمنعه من أن يستدعي « التاكسي » الذي كان يقف أمام المحطة .. فقال ليوكو : « سأرسلها فوراً .. ولكن يحسن أن تنصرفي أنت الآن ، حتى لا يفطن الناس الى ما بينكما ! » .. فأحنت « يوكو » رأسها ، وأسرعت نحو القرية ، و « شيمامورا » يعجب من الحزن الذي طغى عليها .. وما ان ابتعدت ، حتى قالت كوماكو : « لن أعود الآن الى البيت ! » .. فداخله شيء من الاستهجان ، وقال : « ولكن الرجل مشرف على الموت ، وقد جاءت الفتاة تستدغيك ، لأنه يود رؤيتك قبل أن يموت .. اذهبي ، والا فستندمين بقية عمرك ! »

— انك لا تفهم .. لسيت أريد أن أرى انسانا يموت !
ولم يدر اكانت هذه قسوة ، أم هي دليل حب أو شعور مرهف .. وأخلدت الفتاة للصمت برهة ، بينها راحت الدموع تنحدر على خديها ، ثم قالت في خفوت : « انك رجل طيب حقاً ! .. ألا تضحك مني إذا أنا أرسلت اليك مذكراتي ؟ » .. وأحس شيمامورا بفيض من عاطفة لم يستطع تحديدها ، فصمت ولم يحاول حملها على الانصراف .. حتى جاء القطار ، وظلت « كوماكو » تلوح له بيدها ، حتى غاب القطار داخل النفق الطويل في الجبال .. وسبح الخيال بشيمامورا ، فشعر كأنه في مركبة سحرية تطير به في الفضاء ، بعيداً عن كل زمان ومكان .. وأصبح صوت عجلات العربة الرتيب في أذنيه كأصوات البشر ، يأتيه حيناً كصوت « يوكو » العذب ، يتردد كالصدي بين الجبال .. وأحياناً كأنفاس

« يوكيو » الأخيرة ، وهو يعالج سكرات الموت . . ثم كصوت « كوماكو » وهى تقول له : « أنت رجل طيب القلب ! . . أنت رجل طيب القلب ! »

وأحس فجأة برغبة فى البكاء ، اذ أدرك أنه قد ودع المرأة الوداع الأخير ، وأنه كان فى طريقه الى طوكيو ، ليحيا حياته الرتيبة . . بعيدا عنها !



● كان موسم نشاط خشرات العثة لوضع بيضها قد حان . . ولاحظ « شيمامورا » - حين استقر فى الفندق الصغير بالقرية الجبلية ، فى زيارته التالية لها ، بعد نحو عام - ان بعض الحشرات قد استقرت جامدة ، (بعد أن وضعت البيض) ، على مصاييح الزينة فى الشرفة ، وعلى الستائر التى أسدلت على النوافذ لتصد أشعة شمس الصيف .

ومر بخجرة الاستقبال - وهو عائد من الحمام - فرأى امرأة تبيع بعض السلع . كانت فى حوالى الأربعين ، تتخلل وجهها التجاعيد ، وان بدت بشرتها - عند بداية عنقها وصدرها - ناصعة البياض . . وما ان انصرفت ، حتى عرف - من صاحبة الفندق - انها من نساء « الجيشا » ، وقد تقدم عمرها ، وترهل جسمها . . وقالت صاحبة الفندق ، وهى تسخن بعض كعكات مستطيلة ، على المدفأة : « ألا تأخذ واحدة ؟ . . لقد جاءت بها المرأة ، احتفالاً بانتهاء خدمتها فى الجيشا ! » . . وتناول « شيمامورا » كعكة ، أخذ يقضمها مثلذا ، وقد اعتزم أن يسأل « كوماكو » عن تلك المرأة ، اذا التقى بها . .

ووافته « كوماكو » فعلا ، فى مساء ذلك اليوم . وتأملته لحظات فى برود ، ثم سألته : « لماذا جئت ؟ » . . واذا أجابها : « جئت لأراك » ، قالت فى فتور : « إنك لا تعنى ما تقول . . وأنا أكره القادمين من طوكيو ، لأنهم يكذبون ! » . . وما ان

استقرت على الحصر أمامه ، حتى زايلها الفتور ، وقالت في صوت حنون : « لن أودع أحدا ما حييت ، فلست قادرة علي أن أصف لك شعوري بعد أن تركتني في المرة السابقة ! » .. ووجد نفسه يسأله : « ماذا جرى له ؟ » .. قالت وقد أدركت من المعنى بسؤاله : « لقد مات .. طبعاً ! »
 - مات وأنت تودعينني ؟

- لم يكن هذا هو السبب في انني لم أخف اليه .. وما كنت أتصور انني أكره وداع شخص قدر ما كرهت وداعك يومذاك !

وأخني « شيمامورا » رأسه ، بينما استطردت تقول : « أين كنت في الرابع عشر من فبراير ؟ .. لكم انتظرتك في ذلك اليوم ، ولكنني أدرك الآن انه ما كان يجب أن أصدق وعدك ! » وكان قد وعداها حقبا بأن يأتي في ذلك اليوم ليشهد الثلوج ، وليشارك أطفال القرية - اذ كان اليوم عيد صيد الطيور لدى الأطفال - وقالت أنها ظلت تنتظره في ذلك اليوم ، حتى انها لم تلب برقية وصلتها من معلمة الموسيقى ، التي كانت تعاني التهابا رئويا ، في مدينتهما الأصلية ، على الساحل .. وسألها : « وهل تحسنت صحتها ؟ » .. فقالت : « لقد ذهبت اليها في المساء ، لأمكث بجوارها .. ولكنها ماتت ! »

وتحولت تمسح المائدة القصيرة السيقان ، وهي تروى له قصة « كيكويو » - امرأة « الجيشا » التي اعتزلت المهنة - وقالت : « لسوف أشعر بالوحدة بعد رحيلها ، فالأمور قد ساءت ، ولم تعد نساء الجيشا متعاونات ، بل أصبحت كل واحدة تفكر في نفسها فقط ، نتيجة مجيء عدد من الفتيات من بلاد مختلفة .. كانت « كيكويو » طيبة ، مريحة ، بمثابة الروح في كل مكان تحل به .. تزوجت ، ولكن زواجهما أخفق ، فعادت الى المهنة .. أتعرف المطعم الجديد ، في منتصف الطريق الى الجبل ؟ .. لقد بناه لها أحد المعجبين ، ولكنها -

أعرضت عنه ، إذ صادفت رجلاً آخر أحبته ، وداخلها الأمل في أن يتزوجها ! » . . . وأمسكت لحظة مترددة ، ثم قالت : « ولكنه تخلى عنها ورحل . . . أهذا ما يحدث عادة ، عندما تقع امرأة في غرام رجل ؟ . . . إنها لم تستطع العودة الى مهنتها ، ولا استطاعت أن تتولى إدارة المطعم بعد أن رفضته ، ولم يعد أمامها إلا أن ترحل ، لتبدأ حياة جديدة في مكان آخر ! . . . مسكينة ، كانت ضعيفة مع الرجال ! . . . من الحماسة أن تفقد المرأة صوابها كلما أظهر لها رجل الحب ! »

ونفضت فأغلقت النافذة ، وهي تقول : « ان كيكويو تعلم كل شيء عنك . . . وهي التي أخبرتني بوصولك ! . . . أتدرى ما شعوري الآن ؟ » . . . ثم عادت تفتح النافذة ، وجلست على حافتها . . . ولم تمض في الحديث ، فلما طال الصمت ، قال شيمامورا : « أنك لم تتغيري قط ! »

— هكذا يقول الجميع . . . كنت في السادسة عشرة حين جئت ، وها قد بلغت العشرين . . . ولكن الحياة تمضي كعهدها ، دون تغير . . . أما علمت أنني بدلت مسكني ؟ . . . انتقلت الى بيت يبيع أصحابه الحلوى والسجائر في مدخله ، وليس فيه من بنات « الجيشا » سوى . . . لقد تعاقدت معهم على العمل ، ولكنهم يحسنون معاملتي . . .

— ما أحسبك تستطيعين استئجار بيت خاص بك . . . — هكذا يقول الجميع . . . ان في البيت أربعة أطفال ، أحبهم ويحبونني . . . ولكنهم لا يدعون شيئاً في مكانه ، فأظل طيلة النهار أرتب الأشياء ، ليعودوا فيبعثوها . . . ولكني أجد متعة في هذا . . . أتفهم شعوري ؟

وقال انه يفهمه ، فصاحت : « اذن صفه لي ! . . . ها انتذا تعجز عن وصفه ، لأنك لا تفهمه ! . . . أنك رجل ذو مال ، ولكن لا شخصية لك ، ولست تفهم شيئاً عني . . . انني أعيش في وحدة موحشة ، فلماذا تتدخل في حياتي ؟ . . . عد الى طوكيو ! »

.. وكانت لهجتها تفيض أسى وعتابا ، وأغمضت عينيها -
 كأنما خشيت أن تشيا بالمها - حتى اذا استطاعت العودة
 للكلام ، قالت : « يكفي أن تأتي مرة واحدة في السنة ..
 اتعدنى بأن تأتي مرة واحدة ، ما دمت هنا ؟ » .. واقتربت
 منه ، فضمها إليه ، وسألها : « ألا تشعرين بالبرد ؟ » ..
 ودار بخلده انه حضر ثلاث مرات في أقل من عامين ، وكان -
 في كل مرة - يلمس تغيرا في حياة « كوماكو » ، وفي جسمها
 .. وكأنما أدركت ما بخاطره ، فقالت : « لقد أخذت في
 السمنة ، منذ كفت عن التدخين ! » .. وكان قد لاحظ أن
 صدرها ازداد امتلاء .. وفطنت الى نظراته ، فضمت ثدييها
 بين يديها ، وقالت : « ان أحدهما أكبر من الآخر ! »
 - لعل ذلك راجع الى أنه تعود العبث بواحد دون الثانى !
 وتولاها الغضب ، وصاحت : « من ؟ .. ما كان لك أن
 تقول هذا ؟ » .. وما لبثت أن روت له كيف أن الطبيب سألها
 أن تعرى صدرها - عندما فحصها - وهى تتأهب لحياة
 « الجيشا » - حتى يتأكد من سلامتها من السل ، فبكت وهى
 تكشف صدرها مضطرة ، بينما ضحك الطبيب لسذاجتها ،
 وطمانها الى سلامة صدرها .. وذكرت أنها تغتسل يوميا في
 الينابيع الساخنة ، الشهيرة بأملاحها المعدنية ، وتسير على
 قدميها ثلاثة كيلومترات ذهابا وعودة ، ولهذا ظلت سليمة
 الصحة ، قوية الجسم .. ولو أن لباس « الجيشا » -
 والأحزمة التى تشد حول الخصر - قد جعلت بطنها ضامرة
 .. واستطردت قائلة : « لهذا اتساءل عما اذا كان من الممكن
 أن أنجب أطفالا ! .. وهل فى وسع المرأة أن ترتبط برجل
 واحد ، تصبح له أشبه بـ زوجة ؟ »

كانت هذه أول مرة سمع فيها « شيمامورا » مسألة
 « الرجل الواحد » ، ولكنه شجعها على المضي في الحديث ،
 فذكرت أنها - منذ كانت فى السادسة عشرة - عرفت رجلا ،

ولكنها لم تحبه ، ولا شعرت يوما بأنه قريب الي قلبها . . . وكان ذلك بعد وفاة الرجل الذي أحسن اليها وسدد عنها ديونها الي بيت ((الجيشا)) . . .

— معنى هذا أنك تعرفينه منذ خمس سنوات ، فلا شك أن شيئا من العاطفة قد تولد عندك نحوه !

— سنحت لى فرصتان لأقطع كل صلة به . . . ولكنى لم أجد الجرأة الكافية ، فأنا ضعيفة الإرادة . . .

كان الرجل يعيش فى بلدتها الساحلية ١٥ ولكنه لا يرتاح لوجودها هناك ، نظرا لوجود بيته وزوجته . . . لهذا أرسلها مع معلمة الموسيقى ، حين انتقلت الى القرية الجبلية . . . وكان كريما معها ، مما كان يجعلها تشعر بالحزن ، لأنها لا تملك أن تهبه كل حياتها . . . وكان يكبرها بكثير . . . ومضت تقول : ((أخال أحيانا أن فى وسعى التخلص منه ، اذا أنا تخليت عن الاستقامة . . .)) . . . فقال شيمامورا : « لا ينبغى أن تفكرى فى هذا ! »

— مهما أفكر فلن أجد الجرأة ، لأن هذا ليس من طبعى . . . فأنا أحترم الجسد الذى أعيش فيه ، ولا أحب له أن يمتهن . . . واذا ذهبت الى حفل ولم أرتح الى من فيه ، تسلفت هاربة . . . ومع ذلك فأنا أكسب ما فيه الكفاية !



● وفى الصباح التالى استيقظت « كوماكو » مبكرة ١٤ فأيقظت « شيمامورا » . . . وفيما كانا يتحدثان ، تذكر « يوكو » ، فسألها عنها . . . ورمته بنظرة سريعة ، ثم أشاحت قائلة : « انها تقضى معظم وقتها فى المقبرة ! » . . . وبعد انصرافها ، وجد « شيمامورا » قدميه تحملايه الى مقابر القرية . . . ورأى « يوكو » جاثية على حصير من القش ، بجوار قبر ابن معلمة الموسيقى ، وهى تعبت ببعض حبات الفاصوليا ، وتغنى

بصوتها الصافي الذي ازداد ما كان يزخر به من حزن شجي !
وفي ساعة الغروب ، وقف « شيمامورا » في نافذة حجرتها ،
يرقب نهار الخريف وهو يحتضر .. وألقى ذهنه يتجه الى
« يوكو » ، وأصداء غنائها الحزين تتردد في سمعه . وعجب
من نفسه ، اذ تذكر هذه الفتاة - والحنين يراوده الى رفيقة ،
مع هبوط الليل - ولم يتذكر « كوماكو » ! .. وخيل اليه ان
ذلك كان راجعا الى قربها منه ، فهي في متناولها ، بدليل انه
كثيرا ما فكر فيها وهو بعيد عنها !

ودفعه السأم الى ان يأوى الى فراشه مبكرا .. واستغرق
في النوم ، حتى انه لم يفتن الى ان المطر ظل يهطل غزيرا طيلة
الليل ، ولم ينبهه الى هذا سوى « كوماكو » ، عندما استيقظ
في الصباح .. فوجدتها جالسة تقرأ .. وساءل نفسه اذ
راها ، أيحتمل ان تكون قد جاءت خلال الليل ، دون ان يشعر
بها ؟ .. وتأمل ساعته ، فاذا بها تشير الى السادسة
والنصف ، فقال : « اراك قد جئت مبكرة ! »

- لقد جاءت الخادم بالفحم ، وأشعلت لك نار المدفأة ،
فانهض !

واندست الى جواره في الفراش ، فخطر له انها صورة
مثالية لربة البيت .. وأخذ يربت يدها في رفق ، وهو يقول :
« ولكن الشمس لم تشرق بعد ! »

- لقد نعمت بنوم عميق وانت وحيدك .. كان منظرك
مضحكا وانت نائم ، ووجهك ممتلئ - بلا شارب - وبشرتك
بيضاء ..

- اذن : فقد كنت تتفرسين في وجهي وأنا نائم ؟ !
وابتسمت ، ثم تحولت ابتسامتها الى ضحك ، وهي
تضغط يده ، وقالت : « لقد اختبأت في خزانة الملابس ، فلم
تشعر الخادم بوجودي ، حين أحضرت الفحم ! » .. وأزاح
الغطاء ، ثم قال : « ما أبرد الجو ! .. هل استيقظ أهل

الفندق ؟ » .. فأجابته : « لا أدري ، فقد جئت من الباب الخلفى .. هناك طريق بين التلال ، أمنت فيه عيون الرقباء .. ولم يشعر أحد بدخولى الى هنا ! »
- لا بد أنك استيقظت جد مبكرة !

- لم يواتنى النوم ليلة أمس .. يحسن بى أن أنصرف الآن ، فعد الى نومك !

ولكنه وثب من الفراش ، وسار الى النافذة ، فأطل على الطريق التى سلكتها عبر التلال .. حتى اذا ارتد ، وجد « كوماكو » جالسة الى جوار المدفأة ، فى دعة ورقة - بعد أن نظفت الحجرة ورتبتها بسرعة وخفة - وقالت : « سأنصرف الآن ، فلدى أعمال كثيرة .. واليوم السبت ، وفيه تقام الحفلات .. فى الفندق حفلة الليلة ، ولكنهم لم يخبرونى الا مساء أمس ، بعد أن ارتبطت بحفلات أخرى .. فلن أراك الليلة غالبا ! »

ومع ذلك ، فانهما لم تتعجل الانصراف ، بل صحبت « شيمامورا » الى حديقة الفندق ، ودلفت به الى شجيرات الغاب التى شقت طريقها ، خلالها الى باب الفندق الخلفى .. وعجب - فى نفسه - من سلوكها طريقا شاقا كهذه .. وواصل السير حتى بلغا النهر ، فقال : « أتخمين أن نعبّر النهر ؟ .. ان قبر خطيبك على الضفة الأخرى ! » .. فتوقفت « كوماكو » فجأة ، ونصبت قامتها ، وهى ترمقه غاضبة ، وقالت : « أتسخر منى ؟ .. ما الذى يدعو للذهاب الى المقابر ؟ .. ولماذا تسميه خطيبى ، وقد حدثتك عن حقيقة علاقتى به ، وقلت انه لم يكن خطيبى يوما ؟ »

ولم يكن « شيمامورا » قد نسى هذا .. ولكنه لم ينس - كذلك - انها أصبحت من فتيات « الجيشسا » كى تدبر نفقات علاجه ! .. وتطلعت اليه الفتاة - اذ طال صمته - قابضم ليخفى عنها خواطره .. وكأنها اطمأنت الى ابتسامته ،

فتأبطت ذراعه ، قائلة : « انك رجل طيب القلب ، ولكن شيئا ما يبعث الحزن في نفسك ! .. ان اهل طوكيو معقدون ، اذ يعيشون في ضجيج وصخب يمزقان أعصابهم ، ويفتتان مشاعرهم ! » .. فقال معقبا : « كل شيء في الحياة يتفتت ! »
 - حتى الحياة ذاتها ، تتفتت في النهاية ! .. أتريد أن نذهب الى المقابر ؟ .. اننى لم اذهب الى هناك قط ، ولهذا أشعر بالذنب ، لاسيما بعد أن دفنت معلمة الموسيقى هناك .. ولكن ذهابى - بعد هذا التقصير - يكون تظاهرا ، وليس نابعا عن شعور بالوفاء .

قال : « انك أكثر تعقيدا منى ! »

- لماذا ؟ .. ألانى أريد أن أكون صريحة معه بعد موته ، وقد كنت - طيلة حياته - أخشى مصارحته بالحقيقة ؟ !
 وعبرا النهر ، ثم سارا محاذيين للسكة الحديدية ، حتى بلغا المقابر . كانت هناك نصب حجرية عشت بها يد الزمن ، وتمثال للاله « جيزو » ، حارس الأطفال .. وما لبث أن برز من بين الاعشاب - النامية خلف التمثال - وجه « يوكو » وكتفاها .. كان وجهها شاحبا ، واجما ، خاليا من أى تعبير .. وأحنت رأسها تحيى « شيمامورا » ، دون أن تنبس ببنت شفة .. وفجأة ، مر قطار بضاعة ، فزلزل الأرض ، وأثار عاصفة من الدخان والغبار .. وبياب إحدى عرباته ، وقف فتى يلوح بقبعتيه ، وهو يصيح : « يوكو ! .. يوكو ! .. » .. فصاحت الفتاة بدورها : « سائشيرو ! » .. وبدأ صوتها رخيما ، حنونا ، فتذكر « شيمامورا » أول مرة رآها ، وهى تحدث ناظر المحطة .. وكانت رنة الحزن والوحشة واضحة فى ذلك الصوت ! .. وقالت يوكو ، بعد أن انجابت سحابة الدخان : « هذا أخى ! » .. ثم نكست رأسها ، وركعت أمام القبر ، و « كوماكو » تلاحظها بعدم اهتمام ، بينما كان « شيمامورا » يتأمل التمثال ذا الوجوه الثلاثة والأذرع الأربع !

وانسحب « شيمامورا » و « كوماكو » ، وسلكا طريقا بين حقول الأرز ، أفضى بهما الى القرية . . ومرا بيت معلمة الموسيقى ، فتسائل الرجل : « هل تقيم يوكو في هذا البيت وحدها ؟ » . . فأجابت في حدة : « لا أظن . . ولكنك تسأل عما لا يعنيك . . وقد أفسدنا عليها زيارتها للمقبرة ! »
 - لا داعى لخلق المشكلات . اتظنين لقاءنا بها في المقبرة ازعاجا ؟



● وانتظرها « شيمامورا » في تلك الليلة ، فلم تحضر . وحوالى منتصف الليل ، أوى الى فراشه . ولكنه فوجيء بها في الساعة الثالثة صباحا - تفتح الحجر ، وترتمى عليه ، وهى تقول متلعثمة : « قلت اننى سأحضر . . وها قد حضرت . . حضرت كما وعدتك ! » . . وكان صدرها يعلو وينخفض ، وكأنها قامت بمجهود كبير ، فقال : « يبدو أنك أسرفت في الشراب . . كيف استطعت صعود التل ، وأنت بهذه الحال ؟ »
 - لا أدري ، ولكنى وعدتك بالحضور ، وها قد حضرت . . اننى أشعر بصداع !

وترجرح ليفسح لها مكانا بجانبه . ولمست يده رأسها ، فأحس بان حرارتها مرتفعة . . وقالت : « أتخشى أن أحرق الفراش ؟ . . حذار من أن تحترق أنت ! » . . وعادت تكرر : « وعدت بان أحضر ، وها قد حضرت ! » . . ثم زحفت من الفراش على ركبتيها ، حتى بلغت الثلاثية ، وأخذت تعب الماء عبا . . ونهض « شيمامورا » فأضاء الحجرة ، ولكنها صاحت : « أطفئ النور ! » . . وما لبثت - بعد قليل - أن قالت : « أن معى مقصا . . هلا قطعتها لى ؟ »

- ما هذه التى تريدن أن أقطعها ؟

. وأشارت الى الخيوط التى تثبت « باروكة » الجيشا الى رأسها ، وقالت : « هذه ! » . . وما ان قص الخيوط ، حتى

بدا على المرأة الهدوء ، وسألته عن الساعة . واذ علمت انها تجاوزت الثالثة ، قالت : « حقا ! .. كنت قد وعدت بعض الناس بمرافقتهم الى الحمام ! » .. وأخذت تمشط شعرها ، وقد انسأب غزيرا فاحما ، ثم تناولت « الباروكة » وهى تضحك قائلة : « لابد أن أذهب ، فلا يليق أن أتركهم ينتظرون ! » . وتعثرت وهى فى طريقها الى الباب ، ولكنها أصرت على الانصراف .. وعاد « شيمامورا » الى فراشه ، وهو يعجب من انها جاءت فى الساعة صباحا ، ثم فى الثالثة بعد منتصف الليل .. مرتين فى أربع وعشرين ساعة ، وفى موعدين لا ترتقب فيهما فتاة « الجيشا » ، فما معنى هذا ؟ وغلبه النعاس ، دون أن يصل الى جواب !



● انهمكت الخادومات فى تزيين مدخل الفندق ، استعدادا لاستقبال النزلاء الذين تعودوا الحضور فى فصل الخريف .. واذ رأى رئيس الخدم أن « شيمامورا » وقف يرقب النشاط ، دفع اليه بشرة من فاكهة تشبه الرمان ، قائلا إنها تدعى « آكيبى » . وتستخدم فى الزينة لجمال منظرها . وبينما كان « شيمامورا » يتحسسها ويشمها ، لمح « يوكو » تجلس بجوار المدفأة فى البهو ، بينما كانت صاحبة الفندق تدفئ بعض زجاجات شراب « الساكاي » . وكانت « يوكو » ترتدى (كيمونو) داكن اللون ، من قماش رخيص .. فسأل شيمامورا رئيس الخدم ، متظاهرا بعدم الاكتراث : « أهى تعمل هنا ؟ » — نعم يا سيدى ، نظرا لكثرة النزلاء .. انها فتاة غريبة الأطوار ، ولا تحب مقابلة النزلاء ، ولذا عهدنا اليها بالعمل فى المطبخ !

واذ عرف « شيمامورا » أن « يوكو » انضمت الى الفندق ، داخله زهد فى استلباء « كوماكو » ! .. كان يشعر بفراغ فى

حياته ، لم تستطع أن تملاؤه ، برغم ما لمس من حبها له . كان عالم « كوماكو » جميلاً ، ولكنه بلا أمل ، لأنها كانت تسعى الى أن تعيش لشيماورا وحده ، وهو لا يملك أن يجاريها . . . ولهذا كان يشفق عليها ، وعلى نفسه !

ومع ذلك ، فقد ظلت « كوماكو » تزوره - في غرفته - دون أن يستدعيها ، وتعرج عليه وهي في طريقها الى الحمام ، وتتسلل من الحفلات لتأتى الى الحجرة ، فتسوى زينتها في المراة ، ثم تتأهب للانصراف ، قائلة : « والآن ، الى العمل ! . . اننى مشغولة جداً . . جداً ! »

ولكنها كانت لا تفتأ تشكو من متاعب العمل ، ومضايقات العملاء ، مما جعل « شيماورا » يشعر بأنها كانت تكره عملها ، وتتمنى الهروب منه ، والبعد عن حياة الصخب والمجون . . . ومع ذلك ، فان ضيقها من هذه الحياة كان يزيد من الاقبال عليها في بيوت « الجيشا » ! . . وذات مساء قالت له : « كلما جئت ، سألتنى الخادومات عما اذا كنت قادمة لك ، وهن يتفامرن . . ما تصورت قط ان الاقاويل تضايق المرء الى هذا الحد . ان الجميع يعلمون بعلاقتنا ، ولكن عمل الواحدة منا يتأثر اذا حفت الاقاويل بسمعتها ، لا سيما في قرية صغيرة كهذه ! »

وكان تماديها في الصراحة الى هذا الحد جديداً على « شيماورا » ، الثرى الذى لم يشعر يوماً بالحاجة الى العمل ، وبالمضايقات التى تعترض لقمة العيش . . . واستطردت « كوماكو » تقول : « لا قيمة لهذا ، فمن الممكن الحصول على عمل فى مكان آخر . ومع أن هذا الأمر قد يتكرر أينما أذهب ، فانه لا داعى للقلق . . ولست أشكو على أية حال ، فان الحب الحقيقى من نصيب النساء وحدهن ! » وغضت بصرها ، وقد تضرع وجهها حياء ، فقال : « هكذا هي الدنيا ! » . . وتطلعت اليه ، وهي تضيف : « وكذلك

كانت على مر العصور ! .. وفي أمسية أخرى كانت قد قالت له أن في الفندق حفلا كبيرا ، قد لا يتيح لها أن توافيه في غرفته . ولكنه لم يلبث أن سمع صوت « يوكو » الصافي يستأذنه في الدخول .. ودفعت إليه بورقة ، وهي تركع باضطراب ، قائلة : « طلبت منى كوماكو أن آتيك بهذه ! »

وقض الورقة ، فاذا بها رسالة كتبت بيد مرتعشة ، لفرط الشراب ، وقد جاء فيها : « انني أقضي وقتا طيبا ، وسط الصخب والشراب » ! .. ولم تنقض عشر دقائق ، حتى جاءت « كوماكو » بنفسها ، وهي تترنح .. وقالت : « زعمت أنني ذاهبة لأحضار مزيد من الساكي ، وحيث .. لقد رأني رئيس الخدم ، ولكني لم أعد أحفل بما يقولون ! »

— أن جسمك يضطرم حرارة ، لفرط ما شربت !

— ولكن العمل يستدعيني .. هل قالت لك شيئا ؟ ..

انها شديدة الغيرة .. وقد تقدم على القتل يوما !

وأدرك أنها تعني « يوكو » ، وأنها ما جاءت إلا لتطمئن الى أنه لم يحتجزها في غرفته .. ولكنه تجاهل ذلك ، وسألها : « أتعلم هذه الفتاة هنا ؟ »

— أنها تأتينا بالشراب ، ثم تقف بباب القاعة تحمق فينا ،

بعينين براقبتين .. أظنك تحب هذا النوع من العيون ؟

وتغابى عن سؤالها ، قائلا : « لعل مسلكك لا يرضيها ! »

.. وأثارتها عبارته ، فقالت : « ماذا تعني ؟ .. أحسبك تريد

أن تنالها هي الأخرى ! .. أتراني ثملة ؟ »

وتأملت نفسها في المرآة ، ثم اندفعت خارجة !



● انتهى الحفل ، وساد الهدوء الفندق ، فلم يعد

« شيمامورا » يسمع إلا صوت الأطباق وهي تغسل في

المطبخ . وأدرك حين لم تحضر اليه « كوماكو » ، أنها لا بد قد ذهبت مع بعض العملاء الى حفل آخر . . وما لبثت « يوكو » أن حملت اليه رسالة أخرى ، جاء فيها : « قررت عدم الذهاب الى البيت . سأحضر حفلا آخر ، وربما حضرت لأراك قبل عودتي الى المنزل » . فابتسم شيمامورا ابتسامة باهتة ، وهو يشعر بالخرج أمام يوكو ، وقال لها : « شكرا لك . . سمعت أنك تساعدني في الحفلات هنا ! » ، والفت اليه نظرة سريعة من عينيها الجميلتين ، فأحس بارتباك يزداد . كانت الفتاة تترك في نفسه أثرا عميقا في كل مرة يراها . واذ جلست أمامه الآن في رزانتها وهدوئها ، شعر بأن حادثا هاما كان يوشك أن يقع ، وتكون هي اهم الأطراف فيه . فقال لها : « من الغريب أنني أراك كثيرا ولا أعرف عنك الا القليل : أول مرة رأيتك فيها ، عندما كنت ترافقين ذلك الرجل من طوكيو ، وقد تحدثت يومئذ مع ناظر المحطة عن أخيك . فهل تذكرين هذا ؟ »

واذ أجابت بأنها تذكره ، قال : « سمعت أنك تغنين في الحمام ، قبل ذهابك الى الفراش ! »

— حقا ؟ هل يتهمونني بسوء السلوك الى هذا الحد ؟ ولكن من قال لك هذا ، أهى كوماكو ؟

— انها لا تقول شيئا عنك قط . . والظاهر انها لا تحب الحديث عنك !

وحولت « يوكو » عنه وجهها وهي تقول : « ان كوماكو طيبة ، ولكن الحظ خانها في حياتها ، فأرجو أن تحسن معاملتها » .

— ولكنى لا أملك ما أستطيع عمله لها !

وخيل لشيمامورا أن كلماته أثرت في الفتاة تأثيرا شديدا ،
فبدأ جسمها يرتعش من شدة الانفعال . وأشاح بوجهه عنها ،
وهو يقول : « لعل الأصوب لى أن أعود الى طوكيو » .
فقالت الفتاة : « أنا الأخرى سأذهب الى طوكيو قريبا ! »

— هل أراك في طوكيو عند عودتى اليها ؟

— أرجو أن تفعل ذلك .

— وهل توافق اسرتك على ذلك ؟

— ان أخى الذى يعمل فى السكك الحديدية هو كل
اسرتى ، وعلى هذا فأننى أقرر بنفسى ما أراه صالحا .

— هل تحدثت مع كوماكو فى هذا ؟

— مع كوماكو ! ؟ . . أنا لا أحب كوماكو ، ولهذا لم
أتحدث اليها .

ونظرت اليه الفتاة بعينين نديتين ، فرأى لأول مرة
علامات الاستسلام ، وكأنها تضع مصيرها بين يديه . . ومن
الغريب أنه شعر — فى تلك اللحظة — بعاطفة قوية نحو
« كوماكو » ! . . وعاد يسأل الفتاة : « ألا يخيفك الذهاب
وحدك مع رجل لا تكادين تعرفينه ؟ »

— ولماذا يخيفنى هذا ؟

— ألا ترين أنه من المجازفة أن تذهبي الى طوكيو دون أن
تدبرى لك مأوى ، وعملا ؟

— إذا كانت المرأة بمفردها فإنها تستطيع أن تدبر أمرها
. . أتوافق على أن أعمل خادمة عنده ؟

— تعملين كخادمة ؟ . . ماذا كنت تعملين فى طوكيو
من قبل ؟

— كنت ممرضة . . الحق اننى كنت افكر فى أن أصبح
ممرضة ! . . ولكنى لم اعد راغبة !

وتذكر « شيمامورا » كيف كانت تعنى بابن معلمة الموسيقى فى القطار ، فقال : « يجب أن تقررى أمرا ، فإن هذا التردد لا يؤدي بك الى نتيجة » .

- التردد ؟ .. ان المسألة ليست مسألة تردد !

وأطلقت ضحكة عالية ، فبدأ ضحكها - كصوتها - رائقا عذبا ، مس شفاف قلب « شيمامورا » للمرة الثانية . وقالت : « ليس هناك غير رجل واحد أستطيع أن أمرضه ، وقد مات هذا الرجل ! » .. ودهش « شيمامورا » لجوابها ، اذ لم يكن ينتظره ، فقال : « الآن فهمت .. وقد سمعت أنك تقضين معظم وقتك فى المقبرة .. فكيف تتركين القبر وتذهبين الى طوكيو ؟ »

- يؤسفنى هذا ، ولكنى أرجو أن تأخذنى معك !

- تقول كوماكو أنك شديدة الغيرة . ألم يكن الرجل خطيبها ؟

- يوكيو ؟ .. هذا كذب !

- لماذا تكرهين كوماكو إذن ؟

ونظرت الى « شيمامورا » فى غضب ، ثم قالت : « كوماكو ؟ .. أرجو أن تحسن معاملتها ! .. انها تقول أن الأمر سينتهى بى الى الجنون ! » .. وتهدج صوتها ، وأغرورقت عيناهما .. ثم هرولت خارجة من الغرفة . وأحس « شيمامورا » برعشة من البرد تسرى فى أوصاله ، فقام يمشى فى الغرفة ، وفتح النافذة ، فوقع بصره - فى حجرة مقابلة - على « كوماكو » تلعب الشطرنج اليابانى مع بعض الضيوف .

وكانت الغيسوم قد تكاثفت فى السماء .. وغدا « شيمامورا » حجزته الى الحمام ليغتسل ، واذا به يسمع صوت « يوكو » العذب ، الضافى ، يرتفع - من حمام النساء -

باغنية من أغاني الأطفال . . وأوحت اليه كلماتها التي لا تحمل
 أى معنى - شأن أغاني الأطفال عادة - بخاطر غريب : أترأه
 تمثّل ((يوكو)) طفلة في منامه ؟ . . ولكنه لم يكن نائما ! . . وفي
 عودته الى حجرته ، التقى بكوماكو عند قاعة الجلوس ، فأطلقت
 ضحكة عايسة ، ولكن الألم لم يلبث أن طغى على قسّمات
 وجهها ، فأغمضت عينيها ، وتركت طرف ثوبها يتدلى على
 الأرض . . ثم ارتمت على « شيمامورا » قائلة : « خذنى الى
 المنزل من فضلك ! . . لقد انصرفت الفتيات وتركنى هنا .
 ولن تقول احداهن شيئا اذا لم ألحق بهن ، ولكنهن اذا مررن
 بمنزلى في طريقهن الى الحمام ، ولم يجدننى فيه ، سيكثرن
 من الأقاويل ! »

وبرغم أنها كانت قد أسرفت في الشراب ، فقد مضت الى
 جواره تهبط التل في نشاط . وقال لها : « ان يوكو بكت كثيرا
 حين ذكرت انك قلت لها انها ستجن ! »
 - ان لها تصرفات المجانين أحيانا .

- هذا لا يدعو الى أن تقولى لها انها ستنتهى الى الجنون
 . . لاسيما انها أوصتنى بالترفق بك .

- وما شأنها بهذا ؟ ولماذا تقوله أنت لى ؟

- وما الضرر فى أن أقول لك ذلك ؟ . . لماذا تغضبين كلما
 ذكرت هذه الفتاة ؟

- هل تريد أن تتخذها عشيقة لك ؟

- اسمعى ! . . ما الداعى لأن تبدى ملاحظة كهذه ؟

- اننى جادة فيما أقول . فكلما نظرت اليها أحسست
 كما لو كنت أحمل عبئا ثقيلا لا أستطيع التخلص منه . . اذا
 كنت تحبها ، فلماذا لا تريح هذا العبء عن كاهلى ؟ !

- انك تتجاوزين فى حديثك كل الحدود .

— أنت تظننى ثملة اهذى . ولكنك مخطيء ، فانا أعرف
أنك سوف تعنى بها ، بينما ابقى هنا اتابع حياة اللهو والمجون ،
حتى ينتهى عمري !

وتركته وانطلقت تعدو نحو باب البيت . وكان مقلقا .
وتبعها « شيمامورا » حتى وقف الى جانبها أمام الباب ،
وقال : « يظهر أنهم يشبوا من عودتك الليلة ! »
— ولكنى أستطيع فتحه !

وكان الباب قديما ، فرفعته قليلا ، ودفعته الى الخلف ،
ثم قالت له : « تفضل بالدخول ! »
— فى هذه الساعة المتأخرة ؟

وتردد فى الدخول ، فقالت : « اذن ، سأصحبك الى
الفندق ! »

ودخل البيت معها . . ومرا بالحجرة الرئيسية ، حيث
شاهدا أفراد الأسرة ممددين على الفراش فوق الحصير —
الاب والام وخمسة أطفال أو ستة — وقد تغطت أجسادهم
ببطائن ابلاها القدم . وكانت مظاهر الفاقة تبدو مختلطة
بمقالم من الحيوية البدافقة . . وشعر « شيمامورا » بالخرج ،
فتراجع ، ولكن « كوماكو » أخذت بيده نحو السبيل وهى
تقول : « انتظر هنا ، وسوف أضىء المصباح فى الطابق
الأعلى ! »

ولكنه صعد خلفها فى الظلام . . فلما أضاءت المصباح رأى
الحصير — فى الحجرات الأربع بالطابق الأعلى — قديما كالح
اللون أيضا . وكانت الأبواب المنزقة بين الحجرات قد أزيلت ،
فبدا المكان كقاعة واحدة واسعة الأرجاء ، وفى ركن منها كان
فراش « كوماكو » على الحصير . . صغيرا منعزلا . .
وجلس « كوماكو » على الحصير ، وقدمت له الوسادة

الوحيدة في المكان ليجلس عليها ، ثم تأملت وجهها في المرآة ، وقالت : « أن وجهي أحمر حقاً ، فهل أنا ثملة الى هذا الحد ؟ » . . وفتشت في أحد أدراج طاولة الزينة ، وتناولت شيئاً قدمته لشيمامورا قائلة : « (إليك مذكراتي !) » . . ثم أخذت صندوقاً خشبياً جميل الصنع امتلأ الى حافته بأنواع شتى من السجائر ، وقالت : « عند ما يقدم لي أحد العملاء سيجارة ، أضعها في كم الكيمونو أو في الحزام ، لأضفيها الى ما في هذا الصندوق . . ستجد فيه كل الأنواع ، فاختر ما يحلو لك ! »

— لا بأس ! . . وما أخبار الحياكة ؟

— أحاول أن أمارسها كلما وجدت شيئاً من الفراغ ، ولو أن زوار الخريف من الكثرة بحيث لا يتركون لي فراغاً في هذه الأيام .

ولاحظ « شيمامورا » أن طاولة الزينة ، والمرآة ، وصندوق السجائر ، وصندوق أدوات الخياطة . . كانت كلها من نوع فاخر يتناقض مع الحصر القديم ، والورق البالي الذي يغطي الجدران ! . . وسألها : « هل تنوين حقاً أن تقيمي هنا أربع سنين ؟ »

— لقد انقضت سنة تقريباً ، وسوف تمر الثلاث الباقيات سريعاً .

وكان « شيمامورا » يحس بالخرج . . ولم يعد ذهنه يسعفه بمادة للحديث ، فنهض من مكانه متأهباً للانصراف . وتبعته « كوماكو » الى خارج البيت ، فتطلعت الى السماء قائلة : « سينهمر الثلج قريباً ، وينتهي بهذا فصل الخريف ! » . . وأردفت قائلة : « سأرافقك حتى الفندق . . ثم اتركك ! » . . ولكنها حين بلغا الفندق لم تتركه . . بل تبعته الى

غرفته ، وقالت له : « اذهب أنت الى فراشك ! » . . وما لبثت أن أحضرت كأسين مليئتين بالساكى ، وقالت بعد أن أغلقت الباب : « اشرب ! . . لنتناول معا كأسا أخيرة الليلة ! » . . ودار رأسه ، أثر احتسائه الكأس ، فارتمى على الفراش . ووضعت « كوماكو » ذراعيها حوله في حنان ، فأحس بالطمأنينة إذ سرت الحرارة من جسمها اليه . . ورأى على وجهها علامات الحزن والحنان ، كامرأة صغيرة تشتهي الأطفال ، فقال لها : « أنك فتاة طيبة ! »

— لماذا ؟ لماذا أنا طيبة ؟ . . وماذا فعلت حتى تصفنى بالطيبة ؟ . . لست طيبة ، ووجودك يسبب لى متاعب كثيرة . فخير لك أن تعود الى بلادك . فى كل مرة آتى ان يارتك ، أحرص على أن ارتدى كيمونو جديد ، حتى لم يعد لى ما البسة . . وهذا الذى ارتديه استعمرته من بعض زميلاتي !

وسكت شيمامورا ولم يقل شيئا . . فاستطردت فى انفعال : « أى معالم للطيبة رأيتها فى ؟ . . فى أول يوم رأيتك ، شعرت بأننى لم أكره شخصا لأول وهلة ، قدر ما كرهتلك ، لأنك قلت لى أشياء لا يقولها الناس عادة ! » . . وأحنى شيمامورا رأسه ، بينما واصلت المرأة حديثها : « أتفهم لماذا لم أقل لك هذا من قبل ؟ . . المرأة لا تصارح الرجل بمثل هذه الأشياء ، إلا اذا كانت قد تجاوزت فى علاقتها به كل حدا ! » قال شيمامورا : « أنك امرأة طيبة ! »

وكانت تدفن وجهها فى جانب من الوسادة ، فرفعت رأسها على مرفقها فى غضب ، وهى تسأله : « امرأة طيبة ؟ ! . . ماذا تعنى بهذا ؟ » . . ولم يجب ، وإنما مضى يحدق فى وجهها ، فقالت : « اعترف بالحقيقة . ان سبب مجيئك الى هنا هو اننى ساذجة لا طيبة . . كنت تضحك منى طول الوقت ، ولا تطلب أكثر من المتعة الرخيصة ! » . . وزاد

غضبها فجعل جسدها يهتز ، وسالت دموعها .. ثم تركت الفراش ، وجلست وظهرها اليه ، وهي تقول بلاكية : « اننى اكرهك ! »

وأحس شيمامورا بألم حين تبين الخطأ الذى وقع فيه .. وظل راقدا فى فراشه وقد أغمض عينيه .. بينما راحت تتمتم ، كما لو كانت تحدث نفسها : « لكم أنا حزينة ! » .. ثم غادرت الحجرة ، دون أن تنظر اليه أو تحييه ! .. ولم يستطع « شيمامورا » أن يناديها أو يخرج وراءها ، لأنه شعر بأنها كانت محقة فى غضبها .. ولم تنقض دقائق حتى عادت الى الغرفة فى ذلة ، ووقفت بالباب مطأطئة رأسها ، وقالت فى صوت منخفض : « ألا تريد أن تغتسل ؟ .. اننى آسفة ، لقد راجعت نفسى ، وجئت أعتذر اليك ! »



● استيقظ « شيمامورا » - ظهر اليوم التالى - على صوت يغنى مقطوعة من إحدى مسرحيات الفجر ، فظل فى فراشه يصفى الى الغناء ، حتى جاءت « كوماكو » الى جانبه ، فابتسمت فى وجهه ، ثم فتحت النافذة ، فرأى السماء ملبدة بالغيوم ، والثلج يسقط كقطع من القطن المنفوش ، وبدأ المنظر لشيمامورا كما لو كان فى عالم غريب ، ونظر الى « كوماكو » فإذا هى قد جلست أمام المرأة . وكان « الكيمونو » الذى ارتدته مفتوحا عند الرقبة ، فبدأ عنقها أبيض نظيفا .. وجمال بخاطره أنه لم يكن يحسبها ممن يثرن عاصفة شديدة لمجرد ملاحظة عابرة ، كما كشف حديثها بالأمس .. وبدأ يدرك شيئا عن طبيعة هذه المرأة وما تتميز به من ازهاف وحساسية !

وطال بقاء « شيمامورا » فى القرية الجبلية هذه المرة حتى

أخذ الناس يعجبون مما إذا كان قد نسي زوجته وأولاده ، أو كان عاجزا عن فراق « كوماكو » . . ولكن الواقع أن تعدد زياراته للقرية الجبلية ، جعله يفتن الى نقص في حياته - في بيته ومع أولاده - في طوكيو . . وفي نفس الوقت ، لم يكن بقاءه في القرية مبعثا لرضاه !! ووقف « شيمامورا » في نافذة غرفته ، يتطلع الى الجبال التي بدأت الثلوج تكسوها ، ويفكر فيما كان يحس به من برود في أعماق نفسه . . كان يدرك أن « كوماكو » قد أعطته كل شيء ، ولكنه لم يكن يستطيع أن يهبها شيئا من حياته . وأدرك أنه لم يعد قادرا على أن يستمر في هذا الخداع . . وان عليه أن يرحل !

وخطر لشيمامورا أن يقوم برحلة في الجبال ، عسى أن يساعده هذا على الخلاص من سحر هذه القرية الجبلية . ولم يكن يعرف المنطقة جيدا ، فاستقل القطار ، واختار لنزوله محطة صغيرة موحشة بين الجبال . . وسار في الشارع الرئيسي للقرية ، فاذا بيوتها شبيهة ببيوت قرية « كيوكو » ، والثلوج تغطي أسطحها الخشبية الصغيرة . واذ أجهده السير ، أحس بالبرد والجوع ، فقصد مطعما صغيرا ، تناول فيه طبقا من الحساء وبعض المكرونة ، ثم عاد أدراجه الى المحطة ، فاستقل القطار عائدا من حيث أتى . . وبلغ محطة القرية بعد غروب الشمس . . وفي طريقه الى الفندق ، مر به « التاكسي » بيت كبير يتلأأ بالأنوار . . وقرأ عليه اسم (مطعم كيكومورا) ، ورأى بعض فتيات « البجيشا » واقفات بالباب . وقبل أن يفكر في أن « كوماكو » بينهن ، كانت قد وثبتت على حافة السيارة (الرفر ف) ، وهي تمسك بمقبض الباب ! . . وانطلق السائق صاعدا الطريق الجبلي في ببطء شديد . . ومع أن « شيمامورا » لم يرتح لوقوفها خارج السيارة ، فقد أحس بالدفء والأمان لوجودها بالقرب منه .

وأدنت المرأة وجهها من النافذة وصاحت به : « أين كنت ؟ »

— لا تكونى حمقاء ! .. تعالى الى داخل السيارة والا أصبت بضرر .

وفتحت باب السيارة وهبطت الى جانبه .. وكانت السيارة قد توقفت لبلوغها بداية الطريق الجبلى . وسألته ثانية : « أين كنت ؟ » .. فقال فى غير اكتراث : « كنت فى أول مكان صادفنى ! » .. وانتظر السائق فى سكون . كان الموقف غريباً ، وهما جالسان فى السيارة التى بلغت بهما أقصى ما كانت تستطيع الوصول إليه . وقالت كوماكو : « هيا بنا ! ما اشد برودة يديك ! .. لماذا لم تأخذنى معك ؟ »

— اكان من الواجب أن آخذك ؟

وضحكت فى سرور ، وهى تسرع صاعدة الدرجات الحجرية : « يا لك من شخص غريب ! لقد رأيتك ترحل حوالى الساعة الثانية .. قبيل الثالثة .. وجريت خلف السيارة ، ولكنك لم تنظر الى الوراء .. لماذا لم تنظر ؟ »

وعجب « شيمامورا » من سؤالها ، بينما استمرت تقول : « ألم تكن تعرف أنني أحب أن أودعك فى المحطة ؟ » .. فقال : « كانت رحلة قصيرة ، على أية حال » . وضحكت فى سعادة وهى تقترب بجسدها منه ، وقالت : « رأيت ما أعنى ؟ لماذا لم تأخذنى معك ؟ .. أنك تتركنى هنا ، ثم تعود وانت تشعر بالبرد ، وهذا ما لا أحبه ! » .. وفجأة دوى صوت انذار جرس الحريق ، واستمر يلقى فى اصرار يشير الى خطر جسيم . ونظرا الى الخلف ، فرأيا عموداً من اللهب يرتفع من القرية الى كبد السماء . وصاحت كوماكو : « حريق ! بقرب المحطة .. أظنه فى بعض المحلات التجارية الكبرى ! » .. وبدأت النار تتدلع واللهب يتطاوّل الى السماء .. وسيطر

الفرع على وجه المرأة . . وفجأة ، أخذت ترتعش ، ودموعها
تجوى غزيرة فوق خديها ، فاحتواها « شيمامورا » بين
ذراعيه ، متسائلا عما يفرعها ، فأجابته وهي تتنفض باكية :
« أن هناك دارا للسينما ، تكون ممتلئة بالناس في هذا الوقت
عادة ، وسوف يصاب كثيرون بالأذى . . ومنهم من قد يموت
مخترقا ! » . . وأخذت بيده ، وأسرعت تصعد الطريق نحو
الفندق ، فوجدا النزلاء متجمعين في الشرفات العليا . .
وصاحت كوماكو تسألهم ، فعلمت أن الحريق كان قد بدأ في
دار السينما ، وامتد إلى متجر للحريز . . وأسرع بعض النزلاء
يجرون في الطريق المنحدر نحو القرية ، « وكوماكو » بينهم ،
و « شيمامورا » وراءها . فلما اقتربوا من مكان الحريق ،
راوا السنة اللهب تعلو فوق أسطح المنازل ، وبلغت أسماعهم
زمجرة النار ، وصياح الناس ، وأجراس المطاق . . وقالت
كوماكو لصاحبتها : « يحسن بك أن تنتظر هنا ، وسأذهب لأرى
ما إذا كان أحد قد أصيب ! » . . وبرغم ما انتاب « شيمامورا »
من تعب ، فقد اندفع خلفها وهو يصيح : « انتظري !
انتظري ! » . . فتمهلت حتى لحق بها ، وأخذت بيده وهي
تسأله : « أتريد أن تذهب معي إلى مكان الحريق ؟ . . أنك
تبحث دائما عن أي شيء يشرك . ولكن الناس لن يروقهم
ذهابك ! »

وتوقف وهو يحني رأسه موافقا ، فقالت له : « انتظرنى
هنا ، وسوف أعود حالا ! » . . ولكنها عادت فهزت رأسها
قائلة : « لا . . لا أحب أن أترك هنا ! » . . وألقت بنفسها
عليه ، فترنح إلى الخلف - حتى كاد يسقط في خقل بصل على
جانب من الطريق ! - وبدأت تتحدث إليه في كلمات سريعة :
« لم يعجبني منك قولك أنني امرأة طيبة . . أنني أفهم ماذا
تعنى بهذا ، وسوف ترحل من هنا قريبا ، فاماذا قلت لى مثل

هذا القول ؟ .. لقد أبكاني هذا كثيرا .. أننى أخشى أن أفقدك ،
ولكننى لن أنسى أنك جعلتنى أبكى كثيرا .. ولهذا أرجوك أن
ترحل ! »

وأحس شيمامورا بكثير من المرارة ، لمجرد أن ملاحظة
بسيطة أبدأها قد تركت هذا الأثر العميق فى نفسها . ولكنهما
فى تلك اللحظة سمعا صياحا عاليا وضجة صادرين من ناحية
الحريق ، وارتفعت السنة الذهب من جديد الى عنان السماء
.. فنسيا مأساتهما ، وانطلقا يجرىان .. وكانت كوماكو
تجرى فى خفة ، ولكنها ما لبثت أن انتظرت حتى لحق بها
رفيقها ، فاستندت بجسدها عليه قائلة : « ان عيني تدبمان
من شدة البرد ! » .. وكانت عيناه كذلك ، ووجهه يتوهج
نتيجة المجهود الذى بذله . فوقف فى الطريق يستعيد
أنفاسه ! .. وقالت كوماكو : « اذا رحلت فسوف أحيى حياة
شريفة ! .. انتظر هنا حتى أعود ! » . ورفعت طرف ثوبها
بيدها ، وانطلقت تعدو نحو الحريق ، و « شيمامورا » يتبعها
بنظره . ورأى جمعا من الرجال يشدون مضخة حريق فى
الطريق ، والناس يتدافعون خلفهم ، فوجد نفسه ينساق
وراءهم .. كانت المضخة من طراز عتيق ، والتاس يجذبونها
بالحبال . وكانت « كوماكو » فى جانب من الطريق ، فرأت
« شيمامورا » ، وأسرعت اليه حيث وقف وسط الزحام ..
فلما بلغت مكانه ، أخذت بذرعه وهى تقول : « أهكذا جئت ؟
.. انك تبحث دائما عما يثيرك ! »

وبلغا - أخيرا - جدارا من البشر ، يحيط بالمبنى المحترق
.. و فرق الزحام بين « شيمامورا » و « كوماكو » ، فوقف
الزجل تائها بين أهل القرية ، وهم يتصايحون ، ويتنادون ..
وبينما كان يراقب النيران ، مأخوذا بهول منظرها ، اذا به
يفطن الى « كوماكو » تقف بجانبه .. وامسكت بيده ، فحول

بصره - على الرغم منه - الى وجهها .. كان متضرجا ، وقد زاده وهج النار ضراما ، وتهلل شعرها حوله .. وداخله احساس غريب ، لم يدرك ما تاه .. احساس بان وقت فراقه لكوماكو كان وشيكا !

وارتفعت السنة اللهب مرة أخرى ، عند مدخل المبنى المحترق ، فحول رجال الاطفاء خراطيم الماء نحوها ، بينما بدأت الأعمدة والجدران تتصدع وتتهاوى على الأرض .. وانبعثت من جمهور المشاهدين شهقة كلها جزع ، اذ سقط من بين الأنقاض المتهاوية ، جسد امرأة .. وبدا انها كانت بلا حراك .. وتراجع « شيمامورا » الى الوراء ، لا من الخوف ، وانما لأن جسم المرأة بدا له كشبح يبرز من عالم غريب ! .. وصرخت « كوماكو » ، ووضعت يديها على عينيها ، بينما كان « شيمامورا » يتفرس في الجسد الساكن على الأرض .. ولم يدرك كيف تبين أن صاحبتة هي « يوكو » .. وخيل اليه أن صرخة « كوماكو » كانت طعنة نفذت الى قلبه .. وفي تلك اللحظة بالذات ، اختلجت ساق « يوكو » اختلاجة خفيفة ، وهي مسجاة على الأرض .. وشعر « شيمامورا » بقشعريرة تسرى في كل جسده .. وأخذ قلبه يدق في عنف ، وقد استبد به ألم لم يدرك كنهه !

وتحركت ساق « يوكو » مرة أخرى ، حركة خفيفة لا تكاد تظن اليها العين .. وهوازع لم يدرك « شيمامورا » مبعشه ، احس بان الحياة لم تفارق الجسد الهامد .. وأخذ يتأمل وجهها الساكن ، والسنة اللهب تفره بضياء متوهج .. وكانت عيناها مغمضتين ، فتذكر كيف كانتا تنفثان بنظراتهما الى القلوب ! .. وشعر - مرة أخرى - باحساس قوى يفيض في صدره ، اذ ارتدت به الذكرى الى يوم رأى « يوكو » في القطار

لأول مرة ، وشاهد النار في الجبل تنعكس على صورة عينيها على زجاج النافذة . ومرت السنوات والشهور التي قضاها مع « كوماكو » أمام عينيها سريعا في تلك اللحظة ، وأدرك عند ذلك سر الألم الذي كان يعصر قلبه . . . ووضعت « كوماكو » يديها على عينيها وصرخت مرة أخرى ، ثم أسرعَت تعدو نحو النار . فلما وصلت الى « يوكو » ، حملتها على صدرها ، وعادت تترنح بين برك الماء وقطع الأخشاب المتناثرة على الأرض . وكانت تبدو على وجهها علامات الجزع واليأس ، بينما تدلى وجه « يوكو » في فراغ . . . كان وجهها جامدا ، بلا روح ، و « كوماكو » تشق طريقها وسط الحطام ، كما لو كانت تحمل ضحيتها . . . أو عقابها !

وأفاق جمهور المشاهدين من جمودهم ، فتدافعوا نحو المراتين يحيطون بهما . وسمع شيمامورا المرأة تصيح بالناس : « ابتعدوا عنا ! ابتعدوا عنا من فضلكم . . . ان الفتاة قد جنت . . . انها قد جنت ! »

وحاول أن يقترب من كوماكو ، ولكن الناس دفعوه بعيدا وهم يحيطون بالمرأة ، ليأخذوا عنها حملها . . . فوقف في جانب من الطريق ، وهو يحس بالعاصفة تثور في أعماق نفسه !

فتيات ((الجيشا))

بين الحب ، والحرمان ، والوحشة !

عزيزى القارئ :

الآن وقد قرأت القصة ، تعال أحدثك ببعض معلومات تلقى مزيدا من الاضواء عليها . . . لقد أجمع النقاد على أن هذه الرواية هي خير ما نشر

الروائي الياباني « ياسوناري كاواباتا » ، وانها تمثل فنه في الكتابة احسن تمثيل ..

والقصة - كما رايت - تصور غرام رجل اوتى مالا وفراغا ، ييمم كلما مل حياة العاصمة (طوكيو) وصخبها ، شطر الجبال .. وقد التقى ، في احدى القرى الجبلية النائية ، بفتاة من « الجيشا » ، اجتذبه اليها - في البداية - حبها للفنون والامها بها .. ولقد احبته الفتاة ، ولكنه احب فيها مجرد الانيسة ، النديمة .. وهنا كان التناقض السافر : فهو لا يفهم من الحب سوى الجنس ، وهى - التى تعيش في جو يفرى بالجنس ، ويمهد الانزلاق اليه - تطمع في الحب السامى ، الذى يمكنها من ان تخلص لرجل واحد ! .. وفي الوقت ذاته ، تستهوى الشاب فتاة اخرى ، جميلة ، عذبة الصوت ، ولكنها غريبة الأطوار .. وبين هذه وتلك ، يتبين انه لا يستطيع ان يحب احدهما ، فلا يجد حلا سوى التفكير في العودة الى عالمه الذى حاول الهروب منه : الى (طوكيو) بعجيجها وصخبها !

وخلال القصة ، يرسم المؤلف صورة رائعة لفتيات « الجيشا » .. فاذا الفتيات اللاتي يدخلن البهجة والانس على قلوب الرجال ، يعشن - في واقع حياتهن الخاصة - في وحدة ووحشة اليمتين ! .. واذا بين الفتيات ، اللاتي تضطرن واجباتهن الى الشراب وارضاء الرجال ، من تحرص على عفتها وطهرها .. فهن لسن بغايا ، بل ان بينهن من اوتيت مشاعر انسانية نبيلة ، فامتهنت حياة « الجيشا » لتنفق على علاج شاب لا تحبه ، ولكنها تخشى ان تصارحه ، مثل « كوماكو » .. واذا بينهن من توقف جهودها على العناية بالشباب العليل ، فاذا مات لازمت قبره ، مثل « يوكو » ..

والمشهد الاخير في الرواية يحمل اليها كثيرا من المعانى : فنحن ندرك حين نرى « كوماكو » تسير مترنحة من المبنى المحترق ، وهى تحمل « يوكو » بين ذراعيها ، ان الوقت قد حان لتفترق عن « شيعامورا » : فيعود هو الى العاصمة (طوكيو) ليتابع حياة الفراغ التى افها ، بينما تبقى الفتاة في

القرية الجبلية لتحترق في حياة المجنون التي كتبت عليها أ

والقارئ يدرك من هذا المشهد الأخير - كذلك - أن « يوكو » هي الصبية
الذي كتب على « كوماكو » أن تتحمله . ويزيد في ثقل هذا الحمل أن المرأتين
كانتا متنافستين في الحب أكثر من مرة : ففي المرة الأولى تنافستا في حب رجل
مشرف على الموت ، هو « يوكو » ، كما يفهم من سياق القصة (وان لم يبين
الكاتب ذلك صراحة) . . وفي المرة الثانية تنافستا في حب « شيمامورا » .
والكاتب لم يذكر لنا هذه الحقائق في وضوح ، بل أنه لم يوضح لنا هل
ظلت « يوكو » على قيد الحياة أم ماتت محترقة من النيران ، في نهاية الرواية .
وإذا كان القارئ يجد شيئاً من الغموض في الصفحات الأخيرة من الرواية ،
فانه ينبغي أن يذكر أن هذا هو أسلوب الكاتب في رواياته : أن يترك المجال
للقارئ لفهم ما يريد أن يذكره ، أو للتفكير في القصة واختيار النهاية التي
يراهم أقرب إلى ذوقه وفكره ومشاعره . .





مأساة مايرلينج

يومًا يوم .. وساعة بساعة،
كما حققتها المؤرخ الفرنسي المعاصر
لويس سوريال

تلخيص : ابراهيم سوريال

..... فاجعة تلهم المؤرخين والقصاصين منذ ٨٠ عاما

في الساعة السابعة والنصف من يوم ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩ ، دخل الكونت « هويوس » مع وصيف الأمير « رودلف دي هابسبورج » - ولي عهد النمسا يومئذ - الى مخدع الأمير ولي العهد ، في استراحة للصيد ، في ضاحية (مايرلينج) الجبلية ، على مسافة أربعين كيلومترا من العاصمة (فيينا) ، فوجدا الأمير ميتا .. والى جواره ، كانت البارونة الشابة « ماري فيتسيرا » - عشيقته - ترقد بلا حراك .. وقد قضت رصاصتان على حياة العشيقين !

.. وكانت نهاية مفعمة ، للأمير ذي مزاج رومانتيكي ، اثار اساطير وقصصا لا نهاية لها .. (حتى لقد كتبت عنها مئات الكتب ، واخرجت ستة افلام سينمائية ، كان آخرها فيلم امريكي ظهر في العام الماضي ، وعرض في القاهرة منذ ثلاثة اشهر ، وقد اضطلع ببطولته الممثل المصري « عمر الشريف » ، الذي ادى فيه دور الأمير رودلف ، ولي العهد .)

و « ماساة مايرلينج » ، كما كتبها ونشرها اخيرا الكاتب الفرنسي « لويس سوريل » ، هي أحدث عرض لقصة ولي عهد النمسا ، الذي اثار مصرعه ضجة في كافة أرجاء العالم ، والذي لا تزال مأساته مادة دسمة للمؤرخين والمحققين والروائيين .. فتعال نقرا القصة التاريخية الواقعية كما صورتها « لويس سوريل » :

تربية على يدى مجنون !

● ولد « رودلف » في ٢١ أغسطس سنة ١٨٥٨ * في (فيينا) .. وكان الابن الاوحد لفرانسوا جوزيف - امبراطور النمسا وملك المجر - وزوجته الامبراطورة « اليزابيث » . وقد شامت ارادة جدته « الارشيدوقة صوفي » ، أم الامبراطور



.....
 «فرانسوا جوزيف» ،
 العاهل المطلق لامبراطورية
 النمسا والمجر (أقوى
 امبراطوريات ما قبل الحرب
 العالمية الاولى) ، ووالد
 الأمير « رودلف » ، أحد
 « بطلى » ماساة مايرلينج
 الدامية !

— وكانت متسلطة أفظع تسلط على ابنها — أن تفصل الطفل ،
 منذ بلغ منتصف العام السابع من عمره ، عن أمه ، وتعهد به
 الى رعاية مرب، اختارته له ، هو « الجنرال جوندركورت »
 . . الذى كان ذا عقلية تجعله أقرب الى « الوحش » منه الى
 الانسان . . . ويكفى لبيان نفسيته ونمط تفكيره ، أن نورد
 ما كتبه فى مذكراته ، عندما عهدوا اليه بولى العهد الصغير :
 « لا بد أن هذا الطفل بالغ الخبث والشقاوة ، والا ما عهدوا
 به الى » !

ويقدم لنا المؤرخ « أندريه كاستيلو » تفصيلات ذات مغزى مهم ، بصدد « التربية » التى تلقاها الأمير عن الجنرال : « كان الجنرال يعامل تلميذه وكأنه « حيوان متوحش صغير » ، ويفرض عليه الاغتسال بالماء المثلج ، كضرب من العقاب ! .. وعندما تبين أن الأمير يخاف الكلاب ، ويرتعد لجرد رؤيتها ، حبسه فى حديقة الحيوان فى (لينز) ، وتركه وحيدا ، وهو يصيح : « خنزير بوى ! » .. وحين عرفت الجدة « سيسى » - أم الامبراطور - بذلك ، طردت هذا « الجلاد » ، فخلفه كولونيل يتولى رعاية الأمير الطفل ، وطبيب يعنى به ، وخمسون معلما .. ومع أنهم جميعا كانوا أقل قسوة من الجنرال ، فقد راحوا يجبرون الصغير على أداء تمريناته الرياضية فوق السلوج ، فى أقسى أيام الشتاء برودة ! .. ولكن الامبراطور شاهد هذا المنظر يوما ، فأوقف هذه الطرق التربوية « البروسية ! »

نحو التعطش الى .. العدم !

● وقدروا للأمير أن يتخلص من التصذيب الجنونى ، ليتعرض لتعليم مرهق - فى تركيزه - الى درجة كان لا بد أن تنتهى بالأمير الصغير الى التبلد الذهنى .. كان عليه أن يتعلم - الى جوار لغته الأصلية ، الألمانية - ست لغات أجنبية : التشيكية ، والهنجارية ، والكرواتية ، والصربية ، والبولندية ، والفرنسية .. فضلا عن القانون ، والاقتصاد السياسى ، والفلسفة .. وكان كل هذا « الحشو » كفيلا بأن يرهق عقل الفتى ، الذى ولد بفطرته حاد الذكاء ، حتى لقد كتب عنه الكونت « دى سانتولير » - السفير الفرنسى - وكأنه كان يتنبأ له بمستقبله :

((ان حب الاستطلاع عنده مشبوب الى درجة كفيلا بأن تدفعه للاستسلام لباهج القراءات المنسوعة ، بل القراءة

المحرمة . ولقد ورث عن أمه الخيال وارهاف الحس ، والنوق
الفنى ، والرغبة القوية فى الكتابة ، فهو ابنها و ((تلميذها))
كذلك . . ان مراهقته تضطرم بكل أنواع القلق - أنبلها
وأكثرها شهوانية ، على السواء - فهو متعطش الى العدالة ،
والحقيقة ، والإخاء ، تعطشه الى اللذة البدنية . وسيأتى يوم
يتبين فيه أنه لن يلتقى بالعدالة والحقيقة والإخاء فى هذه
الدنيا ، ولن يجدها فيما هو أرفع من هذه الدنيا ، ولن يعود
يحظى باللذة إلا نادرا ، لكثرة اغترافه منها . . واذا ذاك ، لن
يتعطش إلا . . الى العلم !)

وفعلا ، مر الأمير الشاب - بلهفة وسرعة - بمواطن المتعة
لدى سيدات المجتمع الراقى ، ثم لدى محترقات المظاهر ،
ثم انتقل الى غزوات سريعة . . ولكنه لم يكن مجرد باحث عن
المتعة واللهو ، بل كان - فى الوقت ذاته - فريسة لرغبات
جديدة . . كان على نقيض أبيه الرجعى ، يخالط الصحفيين
المنادين بالديموقراطية ، والفوضويين . . ويحلم بالعمل - فى
المستقبل - ضد ألمانيا وروسيا ، حيث كانت السيادة للنظام
« الأوتوقراطى » !

كان الموت يطارده طيلة حياته !

● وفى الثالثة والعشرين من عمره - فى سنة ١٨٨١ ، على
التحديد - زوجه من الأميرة « ستيفانى » ، ابنة « ليوبولد »
الثانى ، ملك بلجيكا . وكانت شقراء ، باردة الأحاسيس ،
عديمة الشخصية ، أنجبت له ابنة - أطلقوا عليها اسم
« اليزابيث » - ثم أصابها العقم ، وأخذ جسدها يزداد بدانة
بسرعة ، حتى لقد سميت : « فلاحه الفلاندر » . . وفقدت
كل جاذبية فى نظر زوجها ، فلم يلبث أن أهملها نهائيا !
وسرعان ما تملكه الملل والقنوط ، ولم يعد يجد للحياة
طعما ، فأقبل على الخمر و « المورفين » . . وفقد اتزان

النفسي بدرجة كبيرة ، حتى لقد فكر في الانتحار !.. ويقول « موران » ، عضو الأكاديمية الفرنسية ، في هذا الصدد : « .. اخذ الأمير يعامل الأرشيذوقة ستيقاني (زوجته) بنفسوة جنونية ، ويهدد بأن يقتلها ثم ينتحر !.. كان هذا الرجل - الذي شاخ قبل الأوان - لا ينفك يردد كلمة « الموت » ، كما كانت ترددها أمه .. كان الموت يطارده طيلة حياته » !

ولقد اقترح يوما - في سنة ١٨٨٨ - على عشيقته له ، تدمي « ميتزي كاسبار » أن تنتحر معه . وكانت فتاة خلافة الجمال ، تتطلع الى الحياة ، وتنتشي بمباهجها ، فكان من الطبيعي أن ترفض اقتراحه .. بل أنها هربت منه ، وأبلغت الأمر الى الشرطة !.. وكان من الخطأ أن الشرطة لم ينبثوا الامبراطور « فرانسوا جوزيف » بذلك !

من خريف ١٨٨٨ حتى ٢٠ يناير ١٨٨٩

● وفي نفس العام ، شغفت به « ماري فيتسيرا » .. وتروي الكونتيسة « لاريش » - الابنة غير الشرعية لدوق (بافاريا) ، خال الأمير رودلف - أن العلاقة بين « رودلف » و « ماري » ، بدأت في مايو ١٨٨٨ . في حين يقول « أندريه كاستيلو » أن لقاءهما الأول إنما كان في « خريف » ذلك العام .. وسواء أصبح هذا القول ، أو ذاك ، فالمقطع به أن علاقتهما بدأت في سنة ١٨٨٨ ..

وكانت ماري - التي ولدت في ١٩ مارس سنة ١٨٧١ - ابنة البارون « ألبان فيتسيرا » و « ايلين بالتازي » ، التي كان أبوها من أفنى أصحاب المصارف في الشرق الأدنى .. وكانت ذات عينيْن داكنتي الزرقة ، وبشرة امترج فيها لونا الذهب والعنبر ، وشعر طويل أسود .. وكانت نحيلة بالقدر الذي يكسب قوامها تناسقا وامتشاقا ، ذات ساقين بديعتي



الامبراطورة ((اليزابيث)) والدة الأمير ((رودلف)) ،
وقد ورث عنها الخيال والاحساس المرهف ، والدوق
الفنى ، والميل الفطرى الى الكتابة ..

الالتفاف ، وقدمين دقيقتين ، ويدين بضتين .. وقد أضفى
عليها انتماءها للأصل اليوناني مسحة من فتنة الشرق ، فكان
جمالها يسبى العقول !

ولقد كانت نشأة أبيها متواضعة ، كحفيد لصانع أحذية ،
وابن لموظف صغير .. وكانت بداية حياته كنشاته ، اذ عمل
كمترجم صغير في إحدى السفارات .. ولكنه راح يرقى
السلم بسرعة ، فاذا به - في عام ١٨٦٥ - مستشار لأحدى
الهيئات الدبلوماسية ، ثم قائم بالأعمال لدى بلاط قيصر
روسيا ، ثم سفير لدى دوق « هيس » وبارون .. ثم من
أصحاب المصارف في الشرق الأدنى !

وفي مطلع سنة ١٨٨٨ ، كان قد انقضى عامان على وفاته ،
وفد أصبحت زوجته تمتلك فندقا بديعا في قلب الحي
الدبلوماسي في (فيينا) ، ولم يعد لها من هم سوى أن تتألق
في المجتمع الراقى ، واستطاعت أن تكتسب معارف من ذوى
المراكز الممتازة ، كانت بينهن الكونتة « ماري لاريش » ، ابنة
خال ولي العهد - وقيل انها كانت إحدى عشيقاته ! - وقد
كانت امرأة جامحة الثحر ، كما انها أوتيت روح « الوسيطة » ،
التي تجمع بين الرجال والنساء !

رسالة ، ثم لقاء .. بفضل الكونتة الوسيطة !

● وكل فتاة في السابعة عشرة ، كانت « ماري » - في
سنة ١٨٨٨ - تعيش في الأحلام ، وتصبو الى فارس مستهام
.. وبروح الطموح - التي ورثتها عن أبيها وأمها معا - لم
تجد فارسا لأحلامها يفوق ولي عهد النمسا .. فحشيقته في
الخيال ، حتى لقد كانت تتابع كل اخباره ، وتقتطع صورته من
الصحف ، وتامر سائق مركبتها بالابطاء اذا صادفت مركبة
« رودلف » في طريق !

وجاء شهر مايو .. وتقول الكونتة لاريش : « وبدافع من

سلطان شهر مايو الرومانتيكي ، نجحت ماري فيتسيرا ،
بفضل وصيفتها « آنيس » ، في حمل « لوشيك » - الذي كان
موضع ثقة ابن عمتي (رودلف) - على أن يسلم الأمير رسالة
منها .. ولكن لا يبدو أن رسالة « ماري » حظيت باهتمام
خاص من الأمير - الذي كان يتلقى كثيرا من الرسائل
الغرامية - إذ لم تسفر عن نتيجة .. ومن المحتمل (وإن كنا
لا نجزم) أن الكونتيسة « لاريش » هي التي دبرت لقاءهما ..
على أية حال لم ينقض وقت طويل حتى بهت الأمير لفرط
ما لمسه لدى « ماري » من حب صادق ، فرغب في أن يراها
بمنأى عن الناس ، في جناحه الخاص ، بالقصر الإمبراطوري
.. وهنا يبدأ الشق العملي في دور الكونتيسة « لاريش » ،
كوسيلة غرام !

غراب « يبارك » اللقاء الأول للعاشقين !

● وتورد « سيليا برتان » - في كتابها : « مايرلينج » ،
أو مصر فيتلباخ المشئوم - تفاصيل كثيرة عن هذا اللقاء ،
فتقول : « جاءت الكونتيسة لاريش تنشد « ماري » ، بحجة
مرافقتها إلى أحد المصورين ، وإلى جولة لشراء بعض أشياء
.. واصطحبت الكونتيسة الفتاة إلى مصور فعلا ، ثم أقلهما
الحوذي « فرانز قيبر » - الذي اعتاد خدمة الكونتيسة كلما
حضرت إلى (فيينا) - إلى فندق « جراند هوتيل » ، حيث
كانت تنزل .. وهناك ، كان في انتظارهما « براتفيش » ،
حوذي مركبة الأرشيديوق رودلف .. ولم تكن المركبة أمام
الفندق ، بل كانت خلف مبناه .

((وتسالت إليها منعوتا الأمير ، خلال شارع جانبي ، وقد
اسدلتا حجابا على وجهيهما) كما كتبت ماري إلى معلمتها
القديمة « أرمين » ، التي كانت على علم بقصتها مع ولي
العهد) .. وسار كل شيء بنجاح ، في تكتم .. وأقلهما

((براتفيش)) بأقصى سرعة لخيله ، الى قصر (جوزيفس بلاتز) ، حيث ترك باب حديدي صغير مفتوحا ، في ذلك اليوم .. وخلف ذلك الباب ، كان الوصيف ((لوشيك)) في انتظارهما ، فمضى بهما عبر ردهات خالية ، ومجموعات من السلالم يلفها البرود ، مما بعث في نفس ماري هالما واضطرابا بالفين .. حتى انتهى بهما الى باب خشبي مرتفع ، بادر الى فتحه ..

« وفي اللحظة التي نفذت فيها ماري داخل الجناح الخاص بولي العهد ، انطلق طائر أسود ، وأخذ يحلق حول رأسها في دوائر متتابعة .. ذلك كان « پرويس » ، الغراب الذي استأنسه صاحب السمو الامبراطوري .. وزاد حفيف جناحي الغراب من دعر الشابة الصغيرة ، التي لم تكن تتصور استقبالا كهذا ! »

.. وجمجمة ومسندس على مكتب الأمير !

● وما لبث « رودلف » ان اقبل ، فقاد الزائرتين الى حجرة مكتبه .. ثم دعا ابنة خاله — بعد لحظة — الى الانتقال معه الى حجرة مجاورة ، بحجة التحدث اليها على انفراد ، في امر خاص ..

ووجدت « ماري فيتسيرا » نفسها وحيدة في الحجرة ، فأخذت تتأمل مكتب ولي العهد .. وشد بصرها — منذ اول وهلة — شيئا غريبان ، خليقان بأن يفصحا بجلاء عن العقد النفسية التي تسيطر على الأمير : كانت ثمة جمجمة شخص ميت ، ومسندس .. ولم ترهبهما الفتاة اطلاقا ، بل انها لم تلبث ان أخذت تعبت بالجمجمة ! .. وعندما عاد « رودلف » ، بهت لهذا المنظر ، ولكنه — في الوقت ذاته — بهر به ..

فها هي ذى فتاة لم تكن ترهب الموت ! وتستأنف « سيليا برتان » حديثها قائلة : « وطلب الأمير

الى ماري لاريش - فى نهاية الزيارة - أن تحضر له الفتيانة مرة أخرى ، بعد أيام ، وتقدم مدعوتيه بنفسه يودعهما ، حتى الباب الخشبي المرتفع ، المفضى الى جناحه الخاص . . . وهناك وجدتا ، مرة أخرى ، « لوشيك » - وصيف رودلف الخاص - ليرافقهما فى انصرافهما ، كما رافقهما عند وصولهما ! . . . وكان هذا الخادم « الشيخ » ذو الشاربين الكثيفين ، والشعر الأشقر المشوب بالشيب ، شديد الولاء لسيدة ، والارتباط به . . . وقد قدر له أن يلعب دورا كبيرا فى مأساة (مايرلينج) !

مارى تصبح خلية رودولف (١٣ يناير ١٨٨٩)

● وفى ١٣ يناير ١٨٨٩ تغيرت فجأة طبيعة العلاقة الخفية بين ماري ورودلف . ويتضح هنا من خطاب أرسلته « ماري فيتسيرا » الى « هرمين » ، معلمتها القديمة ، وهو خطاب لا يترك مجالا لاي شك :

(عزيزتى هرمين : ساعترف لك اليوم بأمر سيفضيتك كثيرا . . . لقد كنت عنده ، منذ الساعة السابعة ، حتى الساعة التاسعة . . . ولقد تخطى عنا العقل ، والآن يمتلك كل منا الآخر روحا وجسدا !)

وكان ذلك اليوم عظيم الأهمية فى قصة غرام « رودلف » و « ماري » . . . فبعد أن وهبته الفتاة نفسها ، جن الأمير بحبها ، وقرر أن يتزوجها ! . . . ولكى يحقق ذلك ، اعزم أن يطلب من (القاتيكان) فسخ زواجه من « ستيفانى » ، التى كانت - اذ ذاك - عديمة الأهمية تماما بالنسبة له . وتقول بعض المصادر أن « رودلف » قام بالخطوات الأولى فى هذا السبيل لدى البابا « ليون » الثالث عشر .

وعندما رجعت البارونة الشاببة الى بيتها - فى ذلك اليوم - كتبت فى مذكراتها الخاصة : (لقد عشت اليوم أجمل أيام حياتي . . . !)



الأمير « رودلف » ولي عهد النمسا !

الصعوبات والمصادمات الأولى (بين ١٤ و ١٦ يناير)

● كان الأمير « فيليب دي سساكس كوبورج » بين المقربين الى ولي العهد .. وقد صارحه هذا بعزمه على

الزواج من « ماري فيتسيرا » ، فأبدى هذا الصديق الوفي عدم ارتياحه لفسوره ، وصارح « رودلف » بمخاوفه ، في عبارات متحفظة . . ويقول « پول ريبو » - في كتابه « لم يعد لمايرلينج سر » - أن « فيليب » قال لولي العهد ، في نهاية حديثهما : « ان تكن زوجا وتهجر الارشيدوقة ستيفاني ، وان تكن أبا وتهجر الأميرة اليزابيث - ابنتك - وهي بعد صغيرة جدا ، فهذا كفيل بأن يؤلب عليك الحكومة ، والبرلمان ، والكنيسة ، والامبراطورة ، والامبراطور ، والامبراطورية ! » !
ولكن رودلف قابل ماري ، في اليوم التالي ، وأهداها خاتما من الحديد ، مزدانا بماسات صغيرة تؤلف الحروف الأولى من عبارة « متحسدان في الحب حتى الموت » ، باللغة الألمانية . . وقد قدر لاتحادهما - حتى هذا المصير - أن يتحقق بعد خمسة عشر يوما !

ولم تكن البارونة « ايلين فيتسيرا » - والدة ماري - تجهل علاقة ابنتها بوريث العرش ، وفي هذا تقول الكونتيسة لاريش انها . . « كانت قوية الدهاء ، دون ما ريب ، ولكنها - في هذه المرة - ارتكبت خطأ جسيما » فمن المحتمل انها كانت تجهل طبيعة العلاقة بين ماري ورودلف بدقة ، وكان حريا بها أن تتدخل قبل أن تذهب الأمور مدى بعيدا . وعلى أية حال ، فإن البارونة المعجوز أخطأت الحساب ، اذا كان الأمل قد راودها في أن يستطيع رودلف أن يعقد زواجا عرفيا (وكانت قبيحا بأسرها قد عرفت أن ولي العهد سعى لدى بلاط روما للتدخل من زواجه) ، أو في أن يدفع لابنتها مبلغا ضخما ، على الأقل !

كذلك اصطدم الأمير بمعارضة صلبة من أبيه الامبراطور « فرانسوا جوزيف » . . ومع أن الأب كان قد اتخذ لنفسه عشيقا - منذ أمد طويل - هي الشقراء الجميلة « كيتي شرات » ، فانه لم يكن راغبا في فضيحة علنية تحيق بالأسرة .

... ومن ثم فقد أنبأ « رودلف » بأن (الفاتيكان) رفض طلبه ،
بناء على تدخله هو (أى الامبراطور) !

ولى العهد يتآمر لخلع أبيه !

● وفى عصر أحد أيام يناير ، ذهب « رودلف » - فى
الخفاء - إلى ابنة خاله الكونتيسة لاريش ، فى فندق (جراند
هوتيل) . . . وتقول الكونتيسة : « دخل جناحى من باب الخدم ،
وكان مكفهر الوجه ، عابساً ، يوحى مظهره بالانفعال . . .
وبادرنى قائلاً ، وهو يطرق المنضدة بأصابعه : « اننى محاط
بجواسيس يا مارى » ! . . . واذا أبدت دهشة من قوله ،
استطرد : « اننى أعرف ما أقول . . . أواه ، لكم يبدو لى
- أحياناً - أن الحياة لا تستحق أن نحياها . . . لكم أشعر
بأن راسى يرتطم بعناد الآخرين ! » ، وما من ريب فى أن ولى
العهد كان يشير ، بهذا ، إلى الامبراطور ! »

وما لبث « رودلف » أن اتجه إلى الهدف المباشر
لزيارته : إذ عهد إلى ابنة خاله بصندوق من الفولاذ ، وسألها
إلا تسلمه لأحد سواه شخصياً ، أو لمن يقول لها كلمة السر
« ييقو » ، إذا قدر له هو أن يموت !

وخيل للكونتيسة أنها حملت عبئاً ثقيلاً ، بالرغم من أن
الصندوق لم يكن ثقيلاً . . . وقد خيل إليها أنه ضم « وثائق
خاصة بانقلاب » ، لأقصاء الامبراطور عن العرش ! . . . وقد
تسلمه منها - بعد وفاة ولى العهد بمدة - شخص ، هو
الأرشيذوق « جان دى توسكان » . . . وكان قد أعد - فعلاً -
مؤامرة مع « رودلف » ، قالت الكونتيسة فى سرد تفصيلاتها :
« كان جان دى توسكان يبذل كل جهوده - مع ولى العهد ،
واثنين آخرين ، أحدهما روسى والآخر مجرى - لخلع
الامبراطور عن عرشه ! ولم يكن رودلف يتطلع إلى أن يتقلد

تاج امبراطور النمسا وملك المجر فحسب ، بل كان يصبو كذلك الى تاج ملك بوهيميا . وكان يأمل من وراء هذا أن يدعم الملك المزدوج - الذي كان مزعزعا باستمرار - والتمهيد لاتحاد سلافي . . وهو الحلم الذي راود خليفته « فرانسوا فرديناند » . . دون جدوى »

فضيحة في حفل راقص بالسفارة الألمانية !

● وفي ٢٧ يناير ، أقام الأمير « هنري دي رويس » - سفير ألمانيا في (فيينا) - حفلا ساهرا ، بمناسبة عيد ميلاد « غليوم الثاني » . ويقول « ماريون جيلبير » في وصف الحفل : « كان هناك الأمير ولي العهد - في زي فارس بروسي - وجميع الأمراء ورجال البلاط والسلك الدبلوماسي والجيش والنبلاء ، وكل من كانت (فيينا) تضمهم من عظماء وجماليات مشهورات » .

وتولت الأرشيذوقة « ستيفاني » تمثيل الامبراطورة الغائبة . . وكانت « ماري فيتسيرا » وأما بين الحاضرات . . وأخذت الأرشيذوقة تمر في ثورة أمام المدعوين ، فكان الرجال والنساء ينحنون في احترام ، عندما تمر أمامهم . . وهنا نترك الكلام لـ « أندريه كاستيلو » يكمل الوصف : « . . وفجأة توقفت زوجة رودلف تماما ، اذ وجدت أمامها البارونة « فيتسيرا » الصغيرة ، وقد وقفت في اعتدال . وبدا واضحا أن ماري ابت أن تنحني لزوجة عشيقها ، اللهم إلا اذا كانت قد استغرقت تماما في أحلامها فعميت عن رؤية « ستيفاني » ، أو أي شخص سوى « (رودلف) » ، الذي كان حاضرا ، ولكنه لم ير شيئا ! . . ولم يستمر هذا المنظر سوى ثوان ، اذ أمسكت مدام فيتسيرا بذراع ابنتها ، وأرغمتها على الانحناء . . بينما تجاوزتهما الأرشيذوقة ، بعد أن رمقت غريمتها بنظرة صاعقة » .

وذاع هذا المشهد السريع في البلاط ، فأحدث فضيحة مدوية ..

مقابلة درامية بين الامبراطور وابنه !

● وفي صباح اليوم التالي ، ذهبت الأرشيذوقة « ستيفاني » مبكرة الى حميها ، تشكو « رودلف » بمرارة ، والدموع تملأ عينيها .. لقد تحملت هذه المرأة الشابة جميع أنواع الخيانات من زوجها ، طيلة ثمانية أعوام قضتها زوجة له . ولكنها - في هذه المرة - عجزت عن أن تقبل هذه الاهانة العلنية !

واستدعى الامبراطور ابنه فوراً ، وبدأ في الحال حوار درامي بين الرجلين : فلقد طلب ((فرانسوا جوزيف)) من ((رودلف)) أن يقطع علاقته تماماً بماري فيتسيرا .. وانتهى الأمر بالأمر الى أن قال : « فليكن ! .. سأتخلى عنها ، ولكني أناشئك يا أبى ، أن تسمح لى بأن أقابلها مرة اخيرة ، لأودعها ! »

- ليكن لك هذا غداً .. ولكنك لن تراها قط ، بعد ذلك .. لا تنس أنك أعطيتنى وعد شرف !
ولا شك في أن الصدام بين « فرانسوا جوزيف » وابنه كان عنيفاً ، لأن الجنرال « مارجوتى » - أركان حرب الامبراطور - وجد الفاهل المسن مغمى عليه ، عندما دخل الى مكتبه عقب المقابلة !

من ٢٨ الى ٣٠ يناير ١٨٨٩

● ويبدو أن « رودلف » فقد العزم على الانتحار ، بعد الحديث الدرامي الذى دار بينه وبين أبيه ! .. اذ يقول « أندريه كاستيلو » أنه كتب - اذ ذاك - خطابات وداع عديدة لأقاربه .. ولكنى أرى أن هذه الخطابات كتبت فى (مايرلينج) ذاتها .. بدليل أنه بدأ رسالته الى أمه



الارشيدوقة ((ستيفانى)) زوجة الأمير ((رودلف))

— الامبراطورة اليزابيث — بقوله : ((لم يعد لى الحق فى أن
أحيا يا أماه ، لقد قتلت . .)) وما كان بوسع ((رودلف))
أن يكتب هذا ، قبل أن يرى ((ماري)) ويعرف ما اذا كانت
تقبل أن تشاركه هذه التضحية السامية ، من أجل الحب !
أما بعد الحديث الدرامى ، فقد استقبل ((رودلف))
صديقه ((موريس شيبز)) ، وكان صحفيا يهوديا يدير صحيفة

للمعارضة اسمها « نوى قيبنر تاجيلات » . ويقول « جيلبير جيمينو » - في كتابه « غوامض التاريخ الكبرى » - أن الصحفي اليهودي حاول تهدئة خواطر صديقه المتأججة . وكان « شيبز » يتلقى بنفسه المقالات التي كان الأمير يكتبها لصحيفته ، ولكن هذا التعاون كان يتم في الخفاء . . فكان « ينهامر » - خادم رودلف - يذهب الى « شيبز » في ساعة مبكرة من كل صباح ، فيسلمه مظروفا كبيرا - محكم الاغلاق بثلاثة أختام ! - وفي ذلك المظروف كان « شيبز » يجد المقال الذي كتبه الأمير في الليلة السالفة !

في الأصيل ، اتجهت ماري الى (مايرلينج)

● وفي ذلك الصباح - ٢٨ يناير - استقبل الأمير صديقه الصحفي اليهودي لفترة قصيرة . . ثم انصرف « شيبز » . وفي أصيل اليوم ذاته ، غادر « رودلف » القصر . . . وحوالي الساعة ذاتها ، كانت « ماري فيتسيرا » على وشك الرحيل الى (مايرلينج) ، للالتقاء بحبيبها . وتقول « سيلينا برتان » ، في هذا الصدد : « ارتدت ماري « تاير » في خضرة الزيتون ، موشى بتطريز أسود ، وله ياقة مقفلة ببروش من الذهب . . ووضعت على رأسها قبعة خضراء ، مزدانة بريشة نعام سوداء ، وأحاطت عنقها ب « إشارب » أسود ، عقدته تحت ذقنها . ولم تحمل من الحلوى سوى قرطين قصيرين ، و صليب من الذهب ، والخاتم الحديدي الذي كان رودلف قد أهداها إياه . . وارتدت فوق ذلك معطفا من الفراء ، كما دست يديها في حلقة فرائية . .

« ولم تضطر الكونتيسة لاريش لانتظارها طويلا ، عندما وافتها في تلك الساعة . . وأمام متجر شهير للملابس النسوية ، هبطت الكونتيسة من المركبة ، وسارت تحت أقواس المتجر . . وما ان اختفت عن الأنظار ، حتى هبطت ماري

— بدورها — واستقلت مركبة « براتفش » ، التى كانت تقف على الجانب الآخر للطريق .

وفى المركبة ، التقى العاشقان . . ووفقا لما أشرت به الامبراطورة اليزابيث — الى الامبراطورة ((أوجينى)) — اطلع الأمير خليفته على الوعد الذى انتزعه منه الامبراطور . . فبادرته البارونة الشابة قائلة : ((لى — أنا الأخرى — خيرا أفاجئك به . . اننى حامل !))

وكان رأى الامبراطورة ((أوجينى)) أن العاشقين اتخذوا — فى تلك اللحظة — القرار بأن يدوتا معا !

ويؤيد هذا أن الكونتة « لاريش » — حين عادت الى مركبتها ، وفوجئت باختفاء البارونة الشابة — وجدت وريقة صغيرة جاء فيها : « لم أعد أستطيع الحياة . سأنتلق قبل حضورك ، وسأكون فى جوف الدانوب قبل أن تاحق بى — مارى ! »

محاولات عديدة الجدى . . لعلاج الموقف

● وبادرت الكونتة لاريش — لفورها — بالذهاب الى البارون « كراوس » ، رئيس البوليس الامبراطورى ، وأطلعته على الأمر . . ولكن « كراوس » شعر بحرج من التدخل والبحث عن « مارى » ، اذ كان على دراية واسعة بحياة ولى العهد العاطفية . .

غير أن الكونتة عادت اليه — مرة أخرى — فى الساعة السابعة مساء ، وكان بصحبته « الكسندر بالتازى » ، (خال « مارى فيتسيرا ») . ويقول أندريه كاستيلو : ((كانا فريستين لانفعال طاغ ، اذ أنهما اكتشفا — فى خزانة حديدية بيت مارى — صورة لولى العهد ، ووصية كتبتها البارونة الشابة . . وهل تكتب فتاة وصية وهى فى السابعة عشرة من العمر ؟)) .

أما « ايلين فيتسيرا » - والدة ماري - ففي غمرة القلق الطاغى ، عقدت عزمها على أن تسعى لمقابلة الامبراطور ، بمجرد أن يتوفر لديها الدليل على أن ابنتها كانت مع « رودلف » في (مايرلينج) . . ولم يملك « كراوس » أكثر من أن يهذى هواجس زائريه بالكلام اللين ، تجنباً لاثارة فضيحة ، اذا هو اتخذ أى اجراء!

ولم يبق الا أن نتبع حركات العاشقين - بعد ذلك - يوما بيوم . .

مايرلينج : ٢٨ يناير - بداية المساء

● كانت هناك وسيلتان للذهاب من (فيينا) الى (مايرلينج) ، في ذلك العهد . . اولاهما : القطار من محطة الجنوب حتى (بادن) ، ثم مركبة تقطع المسافة الى (مايرلينج) في ساعة . . والاخرى : مركبة تجرها الخيل ، وتقطع المسافة من (فيينا) الى (مايرلينج) مباشرة ، في ثلاث ساعات أو أربع . .

وكان « رودلف » قد وجه الدعوة الى الكونت « هويوس » وفيليب دي كوبورج ، لمشاركته الصيد ، فكانا الأسبق الى الوصول للاستراحة . . وقد كان الأمير يفضل صحبتها ، لما اتصفا به من ثبات ، ومرح ، ومحافظة على الأسرار . . أما « رودلف » و « ماري » ، فقد وصلا الى الاستراحة في حوالي الساعة الخامسة . . وآوت ماري - مباشرة - الى حجرة الأمير ، فلم يفتن الصديقان الى وجودها ، ولم يخبرهما الأمير بوجودها ، بل تناولت عشاءها وحدها ، بينما شاطرهما هو العشاء . .

وفي حوالي الساعة التاسعة ، صعد الأمير الى الطابق الأول ، حيث كان مخدمه ، وحيث كانت الفتاة تنتظره ، نافذة الصبر !



حودى الأمير المخلص ((براتفيش))

مايرلينج : ٢٩ يناير
- حتى منتصف الليل

⊙ انطلق ((هويوس)) وزميله الى الصبيد وحيدين - في الصباح - اذ قيل ان ((رودلف)) أحس بوعكة . . والواقع أنه مكث في مخدعه مع ماري . ويبدو أنه كتب الرسالة التالية - الى زوجته - في ذلك الصباح :

((عزيزتى ستيفانى :
ها أنتى تتخلصين - أخيرا - من عذاب وجودى ، فأسعدى كما يحساو لك ، وكونى بارّة بالصغيرة المسكينة ، فهى الشئ الوحيد الباقي منى . .))

تحياتى الأخيرة الى جميع معارفنا . . اننى ذاهب الى الموت ، فهو وحده القادر على انقاذ اسمى ، الودود : رودلف)) ولا يمكن الجزم بأن الرسالتين اللتين كتبتهما الى أمه وأخته ((فاليرى)) كتبتا فى هذه السويعات القلائل . . وتناول ((رودلف)) الغداء مع صديقيه ، ثم انطلق الصديقان - مرة أخرى - الى هوايتهما المفضلة ، ولم يعودا الى (مايرلينج) الا حوالى الساعة السادسة الا ربع . . ولم

يلبث « كوبرج » أن رحل الى « قيينا » ، حيث كان عليه أن يحضر العشاء على مائدة الامبراطور . . أما « رودلف » ، فأبرق الى زوجته راجيا أن تعتذر للامبراطور عن تخلفه عن « العشاء العائلى » ، لاصابته بركام حاد ! . . وبعد أن تناول العشاء مع « هويوس » ، عاد الى خليلته . . ثم أرسل العاشقان يدعوان « براتفيش » المرح ، ليفنى لهما . . وبعد انصراف « براتفيش » - حوالى الحادية عشر مساء - جلست « مارى » تكتب خطابات الوداع . . فقالت لامها :

((اننا الآن شديدا التلهف لمعرفة كنه العالم الآخر . . اغفرى لى ما فعلت ، فما استطعت أن أقاوم الحب !)) . . وكتبت الى الكونتيسة لاريش : ((اغفرى لى كل ما سببت لك من عناء . . واذا قدر للحياة أن تغدو صعبة بالنسبة لك - واخشى أن هذا ما سيكون ، بعد الذى فعلناه - فاتبعينا . . هذا خير ما يمكن أن تتخيليه !))

وكتب « رودلف » آخر تعليماته ، طالبا أن يدفن بجوار حبيبته « مارى » . . كما كتب خمسة خطابات ، كان أحدها لوصيفه « لوشيك » .

ليلة المأساة :

(ج) فى أية ساعة قتل « رودلف » خليلته برصاصة من مسدسه ، اخترقت الجبهة وخرجت من فوق الأذن اليمنى ؟ ليس فى الامكان تحديد ذلك . . كل ما نستطيع أن نقوله - وفقا لشهادة الدكتور « فيدر هوفر » - هو أن « رودلف » قتل « مارى » ، قبل أن ينتحر هو بساعات ! . . ويبدو أن القتل حدث بينما كانت الشابة نائمة . . ثم غطى « رودلف » جسدها بالزهور ، ووضع وسادة على وجهها ! وحسب الى السادسة والنصف صباحا ، ذهب « رودلف » - فى ثياب النوم - الى « لوشيك » ، وقال له : « أشرف على اعداد



استراحة ((مايرلينج)) التي كان يلجأ اليها العاشقان !

المركبات للصيد ، وأحضر لي الإفطار بعد ساعة ! » .

صباح ٣٠ يناير ، السابعة والنصف : اكتشاف الجشتين !

وفي السابعة والنصف صباحا ، ذهب « لوشيك » الى جناح سيده ، وطرق الباب ، فلم يجبه أى صوت ! .. ودب القلق في نفسه ، فأخذ يطرق الباب بقبضة يده .. ولا جواب سوى الصمت ! .. فأسرع وأخطر الكونت « هويوس » . وأخذ الاثنان يطرقان الباب - المفلق بالمزلاج - بعنف .. وازاء الصمت المستمر ، طلب « هويوس » من الخادم بلطة ، وكسرا الباب .

وفي الغرفة شبه المظلمة ، اكتشفا جشتي ((رودلف))

و ((ماري)) متجاورتين .. ولم يكن هناك أى أثر لمقاومة ..

وبالقرب من ولى العهد ، وجدا مسدسه تنقصه طلقتان ..
وعلى المائدة الصغيرة المجاورة للسرير ، وجدا كأس ((كونيكا))
ملبئة حتى منتصفها !

وبالطبع ، وجدا على المكتب خطابات عديدة .. ووصية !
٣٠ يناير - حوالى الحادية عشرة :

● انطلق « هويوس » بسرعة الى محطة (بادن) ليخاطر
الامبراطور بالنبا . وكان اول قطار يمر ، هو السريع القادم
من (تريستا) ، ولم يكن يقف الا فى (قيينا) ، وقد رفض
ناظر المحطة إيقافه .. واذا ذلك ، قال له هويوس : « لقد
مات ولى العهد ! » .. فأوقف الناظر القطار ، وهكذا وصل
« هويوس » الى القصر الامبراطورى بعد ساعة . قابل أولا
« بومبيل » - كبير الياوران - ثم الكونت « بارر » . ولم يجرؤ
أحدهما على مكاشفة الامبراطور بالنبا ، فاضطر
« هويوس » للذهاب الى الامبراطورة ، وأخطر بالنبا وصيقتها
« ايدا دى فيرينزى » .. ودخلت « ايدا » فورا الى غرفة
« سيسى » ، بينما كانت تتلقى درسا فى اللغة اليونانية ..
ومع « ايدا » دخل البارون « نوپسا » ، الذى قال
للامبراطورة : « هناك نبا سيء جدا لجلالتك .. »

وتتممت الوصية : ((الأرشيديوق رودلف !)) ، فهتفت
الامبراطورة : ((مات ؟))

عندما علمت « اليزابيث » بملايسات الوفاة ، انفجرت
فجأة فى البكاء .. وكان لابد من ابلاغ الامبراطور بما جرى ،
فتكفلت الامبراطورة - برغم الصدمة - بهذه المهمة القاسية
.. وتحاولت على ابلاغ الامبراطور النبا بترفق ، ومع ذلك
فانه تأوه ، وتهالك ، وهو يقول : « لم يبق لى شىء ! »

شائعات وأقاويص عن موت ((رودلف))

● أعلنت صحيفة « فينرترايتونج » موت الأرشيديوق



.....

((ماري قيثسيرا))
 الفتاة التي شغفت
 بهسا الأمير
 ((رودلف)) وأراد
 أن يطلق زوجته
 الارشيدوقة
 ((ستيفاني)) كي
 يتزوجها ! ..
 وعندما طلب
 الامبراطور من الأمير
 أن يقطع علاقته
 بها ، قرر الاثنان
 الانتحار معا !

.....

« رودلف » في أصيل ذلك اليوم (٣٠ يناير) ، اذ كانت ستكك حديد الجنوب ملك آل « روتشيلد » فأبرق لهم ناظر محطة (بادن) بالنبا ، وتسرب منهم الى الصحافة .. اما البلاغ الرسمي الذي أذيع فيما بعد - بأمر من الامبراطور - فذكر أن « رودلف » مات بانسداد في الشرايين ! .. غير أن (فيينا) امتلأت - في ٣٠ يناير والأيام التالية - بأغرب القصص عن وفاة « رودلف » :

قيل ان ((لو شيك)) استيقظ - في منتصف الليل - على صوت طلق ناري ، ووجد الأمير مسجى على سريرته ، وعلى أرض المخدع سدس وشفرة حلقة (موسى) .. وكان الأمير غارقا في الدماء ، وفي بطنه جرح كبير .. بينما كانت ((ماري فيتسيرا)) في أحد أركان المخدع مخنوقة .. وقيل ان ((ماري)) أصيبت بهياج هستيري ، لقطيعة قامت بينها وبين الأمير ، فاستغلت فرصة نومه لتشويه جسده .. وأنه خنقها ، ثم سدد سدسه الى حلقه ، وأطلق رصاصة !

ومن أكثر الروايات تطرفا ، ما قيل من أن أحد الحراس اغتال الأمير ، بايعاز من « غليوم الثاني » - امبراطور ألمانيا - وأن الجريمة سياسية !

وفي ٣١ يناير ، جرؤت إحدى الصحف على تكذيب البلاغ الرسمي ، فصادرها البوليس فورا ..

((البابا)) يوافق على جنازة دينية للمنتحر !

● وفي ٢ فبراير ١٨٨٩ ، قامت لجنة من الأطباء بفحص جثة « رودلف » ، وكانت مؤلفة من « هوفمان » - أستاذ الطب الشرعي - و « هانز كوندراات » ، رئيس معهد التشريح الباثولوجي ، و « هرمان قيدير هوفر » ، الطبيب الخاص للأمير .. وجاء في تقرير هذه اللجنة :

١ - مات صاحب السمو الامبراطوري ولى العهد ، نتيجة

كسر فى الجمجمة ، والأجزاء الأمامية من المخ . .
 ٢ - نشأ الكسر من رصاصة أطلقت - من مسافة قريبة
 جدا - على المنطقة الصدغية اليمنى . .
 ٣ - أطلقت الرصاصة من مسدس متوسط العيار . .
 ٤ - لم يتسن العثور على القذيفة لأنها خرجت من الثغرة
 الموجودة فوق الأذن اليسرى . .
 ٥ - لا شك فى أن صاحب السمو الامبراطورى هو الذى
 أطلق الرصاصة بنفسه ، وفى أن الموت كان فوريا . .
 واختتم التقرير بعبارته : « . . وحديثنا أن نقرر ان
 هذا العمل تم فى حالة جنون » . . وذلك حتى يمكن تشييع
 جنازة الأمير وفقا للطقوس الدينية ! . . ويقول « جاك
 كورتريه » ان الامبراطور ارسل الى البابا « ليون » الثالث
 عشر برقية من مائة وخمسين سطرا ، ليحمله على الموافقة
 على تشييع الجنازة دينيا . . ويقال ان هذه البرقية - التى
 كتبت بالشفرة - تنطوى على سر مأساة (مابرينج) الغامضة ،
 ولكنها لم تدع اطلاقا !

وكان « ليون » الثالث عشر يمتاز بكثير من حسن الادراك
 السياسى ، فلم يتردد فى الموافقة على جنازة دينية للمنتحر ،
 وان لم يقر معظم الكرادلة رأيه . . بل ان الكاردينال
 « رامپولا » امتنع عن حضور صلاة الجنازة - التى أقيمت فى
 الكنيسة الألمانية بروما - فلم يغفر له « فرانسوا جوزيف »
 هذا الموقف ، واستخدم (بعد أربعة عشر عاما) حق « الفيتو »
 الذى كان آل هابسبورج يتمتعون به - ضد ترشيحه
 للكرسى البابوى فى سنة ١٩٠٣ .

الامبراطور يودع جثمان ولى عهده

● وصل جثمان « رزودلف » الى (فيينا) فى ليلة ٣٠ -
 ٣١ يناير ، وان ذكرت بعض المصادر انه وصل فى ليلة

٢ - ٣ فبراير ، وعرض في إحدى قاعات القصر . وقد سأل الامبراطور - في الصباح - عما اذا كان بوجهه أى تشويه ، فلما اطمأن الى خلوه من ذلك ، قال : « غطوه جيداً ، فان الامبراطورة تريد أن تراه ! »

وذهب الامبراطور لتوديع ابنه ، بهلبس التشريفة الكبرى . وكانت القاعة قد أضيئت بالشهوع فقط ، حتى توارى الظلال الثقب الذى أحدثته الرصاصة في صدغ الأمير ، كما أحيطت الجبهة بلفائف - نسفت على شكل قلنسوة النوم - لاختفاء الكسور . . ورفع الامبراطور قبعته أمام جثة ابنه . . وبهت الضباط - الذين كانوا يحيطون به - اذ اكتشفوا أن شعره قد أبيض تماماً ، أثناء الليلة السابقة !

وبعد يومين ، سمح لأهالى (فيينا) بالمرور أمام التابوت



قبر الأمير « رودلف » بجوار قبر الامبراطور « فرانسوا جوزيف »

المفتوح ، الذى سجد بداخله الأمير ، فى بزة جنرال . . وفى ٥ فبراير ، نقل بعض الرهبان جثمان السليل الثالث عشر بعد المائة لال هابسبورج ، الى مدفن دير الآباء الكبوشيين . وبعد الدفن بأربعة أيام ، استيقظت الامبراطورة « اليزابيث » من نومها - فى جوف الليل - وانطلقت فى مركبة الى الدير ، وسارت الى المدفن . . وامام تابوت ابنها ، ركعت وهى تهتف : « رودلف . . رودلف : هل تسمعنى ؟ » ثم انخرطت فى بكاء عنيف !

الجسد الجميل ينقل فى الظلام الى قبره !

● ومارى فيتسيرا ؟ . . كيف كان دفنها ؟

حوالى الساعة الرابعة من بعد ظهر ٣١ يناير ، ذهب خالاها الى استراحة الصيد . . وكان جسدها مسجى عاريا - تحت كومة من الملابس القديمة - على طاولة بأحد الأركان ، وعيناها مفتوحتان ، وخيط من الدم المتجمد ينحدر من فمها المنفرج الى صدرها . . كان منظرا بشعا !

ووقع خالاها تقريرا أعده « سلاتين » - ممثل البلاط - والدكتور « اوشنتهالر » ، جاء فيه : « يوجد فى جبهتها جرح طوله خمسة سنتيمترات ، وعرضه ثلاثة ، وقد احترق الشعر المحيط به . . وهذا مكان دخول الرصاصة التى اخترقت المخ ، ونفذت من فوق الأذن اليسرى . . »

والبس الرجلان ابنة اختهما ثيابها ، وثبتا عصا بحبل خلف ظهرها ، لتظل الجثة فى وضع مستقيم . . ثم حملا الجثة - فى الساعة السادسة عشرة مساء - الى مقبرة (هاليجنكروز) ، وهما يسندان الجثة - فى المركبة - بنراعيهما ، بينما كان المطر يهطل غزيرا . .

وبسبب هذا المطر ، لم يتسن اعداد القبر الا فى الصباح التالى ، ثم غيب فيه الجثمان داخل تابوت متواضع ، صنع

من أربعة ألواح من الخشب . .
وبعد سنوات ، سمح لأسرة ((فيتسيرا)) بأن ترفع صليبا
فوق القبر !
وهكذا فرقت التقاليد الامبراطورية - بعد الموت - بين
العائدين الذين لم يستطع الامبراطور أن يفرق بينهما وهما
على قيد الحياة !



قبر ((ماري فيتسيرا)) بعد أن سمحت الحكومة برفع
الصليب عليه ، وكتابة اسمها !

صراع الحب .. والواجب!



بقلم : ابراهيم المصري

• تقع حوادث هذه القصة اثناء حرب الاستقلال الايطالية الى دارت رحاها في سهول مقاطعة (لومبارديا) عام ١٨٢٠ ، بين الفدائيين المنتمين الى هيئات المقاومة السرية في ايطاليا ، وبين رجال الجيش النمساوي . وقد اشار المؤرخ « هنري لافورج » في كتابه عن (الوحدة الايطالية) الى حادث خارق وقع في لومبارديا اثناء مقاومة عنيفة نظمها زعيم فد جرىء من زعماء حرب العصابات يدعى « اتيليو » . وقد خلد هذا الحادث في رسالة رائعة كتبها الفتاة « جوليانا » الى الزعيم « اتيليو » . فرايت ان انقل الرسالة كما هي ، متخذة منها مادة هذه القصة :

من « جوليانا » الى الزعيم « اتيليو »

• انى لأرتعد خوفا من مجرد تصوري أنه يجب أن أبعث اليك بهذا الخطاب . . ولكنني لا أرتعد أبدا مما فعلت ، ولا آسف على ما فعلت ، ولا يشتابني من جرائمه أيسر احساس بالندم ، أو الحسرة ، أو تبيكت الضمير !

أنا فتاة ، وأنا عاشقة . . ولكنني في تلك اللحظات المروعة نسيت أنوثتي ، بل خنقتها عامدة في اطواء صدرى ، ونسيت غرامى ، بل أخمدت شعلته عامدة في حنايا ضلوعى . وهكذا لم أشعر إلا بأنى مواطنة صادقة ، على واجب مقدس ينبغى أن أؤديه !

ولقد أديت واجبي على خير وجه واكمله . أديتسه على
 انقاض حبي ، وعلى أشلاء نفسي ، وعلى مذبح الوطن العظيم ،
 الذي اعتقد اعتقادا راسخا أنك أنت نفسك تحبه ألف مرة
 أكثر مما تحبني ، وتجود في سبيله عند الاقتضاء بأعز الناس
 عليك ، وأوثقهم صلة بك ، وأقربهم إلى روحك وقلبك ودمك !
 ولو أنني أحسست لحظة واحدة أنك أقل مني وفاء
 لوطنك ، وإيماننا بواجبك ، وتعلقا بشرفك ، ما أقدمت أنا على
 ذلك العمل الفظيع الذي سأكاشفك به ، والذي لا يستمد
 « فظاعته » من مسلكي ، بل من مسلك صاحبه المجرم النذل ،
 الفادر ، الشرير !

أنت يا « أتيليو » زعيمنا ، وأنت الذي حملت راية الجهاد
 في وجه المستعمر النمساوي الذي أذل بلادنا ، وحرمها
 وحدتها ، واغتصب منها أجمل مقاطعاتها ، وراح يمرح في
 سهول (لومبارديا) الجميلة ، ويعيث فيها فسادا ، ويضرب
 على الوطن كله رواقا كثيفا من العبودية ، والطغيان ، والظلم !
 أنت الذي أنشأت هيئات المقاومة . . وأنت الذي نظمت
 حرب العصابات . . وأنت الذي نفثت في الصدور الخائرة ،
 والعزائم الواهنة ، روح الشجاعة ، والبطولة ، والتضحية ،
 والفسداء !

لهذا أحبتك ! . . لهذا عشقتك . . لهذا أصبحت
 خطيبتك واقسمت أمام الله والناس أن أكون لك وحدا .
 ولكني لا أستطيع أن أضع حبك فوق حبي لبيلادي ، ولا
 أستطيع أن أوثر حبك على حبي لبساتي ، ولا أستطيع أن
 أغلب عاطفة حبك على عاطفة القيام بواجبي المقدس نحو وطني ،
 هذا الواجب الذي تدعو إليه أنت بوصفك الزعيم ، والذي
 أعرف أنك لم تتسامح ولن تتسامح في تأديته ، ولو
 هلك ! . . فباسم هذا الواجب ، الذي تعلمت قداسته منك ،

أقدمت على ارتكاب ذلك العمل المروع بقلب هادئ ، ونفس ساكنة ، وعزم ثابت مطمئن !

فاسمع الآن ما حدث أثناء غيابك ! . . أرهف السمع جيدا وسامحني . سامحني لأنني لم أفعل إلا ما كان لابد أن تفعله أنت لو كنت مكاني . ولقد فعلته وأنا متأهبة لانكار نفسي ، والتضحية بحبي ، وتقبل الموت من أجلك ومن أجل وطني !

هذا ما وقع ، فأنقشه في صفحة خيالك . وعسى أن يشفع لي فيه عندك حرصى على واجبي ، فيظل حبك لي عنيفا قويا ثابتا ، حتى بعد أن أكون قد فارقت هذه الدنيا ، وحرمت نعمة النظر اليك والاعجاب بك يا حبيبي !



منذ أن تعقبك البوليس النمساوى وأراد أن يلقي القبض عليك ، ومنذ أن رحلت عنا الى (ميلانو) ، وفرت الى كوخ ذلك الفلاح المجاهد الذى أخفاك عنده . . منذ ذلك الوقت ، أى منذ شهرين ، والبوليس يبحث عنك ، ولا يكف عن تفتيش جميع البيوت فى (لومبارديا) ، ولكن من غير جدوى !

ولقد اقتحم بيتى مرة ، واقتحم بيتك أنت ثلاث مرات . ولما يُس من المعثور عليك ، ألقى القبض على شقيقك ، على « الكسندرو » ، وشرع يعذبه ليعترف !

والحق أن « الكسندرو » كان فى مبدأ الأمر عظيما . احتمل التعذيب دون أن ينطق بكلمة . كان مثال الشجاعة والصبر والتضحية . كان جديرا بك وخليقا بالانتساب اليك . بيد أنه لم يكف يخرج من السجن حتى تبذل . أثرت فيه قسوة التعذيب ، وأشاعت فى خلقه الثابت المتين ضربا من الرخاوة والبلادة ، تطورتا شيئا فشيئا واستخالتا على مر

الزمن الى انانية عميقة ، شابتها عوامل الخوف والجبن ،
والتواكل ، والاستهتار !

أجل ، انقلب ذلك الشاب المجاهد المغامر ، من « بطل »
الى انسان مسلوب الارادة والكرامة ، لا يفكر الا في نفسه ،
ولا يحرص الا على سلامته ، ولا ينشد في هذه الحياة سوى
المتعة البدنية الوضيعة ، والعرض الدنيوى الزائل !

وكان الكسندرو يحب « الفيرا » كما تعلم . وكان قد
انفصل عنها تحت تأثيرك أنت ، وكان في صميم نفسه يحقد
عليك ، لأنك تكرهها وتتهمها بضعف الخلق ، ونقص الوطنية ،
وفساد السيرة ، وتأبى أن تزوجه اياها . فلما خرج من
سجنه ضعيفا مستخديا ، تواقا الى متع الحياة ، وشبه نادم
على تضحيته ، ثم تلفت حواليه فلم يبصرك أمامه ، التهب
حبه القديم ، فعاد الى « الفيرا » ، أشوق ما يكون اليها ،
وأطوع ما يكون لغرائزها ، تلك الغرائز الشائنة الجامحة
العنيفة ، التي كنت تكرهها أنت في تلك الفتاة ، والتي طالما
حذرت شقيقك من عواقبها !

وانقاد الكسندرو لتأثير « الفيرا » انقيادا اعمى . ولم يعد
يحفل الا بها ، ولم يعد يهتم الا بارضاء غرائزها ونزواتها !

ولقد ختم حبه على بصره الى حد أنه كان يستخف
بالأوامر التي كان يصدرها اليه « الشيخ ريناتو » الذي عينته
أنت نائبا عنك ورئيسا علنيا أثناء غيبتك . بل لقد كان يروغ
من تلك الأوامر ، ويعصاها ، ويحاول بكل ما أوتى من دهاء
ومكر أن يسفها ، ليتجنب الأخطار التي يمكن أن تصيبه فيما
لو أقدم على تنفيذها !

وكان الحب قد أفقده صوابه ، فعلمته « الفيرا » كيف
يخاثل ، وكيف ينافق ، وكيف يتهرّب ، وكيف يعاقر الخمر ،

ويلعب الميسر ، وينشد المتعة ، ويستهزئ بكل مبدأ رفيع
وكل جهد نبيل في هذه الدنيا !

تجاه هذا التدهور المنكر ، حاولت أنا أن أصلح ، أن أنبه ،
أن أحذر ! . . ولكن « السبكتندرو » كان يزجرني ، ويسخر
مني ، ويحتقرني ، ويصارحني في وقاحة - وفي غير ما
استحياء ! - بأنني إذا كنت أريد أن أربح الأوهام وأخسر
الحقائق ، فهو لن يقتدى أبدا بحمقاء مثلي ، ولن يبيع الواقع
الحى أبدا في سبيل خيالات وأحلام !

وتحطم كفاحي على صخرة عناده ، بل تحطم قلبي على
صخرة غلظته ووقاحته ، ذلك لأنني كنت أعلم أنك تحبه ، وأنك
تثق فيه ، وأنك ربيته كولدك ، وأنك تؤمن إيمانا راسخا
متأصلا عميقا بأنه صورة حية منك . بيد أن الكسندرو لم
يفهم ولم يقدر ، وأمعن في غيبسه . . حتى وقع ما لم يكن في
الحسبان : اشتد بأس البوليس النمساوي من أماكن العثور
عليك ، فأعلن في الصحف عن مكافأة مالية كبيرة لمن يرشده
عنك !!

ولم يكد يظهر هذا الاعلان المشؤم - الذي لا بد أن تكون
قد قرأته ، أو سمعت به - حتى أحسست أنا أن روحا جديدا
قد بدأ يحتل شخصية الكسندرو ! . . وأن شيئا خفيا ، شيئا
فظيحا قد بدأ يتحرك على مقربة مني ، ويدب ديبا مروعا في
كل نظرة أو إشارة تصدر من أخيك ، أو من حبيبته ((الفيرا)) !
وانطوى الكسندرو على نفسه ، وشاعت الجهامة في خلقه ،
وافترسته عوامل الحيرة ، والقلق ، والتخبط ، والهـم ! . .
أما الفيرا فقد كنت لاحظ أنها تحثه ، وتشجعه ، وتستنهض
همته ، وتدفعه إلى شيء يجذبه ويستهويه ، وأن كان في الوقت
نفسه يخيفه ويذعره !

وساورتنى الريب والشكوك ، ولم أشأ أن أصدق ، بل لم أشأ أن أتصور . . فراقبت العاشقين جهدى ، وتجسست عليهما ما وسعتنى حيلتى !

وفى ذات ليلة . . فى ذات ليلة ساكنة كالقدر ، مظلمة كالخيانة ، غاشمة كالقدر ، غافلت العاشقين وهما فى بيتك ، ورأيتهما يدخلان مخدعك . . فأسرعت وصعدت الى صوفعة الغلال ، ثم هبطت الى الحديقة بعد لحظات ، ثم انبطحت على الأرض فى الظلام الدامس ، وطفقت أزحف حتى اقتربت من نافذة المخدع ، فأرهفت اذنى . . وسمعت كل شيء !

سمعت « الفيرا » تعرض شقيقك على الوشاية بك ، وتمنيه بالمكافأة المالية العظيمة التى جعلها البوليس ثمناً لرأسك ، وتزين له الحياة الآمنة الرغدة فى صحبتها خارج إيطاليا . . ثم رأيت به هو . . الكسندرو . . يضمها الى صدره فى عنف ، ويقبلها قبلة طويلة محمومة ، ثم يشيعها الى الباب وهو يطيب خاطرها ويقسم لها أنه سيذهب الى ادارة البوليس الليلة ، فيرشدها عنك ، ويقبض المكافأة ، ويعد العدة لتنفيذ الخطة المرسومة والرحيل عن إيطاليا !

وانصرفت الفتاة ، وظل الكسندرو واقفاً بعتبة الباب يتبعها النظر ويفكر ! . . وكنت انا قد أسرعت بالصعود الى الصومعة ، فلما اختفت الفيرا ، وعاد الكسندرو فدخل البيت ، هبطت ثانية وأنا أرتجف ، ثم خارت قواى بالرغم منى ، فتباطأت لحظة وانتظرت . لا أدري لماذا انتظرت ! كنت مبهوثة . . كنت مذهولة . . كنت كمن فوجئ بضربة هائلة على رأسه أعمته وصرعته . لم أستطع أن أتحرك . جمسدت فى مكانى ، وزايلتنى - من فرط ذهوى - كل قدرة على العمل أو التفكير !

وفجأة أبصرت الكسندرو يرتدى معطفه ، ويلبس قبعته ،
ثم يدس خنجره في ثنايا حزامه الجلدى ويفلق أبواب البيت
الداخلية ويتهيا للخروج ! .. وكانت حركاته حاسمة ،
وخطواته ثابتة ، وروح العزم تنبعث من كيانه ، وتجلل طيفه ،
وتتدفق على كرائحة متعفنة كريهة تأخذ بمخنقى . فلما رأيته
يدنو من الباب الخارجى ويهم بأن يوصده خلفه ، دبت الحياة
في أعضائى كوقد النار .. فهبطت السلم بسرعة واعترضت
طريقه ، وصحت به وأنا أختلج :

— الى أين أنت ذاهب ؟

فحملق في مذهولا وتمتم : أنت هنا ؟

فصرخت فيه وأنا ممسكة بذراعيه ، أدفعه الى داخل
البيت :

— لقد رأيت وسمعت كل شيء يا الكسندرو ! لن تذهب !

لن ترتكب هذه الجريمة الفظيعة ! لن أدعك تخون وطنك وتغدر
بأخيك من أجل امرأة ! انه أكثر من أخ لك . انه والدك . انه
زعيمك . بل هو زعيم كل مواطن حر تظله سماء (لومبارديا)
.. ولو تركتك تشي به ، وترشد عنه ، فأنا ، أنا التى أعتبر
نفسى مواطنة مجاهدة قبل أن اكون امرأة ، وقبل أن اكون
عاشقة ، أنا أصبح شريكك فى الجريمة ، شريكك فى قتل
زعيم بطل ، فى وقت أرى فيه بلادى أحوج ما تكون اليه فى
صراعها المرير ضد المستعمر الفاصب . فشب ائى رشسك
يا الكسندرو واذكر ماضيك ! لقد كنت أنت أيضا مجاهدا فلما
يشق طريق العذاب متجها صوب البطولة ! فانبذ تلك المرأة
واستفق ! لا تلوث شرفك ومجد أخيك ! لا تقض على زعيمنا ،
والا هدمت صرحا شاهقا من صروح جهادنا ، وأخرت تحرير
بلادك ، وكنت حليف المستعمر الفاصب على وطنك التاعس
المسكين !

وانحنيت على يديه ، وشرعت أقبليهما وأنا أتوسل اليه وأبكي . ولكنه كان جاحدا ، كان تأثها ، كان كأنه يفكر في كلامي ويفكر في « الفيرا » . وبغته قطب حاجبيه وضم شفتيه ، فخيل الى أنه يجاهد ليتغلب على نزعة الشر المتمكنة من نفسه . غير أنه أرسل غمغمة طويلة ، ثم مد ذراعيه المتشنجتين ، وقبل أن أتنبه ، انقض على ، وانشب أصابعه في عنقي ، فارتعدت فرائصي ، ولحت نيسة القتل في عينيه . . فاستجھمت قواي ودفعته عني ، فتأثرت تأثرته ، وتشبث بي . . فعضضت على يده بأسناني ، فطاش صوابه ولطمني ، ثم عاد فقبض على عنقي . . فغافلته وأنا أكافح ، وانتزعت خنجره من بين ثنايا حزامه الجلودى ، ثم أغمدته في صدره وأنا لا أعى ! وانهار مضرجا بدمه أمام عيني . . فلم أكرث ، ولم ارتجف ، وألقيت الخنجر بجوار الجثة ، وانطلقت أعدو في اتجاه بيتي !

وكانت القرية راقدة ساكنة . وكان الشارع الضيق ميتا هامدا ، لا يسمع فيه غير حفيف الشجر الجاثم في غير مبالاة على حافة الجدول . فتلفت حواي ، فلم أبصر أحدا ، فأبرقت أسباري على الرغم متى ، ودخلت بيتي ، وأنا ازفر وألهث ! ولم يفكر أحد في اتهامى . لم تحم حولى أية شبهة . مثلت دورى على أكمل وجه ، فبكيت القتل ، ولعنت المجرم ، وظهرت بمظهر الفتاة التى سحقها الألم والحزن ، فخدعت الجميع . . حتى « الفيرا » !

خدعتهم ولكنى لم أستطع - وأأسفاه ! - أن أخدع نفسى . . كما لم أستطع أن أفكر أن فى وسعى أن أخدعك أنت أيضا يا حبيبى : لقد قتلت أخاك ! قتلت أقرب الناس اليك ، وأحبهم الى قلبك ، واعزهم علي نفسك . . أجل ، قتلتته من أجل غرض عظيم . قتلتته انقباذا لبندتك ، وحرصا على جهادك ، وابقاء على

عمالك ، وذودا عن عبقريتك ، ودفاعا عن حركة التحرير المقدسة التي لا غنى لها عن زعامتك ! قتلت أخاك . لا من أجلك ، بوصفك خطيبي وحببي ، بل من أجلك بوصفك زعيم لومبارديا . قتلتك من أجل الزعيم ، ومع ذلك فالحقيقة لا تحجب الواقع المروع . فالواقع المروع هو أنى قتلت أخاك . طعنك في شفاف قلبك . مزقت لحمك ودمك ! فكيف ، كيف استطيع بعد الآن أن أحبك وأنشد حبك ، وأصبح في يوم من الأيام زوجتك ، وجثة شقيقك بيننا ، وطيفه يحلق علينا ، ودمه يصبغ ماضينا ، ويسم في المستقبل حبنا وحياتنا ؟ قد تقول في نفسك : « انها كاذبة ومنافقة . لقد قتلت الخائن ، لا عن وطنية بل عن حبه . قتلتك لا لتنقذ حياة الزعيم بل لتنقذ حياة حبيبها ومعشوقها ! » . . وهكذا تطعننى في صميم وطنيتى ، فيزداد حقدك على ، وكرهك لى !

هذه الأفكار جميعا طافت بذهنى ، واستبدت بخيالى ، فشعرت أن عقلى يوشك أن يفلت منى ، وأن الجنون يتربص بى ويقف لى بالمرصاد . .

فماذا فعلت لأنقذ نفسى وأنقذك منى ، وأثبت وطنيتى ، وأؤكد انى لم أقتل المجرم من أجل غرض شخصى ، بل من أجل غرض عظيم ؟ فكرت فى التضحية بنفسى . فكرت فى الانتحار ! ولكنى عدت فثبت الى رشدى ، وقلت ان الانتحار هزيمة فاضحة ، وانه لن يبرئنى ، ولن يكشف عن حقيقة نيتى ، ولن يعزز شعور الوطنية الذى كان يملا ساعة القتل صدرى . واذن فلا بد لى من عمل خارق يودى بحياتى ، وينقذنى ، ويؤكد فى الوقت نفسه صدق وطنيتى .

أجل . أردت أن أموت لأجنيبك فظاعة قريى ، وأجبرك على الايمان بخالص وطنيتى . فحزمت امرى وقررت !

وكنت أعلم أن نائبك الشيخ ريناتو قد أصدر أمره إلى أحد الفدائيين من اخواننا بأن ينطلق تحت جناح الظلام إلى معسكر الفرقة النمساوية ، وأن يلقي قنبلة يدوية على خيمة قائد الفرقة ومساعديه . وكنت أعلم أن من اليسير على ذلك الفدائي البطل أن يتزىي بزى أعدائنا ويؤدي مهمته . ولكني كنت أعلم أيضا أنه لا بد أن يقتل أثناء العودة برصاص « ديدبانات » الليل . فأسرعت من فوري ، وذهبت إلى النائب الشيخ ، وقصصت عليه قصتي ، وطلبت إليه - وأنا التمس واتوسل - أن يمنحني شرف القيام بتلك المهمة ، وأن أحل محل الفدائي البطل .

واضطرب الشيخ وبهت . ولكنه بعد أن فكر مليا ، أبى أن يجيبني إلى سؤالى ، وقال لى : « هذه المسألة من شأن الزعيم » اتيليو » . أنه خطيبك ، وهو وحده الذى فى وسعه أن يقرر مصيرك ، فاكتبى إليه واستأذنيه ، فان أذن لك أطقته أنا وعاونتك على تنفيذ أمره ! »

وتركت الشيخ ثائرة مهتاجة وعدت إلى دارى ، ثم شرعت أكتب إليك هذا الخطاب ، هذا الخطاب الذى لا مفر من أن يكون خطاب وداعى . فاسمع الآن يا حبيبى . لا بد . . لا بد أن تجيبنى أنت إلى سؤالى ، ولا بد أن تعهد إلى بتلك المهمة العظيمة التى فيها خلاصك ومجدى ! واعلم أنك إذا رفضت ، رحمة بى وإبقاء على حياتى ، فساقضى أنا بنفسى على نفسى ، وتكون أنت قد دفعتنى إلى موت حقير وضيع ، لا يبرئك أمام ضميرك ، ولا يشرفنى ! فلا تدعنى أنتجى وأمت رخيصة ، وانقذنى ! هب لى هذه السعادة إذا كنت ما تزال تحببى ! وثق انى سأموت مطمئنة القلب ، ناعمة البال ، متى أيقنت أن حكمك قد أنقذك وأنقذنى ، وأن حبك قد حفظ على كرامتى ، وآمن إيمانا مطلقا بصدق وطنيتى وجهادى .

أقبلك من صميم قوادي . أقبلك وأنا لا أريد أن أضعف
وأتمزق وأبكي . فإياك أن تضعف أنت وترحمني . . فالرحمة
الحقيقية هي أن تصدر على حكما بالبطولة لا حكما بالتراجع
والجبن والشقاء . أنا في انتظار كلمتك المنقذة . والوداع ! »



● وحمل أحد المجاهدين رسالة « جوليانا » الى الزعيم
اتيليو . وبعد ثلاثة أيام عاد الى الفتاة بهذا الرد الموجز :
« أحبك يا جوليانا ولن أعرف بعدك امرأة ! أنت بالعقل
والقلب والروح زوجتي الى الأبد يا جوليانا . انك لم تقتلي
أخي بل قتلت مجرما . ومع ذلك فأنا أقول لك اذهبي وأدى
مهمتك . وإذا كنت أحطم اليوم قلبي وأضجى بك ، فأنا إنما
أضجى بك من فرط حبي لك ، وأشفأقي عليك من حياة
تقضيئها في صحبتي ، بينما ضميرك يمزقك ويأبى عليك إلا أن
تعتبري ذلك المجرم النذل أخي ! أنا نفسي وضعت رأسي على
كفى ، وقد أموت اليوم أو غدا ، والحق بك ! فلا مفر لي من
أن أنزل على حكم أراذك يا جوليانا ، وأنا أقبلك عن بعد
وأقطع . فالوداع يا حبيبتي . . أما « الفيرا » فقد أصدرت
أمرى بشأنها ! »

وبعد بضعة أيام ، وجد القرويون « الفيرا » مقتولة وملقاءة
في أحد الحقول . أما جوليانا فقد تسالت تحت جناح الظلام ،
وقامت بمهمتها على خير وجه ، فألقت القنبلة وأصابت قائد
الفرقة ومساعديه . . ولكنها بعد ذلك لم تعد !

الحياة الجنسية عند الإغريق

للباحث الاجتماعي
"هانز ليتشت"



SEXUAL LIFE IN ANCIENT GREECE

BY : HANS LICHT

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

دراسة الجنس عند أهل اليونان القديمة

لكي تفهم حضارة قوم ما ، وتصل الى قيمتها ، لا بد لك من ان تلم بحياتهم الجنسية ، وبما للجنس من اثر في الدين ، والادب . . في الدولة وفي المجتمع . . في كافة نواحي الحياة . . وايماننا بهذه النظرية ، درس البروفيسور « هانز ليشنت » الحياة الجنسية لدى الافريق . . اهل اليونان القديمة . . ليستطيع ان يفهم حضارتهم ، التي اخذ منها الغرب الحديث كثيرا من اصول حضارته . .

وقد قدمنا لك . . في العدد الماضي من « كتابي » - الحلقة الاولى من الدراسة العلمية الرائعة ، التي اجراها البروفيسور « ليشنت » . . وعلى الصفحات التالية ، نقدم لك حلقة ثانية ، آملين ان تتبعها بحلقات اخرى في الاعداد التالية . .

اختبار العفة . . وعقاب الزاني والزانية !

● كان « الحريم » مملكة الزوجة عند الافريق . . ولكن الرجال كانوا ينعمون بحرية واسعة النطاق ، في حين ان المرأة كانت شبه حبيسة في دارها ، وللزوج ان يطلقها اذا هي بارحت الدار دون اذن منه . .

ويصور الكاتب القصصي « اخيلس تاتيوس » - في القرن الخامس بعد الميلاد - ما يسمونه « اختبار عفة الفتاة العذراء » . . فيقول انه كان في (افسس) كهف كرسه الاله « بان » للعذراء « ارتيمس » ، وعلق فيه مزماره ، وحرم دخوله الا على العذارى الطاهرات . فاذا حامت الشبهات

حول فتاة ، حسبت في الكهف . . وكانت الانتقام تنبعث من الزمار عالية ، اذا كانت الفتاة طاهرة الذيل ، وعندئذ تفتح أبواب الكهف تلقائيا لها لتخرج . . أما اذا كانت الفتاة قد فقدت بكارتها ، فإن الزمار يظل صامتا ، ولا يلبث أن ينبعث من الكهف أنين ، ثم تفتح الأبواب . . فاذا الفتاة قد اختفت ! ويقول « بلوتارخ » ان المجتمع الاسبرطى لم يكن يضم زانيا أو زانية . . ولكنه - في حديث آخر - يقول ان الزوج الاسبرطى ما كان ليحجم عن أن ينزل عن زوجته لرجل آخر ، اذا وجدده أصلح منه واقدر على انجاب النسل !

وفي أثينا ، لم يكن من الغريب على الزوج أن يقتل أى رجل يسطو على عرضه ، كما كان القانون يقضى بقتل الزانى . وكان الذى يغوى فتاة لا غبار على خلقها ، يلقي أقسى ألوان العقاب . . أما الفتاة التى تفرط فى عرضها دون زواج ، فكان أبوها يحبسها مع حصان ، فى بيت معين - بمعزل عن المدينة - كان يعرف باسم « بيت الحصان » . . وتظل الفتاة والحصان حبيسين ، حتى تهوت الفتاة جوعا ، أو ينقلب الحصان الى وحش - تحت وطأة الجوع - فينهشها !

((راكبة البغل)) . . ((ومديرو الفرص)) !

● ويضيف « آيخين » الى هذا ، أن الزوجة الخائنة كانت تحرم من كل زينة ، وتمنع من زيارة المعابد ، حتى لا تفسد غيرها من النساء . . فاذا وضعت أية زينة ، كان من حق أول رجل يصبأدها ، أن يمزق عنها ثيابها ، وأن يستولى على حليها ، وأن يضربها بشرط ألا يقتلها أو يصيبها بغاية تقعدها . أما اذا وجه الاتهام علنا الى اثنين بارتكاب الزنا ، فيحاكمان ، واذا أدينا عوقبا حتى الموت .

ويروى « بلوتارخ » أن الزانية فى (سيمه) كانت تجر الى السوق ، وتعرض عارية للجميع ، ثم توضع على بغل

يطوف بها المدينة ، وتوضع بعد ذلك على حجر معين ، نهيا
للأبصار . . . وتدمغ بقلب « راقبة البغل » !
وكان الطريق الى الخيانة الزوجية ، أو الزنا عامة ، يمهّد
بوساطة الخادومات والوصيفات ، طمعا في المال . . . وكن يحملن
الرسائل والهدايا ، ويدبرن الاجتماع في الخفاء . . . وقد وصف
((أوفيد)) ، في كتابه ((فن الحب)) - الذي قدمه اليك
((كتابي)) في عدده (٢٨) - كيف أن وصيفة ((فيدرا)) ،
استعملت كل الحيل والدهاء لاستمالة ((هيبوليتاس)) - ابن
زوج فيدرا - عندما شغفت مولاتها حبا به !

على أن الخادومات والوصيفات لم يستأثرن بهذا المجال ،
بل قامت طائفة خاصة - أطلق عليها اسم « مدبرى الفرص »
- بتهيئة الحب ، لقاء أجز . . . ويصف لنا « هيرونداس » - في
القرن الثالث قبل الميلاد - صورة من نشاط هذه الطائفة ،
عندما كانت زوجة تدعى « ميتريخ » تجلس مع وصيفتها ،
عاكفة على التطريز ، وهى مشغولة البسال لأن زوجها
((مندريس)) رحل الى مصر - قبل عشرة شهور - ولم
يعد . . . وفجأة ، تدوى طرقات على الباب ، فتقفز الزوجة
فرحة ، اذ تظن أن زوجها عاد ، واذا بها امام « قوادة »
عجوز ، تدعى « جيليس » . . . ويدور بينهما حوار ، تقتطف
منه ما يلي :

ميتريخ : ما الذى أفراك بزيارتى ، وقد مضت خمسة
أشهر منذ رآك أحد ببابى ؟
جيليس : أن الشيخوخة تقعدنى ، والموت يقترب منى .
ولكن ، لا بد أن حياتك موحشة يا ابنتى ، وأنت تأوين الى
مخدعك وحيدة . . . لا بد أن ((مندريس)) قد نسيك ، ونهل
- من جديد - من كأس الحب . . . ففى مصر بيت أفروديت ،
وفيهما الثراء ، والنفوذ ، والسلام ، والمجد ، والربات ،

والفلاسفة ، والمحظيات . . ما رأيك في أن تدفني مخدعك ؟ .
 أنك ستدوين بعيداً عن الأعين ، وستفني يد البلى جهـالـك
 الناصح . الا غيرى مسلكك يومين أو ثلاثة ، وأسعدى مع
 صاحب آخر . . فلا أحد يدري الى متى يدوم الشباب !
 وتعرض عليها صحبة شاب ، تمضي في تعداد أمجاده ،
 ووصف محاسنه . .

ميتريخ : ان الشيب يطفى ذكاءك . ما كنت لأصفي
 لكلمات كهذه من امرأة غيرك ، بحق ما يداخلى من أمل في أن
 ارى « مندريس » يعود سالماً . .
 جيليس : ما جئت بشية أغرائك على الفساد ، انما جئت
 أحدثك عن حفلة . . فليرافقك الحظ . حافظى على نفسك !

((الجرسونيرات)) ، وزواج التجربة ، عند الاغريق !

● وفي هذا المثال ، أخفقت « القوادة » ، إذ أن « ميتريخ »
 كانت واعية بطرقها في التسلل خلال نقاط الضعف في نفس
 المرأة الوحيدة . . ولكن ما أورده المؤلفون القدامى عن « أوكار
 الهوى » ، ينبى عن أن السعى للجمع بين العشاق كان مهنة
 رائجة . . كذلك كان من المألوف أن يعير صديق صديقه داره
 ليأوى اليها في لقاءات الحب الأثم .

ولم يكن نادراً أن يعلم زوج بغراميات زوجته ويتفاضى
 عنها ، وقد يتقبلها كهورد لكسب مـادى . على أنه كان
 للزوجة - التى تأبى أن يتكسب زوجها من بدنـها - أن
 تطلب الطلاق منه !

وكانت هناك أسباب أخرى للطلاق : منها عدم التوافق
 في الطباع ، ومنها العقم ، إذ كان الاغريق يرون أن الفـاية
 الأولى للزواج هى انجاب النسل . . وروى عن « كريـس »
 انه قدم ابنته لتكون زوجة لمدة ثلاثين يوماً ، « على سبيل
 التجربة » ، فان أنجبت استمر الزواج ، وان لم تنجب فسخ !

النساء يضربن الرجال لحملهم علي الزواج !

٥. علي أن كل ما قيل عن الزواج عند الاغريق - حتى الآن - ليس سوى محاولة لتكوين صورة عامة ، من خلال فقرات متناثرة فيما كتب مؤلفوهم ، تصلح أساسا لدراسة الزواج ، ومعرفة وضع الزوجة ، في الحضارة الاغريقية . ومن أغنى المصادر في هذا الصدد كتاب « مآدبة العلماء » ، الذي وضعه - في ١٥ جزءا - الفيلسوف السكندري المصري « اثنايوس » ، في عهد الامبراطور الروماني « ماركوس اوريليوس » . وقد جمعت تلك المآدبة ٢٩ من خيرة المثقفين الرومان - في كافة فروع العلم - وتناولت مناقشاتهم كافة نواحي الحياة . وفي بداية الجزء الثالث عشر ، ورد الحديث عن الزواج ، وجاء في سياقها : « كان من عادة الاسبرطيين أن يحبسوا الفتيات - اللاتي في سن الزواج - في حجرة مظلمة ، ومعهن الشبان غير المتزوجين . وكان كل شاب ينطلق بالفتاة التي يصل اليها في الظلام ، ليتزوجها دون صداق أو دوطه » ! كذلك قيل ان النساء كن - في عيد معين - يسقن الرجال غير المتزوجين الى مذابح المعابد ، وهن يضربنهم بقضبان ، حتى يقبلوا على الحب والزواج ، تفاديا للفصائح !

وكان تعدد الزوجات معروفا في (اثينا) ، في بعض مراحل تاريخها ، ويقال أن « سقراط » كان متزوجا من اثنتين ، أحدهما « اكسانتيب » - التي اقترن اسمها بسيرته - والآخرى كانت تدعى « ميرتو » . . كما أن الرجل كان يقتنى - الى جانب زوجته - المحظيات . . وقد عاب « ثيرساتيس » على « اجاممنون » - في « الالياذة » - كثرة زوجاته وجواريه ، ووصف « ارسطوطاليس » هؤلاء الجوارى بأنهن لم يكن سوى « منحة شرف » للبطل . . وعرف عن « هرقليس » أنه كان أكثر رجال عصره نساء ، ولكنه لم يكن

يعاشر أكثر من واحدة ، في المرة الواحدة . . . وذلك اثنا عشر أسفاره وحملاته العديدة .

كذلك كان الشاعر « يوريبيدس » من المولعين بكثرة النساء . ولقد قيل مرة لسوفوكليس أن « يوريبيدس » عدو للمرأة ، فقال : « أنه كذلك في تراجيدياته فقط . . . أما في الفراش ، فهو مشغوف بالنساء ! »

الزوجات في أدب الفكاهة الاغريقي !

● والأدب الاغريقي حافل بالسخرية من الزوجات . . . فيقول الكاتب المسرحي الهزلي « اليكسيس » ، في إحدى تمثيلياته : « ما أشقانا - معشر الرجال - اذ بعنا حريتنا في العيش والرفاهية ، لنصبح عبيدا لزوجاتنا ! . . . ويحسد « اكسينارخوس » الجراد على انائه ، لأنها خلقت بلا صوت ، ومن ثم فإن ذكور الجراد في راحة من ثروة زوجاتهم ! . . . أما « اريستوفون » فيقول ان الرجل الذي يتزوج مرة معنور ، أما الذي يتزوج للمرة الثانية ، فلا عذر له فيما يلقي من عناء ! . . . ويقول « انتيفانيس » عن أحد الأشخاص : « أصبح انه تزوج ؟ . . . كيف وقد كان بالأمس يمشي على قدميه ؟ » ! . . . بينما يقول « يوريبيدس » ، ان دفن المرأة خير من الزواج منها !

ويروى عن « اريستوفانيس » قوله : « ليس ثمة وحش عات ، لا سبيل للتغلب عليه ، يفوق المرأة . . . وما من نار أو نمر كاسر يضارع المرأة في عدوانها ، دون تورع » ! . . . وقد سبق في تمثيلياته على السن النساء كثيرا من آرائه التي تحط من قدر المرأة . . . فهو يصفها بالفجور ، والخيانة ، والطغيان . . . ويدعو الى حبسها خلف أبواب محكمة الاغلاق !

وفي قصيدة ساخرة ، نظمها « سيمونيدس » - في القرن السابع قبل الميلاد - نجد الشاعر يقول ان تسع نساء من

كل عشر ، لسن أهلا لاي اعتبار ، وذلك راجع الى أصولهن . . فالنساء - عنده - ينتسبن الى أصول عشرة : المرأة القذرة ، ويرجع أصلها الى الخنزير ، والفائقة المكر - وينسبها الشاعر الى الثعلب - والفضولية وتنتسب الى الكلب ، والغبية التي لا تحسن سوى الأكل وتنتسب الى الأرض ، والمتقلبة الأهواء وتنتسب الى البحر ، والخاملة وينسبها الشاعر الى الحمار ، والحقود وينسبها الى القط ، والتي لا هم لها سوى الثياب والزينة وينسبها الى الحصان ، والقبيحة الشكل وينسبها الى القرد !

أما المرأة العاشرة - الوحيدة الجديرة بالثناء - فتنتسب الى النحلة ، وهي أصلح النساء لأن تكون زوجة ، فهي ربة بيت نشيطة ، وأم يقظة شديدة العناية . . والمرأة من هذا الصنف تعيش مع زوجها ما امتدت حياتهما ، وتنجب له سلالة تمتاز بالجمال والتفوق .

فلسفة الملابس عند الاغريق

● اذا كان منشأ الثياب في فجر التاريخ راجعا الى الرغبة في اتقاء تقلبات البرد ، فان الملابس لم يلبث أن ارتبط بالرغبة في ستر بعض أعضاء الجسم - حياء واحتشاما - وبالميل الى التزين وابرار بعض مفاتن الجسم . . وقد أصبح هذا الميل - في عصرنا - هو أهم ما يهدف اليه الكساء ، أما الرغبة في ستر بعض الأجزاء ، فهي متقلبة متغيرة ، تبعاً لتقدم الثقافة ولتطور مفهوم الحياء والاحتشام !

ولم تكن ثياب الصبي - عند الاغريق - تهدف الى اظهار جمال الجسم ، اذ كان الزي الوحيد له حتى مرحلة البلوغ ، (في السادسة عشرة من العمر عادة) ، عبارة عن مشرر يربط الى الكتف اليمنى ، أو يثبت على الصدر ، وينسدل حول الجسم . وكان هذا الزي يمتدح لأنه يكسب الولد خشونة

وقوة ، نتيجة لبساطته ، ولأنه يعود موافقة تقلبات الجو . .
وهنا قد يتردد سؤال : لماذا لم يعن الإفريق بلباس
الصبي ، وهم الذين كانوا يطرون جمال الصبيان ؟ . . الواقع
أن السبب قد يرجع إلى أن الصبي كان يقضي ثلاثة أرباع
يومه عاريا تماما ، في الحمامات والملاعب ومدارس المصارعة
وأماكن السباحة . .

أما زى الرجال ، فكان في الغالب يتألف من قميص داخلي
من الصوف أو الكتان ، ووشاح يتمثل في قطعة مستطيلة من
القماش ، تلقى على الكتف اليسرى ، ويوضع طرف منها تحت
الابط ، بينما تشد من الطرف الآخر حول الظهر نحو الكتف
اليمنى ، أو تحت الابط اليمنى ، ثم يرفع طرفها المشدود
إلى الكتف اليسرى ثانية ، عبر الصدر . وكانت طريقة الرجل
في ارتداء هذا الوشاح ، تعتبر مقياسا لثقافته العامة . وفي
الجو المعتدل كان الكثيرون يكتفون بالقميص ، ويطرحون
عنهم الوشاح ، كما كانت عادة الفيلسوف « سقراط » ،
وملك اسبرطة « اجيسلاوس » ، وحاكم سيراكيوز « جيلون »
وكان السناخرون يطلقون على نابذ الوشاح لقب
« جينموس » ، أي العاري !

وكان قميص الرجال يصل إلى الركبتين ، أو يتجاوزهما
قليلا . . فإذا زاد طوله ، اعتبر مظهرا للبدخ والزهو ، كما
كان عند « السيبياديس » . أما إذا انتهى القميص فوق
الركبتين ، فكان يعتبر مظهرا للوقاحة وعدم الحياء ، لا سيما
أن القميص القصير ينحسر عند الجلوس ، فيكشف الفخذين ،
مما كان يعتبر مجونا وسوء أدب !

المرأة . . بين « الديكولتيه » ، والقميص السباغ !

● ومن الحقائق الطريفة ، أن البدخ والأتانة لم يلزما
ابتكار الأزياء النسوية لدى الإفريق ، إلا في فترة « الحضارة

الايجية» ، السابقة على التاريخ الاغريقى المعروف . . وبفضل بعض تماثيل وآثار آلت الينا من قصر « كنوسس » الكريتى ، نتبين أن نساء الطبقة الراقية والبلاط الملكى « كن - فى النصف الأول من الالف سنة الثانية قبل مولد المسيح - يرتدين من الخصر حتى القدمين « جونلة » تتألف من عدة طبقات بعضها فوق بعض ، بحيث تبدو كأنها عدة « جونلات » . أما النصف الأعلى من الجسم ، فكان يغطى بزى محكم الالتصاق حول الكتفين والبطن ، يشبه « الجاكيث » وله اثنان من الأكمام . ولكن الثديين كانا يبرزان من صدر هذه « الجاكيث » عاريين تماما ، كتفاحتين شهيتين تبتسمان للنظارة ! . . وبوجه عام ، فإن « فن » الكشف عن العنق والنحر والكتفين لم يكن مجهولا لدى المرأة الاغريقية ! وقد بدأت نساء « كريت » . . على أنه لم يلبث أن تصاعل وتلاشى مع تطور المدنية الاغريقية ، ومع توارى المرأة عن المجتمعات والحياة العامة . .

على أن هذا لم يمنع من أن تشيع بين النساء - من آن الى آخر - بعض أشكال « الديكولتيه » التى تكشف عن جزء من العنق . . كما انتشرت بينهن - فى بعض الفترات - أزياء تغطى الجزء الأعلى من الجسم تماما ، ولكنها كانت تصنع من أقمشة شديدة الشفافية ، حتى لتكشف عما تحتها بشكل أكثر اغراء من العرى !

وبعد العهد « الايجى » ، اتخذ الزى النسوى الاغريقى شكلا موحدا نسبيا ، يتمثل فى قميص يلبس على الجسد العارى ، ويصل الى الركبتين أو ما تحتهما . ولم يشذ عن الأجماع على هذا الزى سوى اناث (اسبرطة) ، فكان القميص عندهن يعطى على الركبتين ، ويشق من الجانبين - من الركبة حتى قرب الخصر - ليسهل الحركة عند المشى . . وكان بقية أهل اليونان يستهجنون هذا القميص الاسبرطى ، ويسمون لابساته « عاريات الأفخاذ » !

وكان القميص وحده يلبس في داخل البيوت . . فإذا غادرت المرأة الاغريقية بيتها ، ارتدت فوقه وشاحا لم يكن يختلف كثيرا عن وشاح الرجل ، اللهم الا في بعض لمسات أنثوية ، تتباين بتباين الزمن والوسط .

لا جديد تحت الشمس . . في أناقة المرأة !

● وكان للنطاق (الحزام) الذي يحيط بالردين ، معنى جنسى ، فهو رمز العذرية . ولم تكن المرأة الاغريقية على علم بالمشدات أو « الكورسيه » ، ولكنها كانت تعرف حمالات الثديين ، التي تشبه « السوتيان » ، وكانت تستخدم لتحول دون ظهور الثديين مترهلين أو متهدلين ، ولتكويرهما وإخفاء أى عيب فيهما ، في الوقت ذاته . . وفيما عدا ذلك ، لم تكن ربة البيت ترتدى شيئا آخر . أما نساء المجتمع - الرفيقات أو النديمات - فكن يستعملن بعض أشياء إضافية للتجميل : مثل رباط يلف حول البطن ليخفى الترهل أو ليخلص صاحبه من حمل حديث العهد . . ومثل طبقات من الفلين تلصقها المرأة القصيرة بنعلها . . ومثل بعض الحواشي التي تستعملها المرأة النحيلة لتبدو ذات ردين مغريين !

وكانت ثياب المرأة تصنع - في الغالب - من التيل أو الكتان . وكان ثمة نوع من الكتان الرفيع ينبت في جزيرة (امورجوس) . وقد برع أهالي جزيرة (كوس) في صنع نسيج من الحرير ينافس نسيج العنكبوت في رفته وخفته ، وكانت ألوانه في نضارة ألوان المروج . . وقد انتقد الفيلسوف « سينيكا » الثياب المصنوعة من أمثال هذا النسيج ، قائلا : « أرى ثيابا حريرية - ان صح أن تسمى ثيابا - تكتسى بها الأنجسام أو الأجزاء الواجب إخفاؤها منها ، ليحوز للمرأة التي ترتديها أن تقسم - وهي مرتاحة الضمير - بأنها ليست عارية . . وتستورد هذه الثياب بنفقات باهظة ، من بلاد بعيدة ،

لكي لا يبقى للنساء ما يكشفنه لعشاقهن في المخادع ، فوق ما يراه هؤلاء العشاق في العلانية » !

العري لم يكن عيبا بالمعنى الجنسي !

● وبغض النظر عن الثياب التي لا تكاد تحجب شيئا من خفايا الجسم ، فان الراى الذى تجمع عليه المراجع هو أن العرى كان شائعا عند الاغريق . ولكن شيوعه كان نسبيا ، ولم يكن مطلقا . . اذ كان الاغريق يكشفون أجسامهم عارية في الملاعب الرياضية ، والألعاب القومية في (أوليمبيا) ، وفي مباريات الجمال ، وفي معبد (سيريس) في (اركاديا) ، وفي حلبات المصارعة بين الصبية والصبايا في (اسبرطه) و (كريت) وغيرهما ، وفي معبد فينوس بكورينثه ، وفي بعض الرقصات في مآدب العظماء . .

ومما ورد في كتابات الاغريق يشعر المرء بأن العرى لم يكن عيبا أو نقيصة عندهم ، في أية ظروف . ولكن البحث النقيى يبين أن من الخطأ أن نأخذ هذا الراى على أنه حكم عام صحيح ، بل ان ((افلاطون)) و ((هيرودوتس)) نفيا تحصيله بين الاغريق ، وحاول ((هيرودوتس)) أن ينسبه الى ((غير الاغريق)) ممن كانوا يقيمون في بلاد اليونان ، مثل الفينيقيين . ولقد كانت العادة في الألعاب الأولمبية القومية - قديما - أن يظهر المرء عاريا الا من كساء حول ردفه . ومع ذلك فلسنا نملك أن نعد هذا الكساء راجعا الى أسباب « خلقية » ، اذ أننا نجد في آثار الكتاب ما يوحى بأنه تقليد نشأ عن تأثر برأى اخذه الاغريق عن الشرق ، في العهود الأولى من تاريخهم ! . . ولقد أثر الاغريق أن يتحرروا من هذا الراى ، وسمحوا للمتسابقين في الجرى مثلا بأن ينطلقوا في عرى كامل !

وقد نجم عن ذلك « أن بدأ ذوو الأجسام السليمة يرون أن ترك الجسم عارياً - فيما عدا الأجزاء الجنسية منه - أمر غير طبيعي ، وأن ستر هذه الأجزاء يوحى بأن وظائفها أقل قيمة وأخط قديراً من سواها من أجزاء الجسم ، في حين أن الأفریق كانوا ينظرون إلى أعضاء التناسل نظرة احتلال وتقديس ، بوصفها أدوات التكاثر وحفظ العنصر الانساني ، وبوصفها رمز للطبيعة ورسالة الأثمار والانتاج المستمرين . ومن ثم فإنهم كانوا يصفونها بأنها « الأعضاء المكنونة » ، وليست الأعضاء الداعية للاستحياء أو العار ! . بل أن عضو التذكير اكتسب لديهم طابعاً دينياً ، فكانوا يتعبدون إليه في مختلف أشكاله ، وأشهرها القرن الذي كان يصنع - في الغالب - من خشب شجر التين !

كانت الملاعب ملتقى الفلاسفة وعشاق الجمال

● ومن كل هذا نستطيع أن ندرك ما كان يدعوهم إلى ممارسة الألعاب الرياضية وهم عراة . . بل أن كلمة « جيمنازيون » Gymnasion اشتقت من Gumnos أي العرى . وعنهما أخذت اللغة اللاتينية كلمة Gymnasium « مع شيء من التحريف في تحليل المعنى . . إذ أن الكلمة الأصلية كانت تعني مكاناً يتألف من فراغ طوله حوالي ٣٦ متراً ، يحاط من ثلاث جهات بأعمدة . وبين صفين من الأعمدة في الناحية الجنوبية منه ، توجد مساحة يمارس فيها الرياضة أولئك الذين بلغوا سن الرشد ، وحين أن يصبحوا مواطنين مستقلين . . وكانت سن الرشد في (اثينا) حوالي الثامنة عشرة . وكانت تحيط بالملاعب حمامات وقاعات وأبهاء ، يؤمها الفلاسفة والخطباء والشعراء وكافة أنصار « جمال الرجولة » ، تزدان بتحف فنية ، لا سيما تماثيل « هرمز » و « هرقل » و « إيروس » . . وكذلك تماثيل الحوريات . وهكذا كانوا

يضيفون تأمل الجمال الفنى ، الى التمرينات التى تكسب الصبية والفتيان والرجال تناسق الأعضاء ، وجمال الجسم بوجه عام . . وكانت الملاعب - التى يجرون فيها هذه التدريبات - أماكن للقاء أهل الفكر والفن ، يقضون فيها الوقت فى حديث وراحة ، بين مشاهد أرقى آيات الجمال . وتجمع كل المصادر على أن الاغريق كانوا يحرصون على أن تخلو هذه الأماكن من النساء ، فلم يكن مسموحاً لآية أنثى أن تضع قدماً فيها . . بل لم يكن مسموحاً للاثلاث بمشاهدة الحفلات الشعبية للمباريات الرياضية . فاذا جرأت امرأة على أن تتسلل بين النظارة - فى الألعاب الأولمبية - واكتشف أمرها ، أقدم الرجال على القائها من فوق صخرة (تيبايوم) الشاهقة ، فى جبل (الأوليمب) . ولم تعف من هذا المصير سوى امرأة واحدة ، هى أم البطل « بيسيرودوس » اذ دفعتها عاطفة الأمومة الطاغية الى أن تسعى لمشاهدة تفوق ابنها ، فتكرت فى زى « مدرب » رياضى . . ولكن أمرها انكشف وهى تقفز الحواجز - التى كانت تفصل المدربين عن المتبارين - لتهنئ ابنها بالفوز . ولم ينجها من العقاب سوى أن أسرتها كانت قد أنجبت عدداً كبيراً من الأبطال الأولمبيين . . ولكن عملها أدى الى اشتراط العرى التام للمدربين الذين يحضرون المباريات ، فيما بعد !

مشاهدة جمال الرجال . . وقف على العذارى !

على أن أقصاء المرأة عن الملاعب لم يكن متبعاً بهذا التشدد فى جميع أرجاء الامبراطورية الاغريقية . . ففي (سيرين) ، المستعمرة الاغريقية فى افريقيا - وتعرف الآن باسم (شحات) ، فى منطقة الجبل الأخضر ببرقة ، بالجمهورية الليبية - كان مباحاً للنساء حضور المباريات الرياضية . . بل أن المؤلف « باوسانياس » ذكر أن زاهبة معبد « ديمتر »

كانت تستمتع بمقعد دائم لمشاهدة المباريات الأولمبية . كما ذكر هذا المؤلف أن الفتيات غير المتزوجات كن يشهدن المباريات . . أما السبب في تحريم المشاهدة على المتزوجات ، وإباحتها للعذارى ، فقد حير الدارسين القدماء ، وإن كان من المأمكن أن نعزوه إلى أن حب الاغريق للجمال ، كان يدعو الرجال أن يحيطوا أنفسهم بالعذارى ، وهم يشاهدون المباريات التي تتكشف فيها أسرار معالم جمال الرجال !

كذلك لم تكن (اسبرطه) تعترف بالفرقة بين الرجال والنساء في هذا المجال ، فكان للنساء حق ممارسة الألعاب الرياضية عاريات ، مع الرجال العراة ، دون ما تفرقة جنسية . . . وكذلك كانت الحال في جزيرة (خيوس) . ويستبعد بعض الباحثين أن يكون عرى المرأة كاملاً في مثل هذه المناسبات ، استناداً إلى أن كلمة *Gymnos* كانت تعني - إلى جانب العرى - الاتشاح بغلالة من القماش الرقيق ، شبه الشفاف . غير أن معظم الكتاب الاغريق - والرومان كذلك - أوردوا ما يؤكد العرى التام . . فضلاً عن أن « أفلاطون » طالب بأن تحذو (أثينا) حذو (اسبرطه) في إباحة اشتراك النساء مع الرجال في التمرينات الرياضية وهن عاريات . . وأكد « بلوتارخ » أن ممارسة الشباب للرياضة عاريات ، على مرأى من الشباب ، كانت ناشئة عن سبب جنسي ، هو تشجيع الشبان على الزواج .

ولقد يكون من العسير أن نجزم بجواب ، إذا تساءل شخص : هل كان الاغريق يستمتعون بمشاهدة الأجسام العارية عن لذة ، أو عن ادراك فني لما في جمال الجسد العاري من إبداع ؟ . . على أن النظرة العامة توحى بأن « اللذة » الناجمة عن مشاهدة الجسد العاري قد سمت وارتقت عن طريق الفن ، كما أن كثرة مشاهدة العراة كانت ذات أثر كبير في الإبداع الفني .

ماساة ملكة (ليديا) ، بين زوجها .. وصديقه !

● وقد أدى الاعجاب بالجمال الجسدى بالاغريق ، الى اقامة مباريات للجمال ، كان للفتيات فيها النصيب الأوفر . ولعلمهم أخذوا هذا التقليد عن أساطيرهم الدينية التي كانت تقول أن الربات « هيرا » و « بالاس أثينا » و « افروديت » ، اختلفن فيما بينهن حول من منهن الأكثر جمالا .. فلما احتكن الى « زيوس » ، لم يشأ أن يبت في الأمر ، ووكل الحكيم الى الأمير الطروادى « باريس » !

وغنى عن الذكر أن مباريات الجمال لم تكن قاصرة على الاناث ، بل كان للذكور مباريات لجمال الأجسام كذلك . فان الاستمتاع بمشاهدة الجمال - عند الاغريق - كان أقوى من أن يجعل للدواعى الخلقية التي نعرفها أى سلطان يحرمهم من ممارستها .. ويروى « هيرودوتس » فى هذا الصدد قصة « كانداولس » - ملك ليبيا - الذى كان مشغوفاً بحب زوجته ، مزهوا بجمال جسدها ، فكان يفخر به أمام الجميع . ولقد شاء أن يؤكد صدق زهوه ، فأصر على أن يتيح لصديقه « جايجس » - الذى كان مقرباً اليه ، أثيراً بالخطوة لديه

رؤية زوجته عارية .. فأخفاه فى المخبئ ، بينما كانت الزوجة تتجرد من ثيابها ! .. ويمضى المؤرخ فيقول أن الزوجة علمت بما دبره زوجها ، فلم تشأ أن تقول شيئاً لفرط الاستحياء ، ولكنها - فيما بعد - وضعت « جايجس » أمام أحد امرين : أما أن يقتل « كانداولس » ويظفر بها وبالمملكة ، وأما أن يلقي مصرعه فوراً .. وطبعاً ، آثر أن يقتل صديقه وأن يخلفه فى الملك . وفى الاستمتاع بالمرأة الفاتنة !

ولقد أبرز « هيبولوخوس » - فى وصفه لمآدب الزفاف - أن عازفى الناي من الذكور ، والراقصات من الاناث ، كانوا يظهرن فى هذه الحفلات عرايا ، أو فى غلالات شفافة ، لتأكيد

ما للعري من مفعول جنسي . وكان الصبية والصبايا يستدرجون الى هذه المآدب عرايا ، ويسقون الخمر ، لبيان أثر الخمر في ارضاء اله الحب !.. وكان « اناكسارخوس » - الاثير لدى الاسكندر الاكبر - لا يشرب الخمر الا اذا سكبته له فتاة عارية !.. والى جانب كل هذا ، لا يفوتنا ان نذكر - وان لم تكن ثمة حاجة الى اسهاب - ان العري كان بين الطقوس التي تتضمنها عبادة الآلهة ، عند الاغريق .

العناري يدلكن جسم الضيف اكراما له !

﴿ ولقد اورد هوميروس في « الاوديسه » ان تقاليد الضيافة عند الاغريق كانت تتضمن ان يساق الضيف الى حمام ساخن ، تقوم على خدمته فيه فتيات يسكن له الماء الدافئ ، ويدلكن جسمه بالزيوت والعطور .. وقد رؤى - فيما بعد - ان الغلمان افضل من الفتيات لهذه الاجراءات التكريمية .

وكانت العائلات الراقية - في العهود الاولى - تمتلك حمامات خاصة . اما الآخرون من العبيامة فكانوا يرتادون حمامات الملاعب ، والحمامات العامة ، وهذا ما يرجح ان لفظ « حمام » كان يعنى عندهم - بوجه عام - الحمام الساخن .. لانهم جميعا ، فيما عدا ذلك ، كانوا يمارسون السباحة والاغتسال ، في البحر والأنهار .

وكان الناس يستحمون عرايا .. وليس هناك ما يجزم بأن الحمامات كانت مقسمة تبعا للجنس . واذا كان لفظ « حمامات النساء » قد تردد كثيرا ، فانه في الواقع يحتمل تأويلين : اما حمامات تقتصر فيها خدمة الرواد على النساء ، واما حمامات يحرم دخولها على النساء .. على أن أهل (اسبرطة) كانوا يفرقون بين « حمامات النساء » و « حمامات الرجال » على اساس آخر : هو أن الأولى كانت ساخنة ،

وكانوا يعتبرون استخدام الرجال للمساء الساخن نوعاً من
 ((التخث)) و ((الطراوة)) !

وفيما عدا (اسبرطه) من بلاد اليونان ، فان التفرقة بين
 « حمامات الرجال » و « حمامات النساء » كانت موجودة
 أحياناً ، ولكن لسبب آخر غير التفرقة الجنسية : هو ما
 عرفناه عن الاغريق من اقضاء للآث عن الحياة العامة .

أعياد الاغريق ومهرجاناتهم

● وبالرغم من الحضارة التي أورها الاغريق للعالم ،
 فانهم لم يبلغوا درجة الكمال ، سيما في المجال السياسي : اذ
 كانت بلادهم ممزقة الأرجاء ، لا تربطها وحدة ، وكانت
 الحزبية والتنافس الحزبي يستشريان في بلادهم . ومن ثم
 فانهم كانوا يفتقرون الى مركز سياسي ، أو بمعنى آخر
 « قومي » .

غير أن عقد المباريات الرياضية في (ايليس) - الجزء
 الشمالي الغربي من جزر (البلوبونيز) - أوجد نوعاً من
 الترابط القومي المؤقت . . وعندما أصبحت دورة الألعاب
 الأولمبية تعقد مرة كل أربع سنوات - ابتداء من سنة ٧٧٦
 قبل الميلاد - صارت فترة الترابط هذه تجمع أهالي شتى
 أرجاء اليونان خمسة أيام في كل أربعة أعوام . . فكانت
 الخلافات والحزازات تنسى خلالها ، وكانت الأسلحة تلقى
 جانباً ، وتصبح أرض (ايليس) منطقة سلام ، تحت رعاية
 الآلهة . . وكان الفائز يتلقى تاجاً من أغصان الزيتون - رمز
 السلام - يقطعها فتى مليح ، (يشترط أن يكون والداه على
 قيد الحياة) ، من شجرة مقدسة ، يسكن من ذهب ! . . كما
 كانت هناك تيجان من شجرة الفار المقدسة . وكانت التيجان

جميعاً تعرض على طاولة من الذهب والعاج ، في معبد الآله « زيوس » ، وأمام تمثاله .

وكان الفائز في المباريات الأوليمبية موضع تكريم وفخر عالين ، يفوقان ما كان يحظى به القائد المظفر . . حتى يقال أن « خيلو » - أحد حكماء (أسبرطة) السبعة - مات لفرط الفرح ، عندما بلغه فوز ابنه . ولقد ظفر « دياجوراس » - وهو من سلالة « هرقل » - بالفوز ببطولة الملاكمة في دورتين من الدورات الأوليمبية ، كما فاز عدة مرات في مباريات وألعاب أخرى . ثم قدر له - في كهولته - أن يشهد ابنه يظفران في المباريات ، فصاح بأعلى صوته : « فلتمت يا دياجوراس ، فهذا أرفع ما يمكن أن يطمع فيه إنسان ! » . . وعندما عانقه ابنه ، ووضعاً تاجيهما فوق رأسه ، سقط ميتاً !

كان المتبارون يخوضون ألعابهم عراة !

● ولن نفيض هنا في وصف الألعاب الأوليمبية ، فان مهمتنا هي دراسة الأخلاق عند الإغريق ، خلال حياتهم الجنسية . . وعلى ضوء هذا الهدف ، نجد أن الثياب التي كان المتبارون يرتدونها تعد ذات أهمية لنا . ويحدثنا (ثيوسيدايدس) عن أن المتبارين - في الأزمنة الغائرة - كانوا يتوسطون الحلقة عراة ، اللهم إلا من ستر حول أردافهم . وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا لم يكن راجعاً إلى سبب أخلاقي . . وعلى أي حال فإن المتبارين - في الجري ، على الأقل - طرخوا عنهم هذا الستر بعد الدورة الخامسة عشرة ، أي بعد سنة ٧٢٠ قبل الميلاد ، وصاؤوا يدخلون الميدان عراة تماماً !

والى جانب الدورات الأوليمبية ، كانت هناك دورات لمباريات أخرى ، أهمها « البيشيا » التي كانت تعقد في (دلفي) ، في عيبد « أبولو البيثي » . وكانت تتألف من مباريات موسيقية وغنائية ، انتظمت في البداية مرة كل تسع سنوات ،

ثم أصبحت - بعد سنة ٥٨٦ قبل الميلاد - تعقد كل خمس سنوات ، بحيث يقع موعدها في العام الثالث من الفترة بين كل دورتين أولمبيتين . . كما كانت هناك دورات أخرى اقليمية ، لأنواع مختلفة من المباريات : مباريات رياضية ، والغاب شسعبية ، وأغان ورقص ، ثم - فيما تلا ذلك من عهود - مباريات تمثيلية .

كذلك كانت ثمة مهرجانات وأعياد خاصة ، بعضها كان يقتصر الاشتراك فيه على النساء ، مثل عيد ((ثيسمو فوريا)) لتكريم ربتى التشريع : ((ديميتير)) و ((بيرسيفون)) . ورغم تضارب المعلومات عن هذا العيد فإنها جميعا تشير الى أنه كان احياء لذكرى الربة ((ديميتير)) مبتكرة الزراعة التى مكنت الحياة البشرية من الاستقرار فى جماعات ، وبالتالي أثرت على حياة النساء وعلى الزواج . . فكان شعار ((البذر والحصاد)) رمزا لشعار : ((الزواج والتناسل)) .

وكان الاحتفال بهذا العيد يقام فى كل مكان من اليونان ، حوالى شهر أكتوبر . وقد يختلف اسمه من مكان الى آخر ، ولكن أساسه واحد . وكان على كل امرأة تبتفى الاشتراك فيه ، أن تمتنع عن الاتصال الجنسي تسعة أيام قبل موعده ! . . وقد برر الكهنة ذلك بتحقيق الطهر والتقوى ، ولكنهم فى الواقع كانوا يرمون الى أن يذكى طول الحرمان اقبال المرأة على الطقوس الشهوية - التى كانت تتخلل الاحتفال - باندفاع ، وفى غير حرج ! . . وكانت النساء يضعن فى الفراش - خلال أيام الحرمان - أعشابا تهدىء من الشبق !

الصبيحة العرايا عنصر مشترك فى الاحتفالات

ج وفى (ميجارا) كان القوم يعقدون - فى بداية الربيع - مباريات يطلق عليها (ديوقليس) ، تكريما لذكرى البطن الوطنى « ديوقليس » . ولعل أطرف هذه المباريات ، مباراة فى

« الثقبيل » كانت تقام حول قبره ، وتقتصر على الأطفال ! . . ويقال أنها مأخوذة عن احتفال مشابه كان يقام في مدينة (طيبة) المصرية ! . . وأطرف من هذا ، ما كان يقام في اليوم الثاني من أيام مهرجان (ديونيزيا) ، إذ كان الصبية يحجلون على قدم واحدة - وهم عرايا - فوق قرية مليئة بالخمير ، وقد مسح ظاهرها بكثير من الزيت لتكون زلقة . . ومن ثم فقد كان المتبارون يقعون - في الفسالب - في أوضاع تشير الضحك !

وكان يعقب هذا المهرجان في (ديونيزيا) - في الشهر التالي ، الذي كان يقع حوالى أواخر مارس وأوائل أبريل - عيد « ديونيسوس » . وكان يستغرق سحابة النهار ، طيلة أيام ثلاثة متعاقبة ، يتوافد فيها الناس من كافة أرجاء بلاد اليونان ، وتجرى فيها المباريات بين الصبية في الغناء والرقص ، وتقدم فيها آيات التقدير للمبدعين منهم ولأساتذتهم . . فإذا غربت الشمس ، أسرف القوم في الشراب ، واشتتركوا في مختلف وسائل اللعبة واللهو . . وكانت التمثيليات « التراجيدية » و « الكوميديّة » تعرض في كل مكان فسيح من المدينة .

والى جانب هذا ، كانت تنظم مهرجانات لاله ديونيسوس - في كثير من أرجاء اليونان - مرة كل عامين ، ويقتصر الاشتراك فيها على النساء والفتيات . . فكن - إذا قبل الليل - خرجن الى المرتفعات المجاورة لمعابد هذا الإله الاغريقى وهن في زى « باخوس » آله الخمر ، أو في ثياب من جلود الماعز ، وقد نثرن شعورهن في غير تنسيق ، وحملن آلات موسيقية . . وبين الرقص والغناء ، كن يقدمن القرابين ، شكرا للرب على أن أتاح لهن شرب النبيذ ، الذى نادرا ما كان يسمح للاناث بتناوله !

رقص الأولاد العرايا في اسبرطه

● وفي شهر (هيكاتومبايون) - أواخر يوليو وأوائل أغسطس - كان الاغريق يحتفلون بعيد « هياسينثوس » ، (وكان هو الصبي الأثير لدى الآله « أبوللو » ، مما أثار غيرة الآله « زيفروس » - إله الريح - فانتهر فرصة انهماك أبوللو وقتاه في اللعب بالقرص ، وطوح القرص الى رأس الصبي ، ففضى عليه !) . . . وكان العيد ثلاثة أيام ، تقدم في أولها القرايين وسط مظاهر الحزن . . . بينما تنظم المواكب المرححة والمباريات في اليومين الآخرين ، فيعزف الصبية على الآلات الموسيقية ويغنون ويرقصون . ثم تغنى مجموعات من الشباب ، بينما يتخلل الراقصون والعازفون صفوف المنشدين ، وتنطلق حول مكان الاجتماع مركبات من الخيزران أو الخشب ، تحمل العذارى . .

وكانت (اسبرطه) تحتفل سنويا - منذ سنة ٦٧٠ قبل الميلاد - بذكرى شهدائها في (ثيريا) قبل ذلك بحوالي ١٢٥ سنة . وكان ذلك الاحتفال يسمى ((جيمنوبيديا)) - أي رقصة الأولاد العرايا - إذ كانوا يختارون أجمل الأولاد ليؤدوا الرقصات وبعض الألعاب الرياضية ، وهم عرايا . . . وكان أهل (اسبرطه) يحرصون على إقامة حفلات هذا العيد ، لفترة تتراوح بين ستة أيام وعشرة ، مهما تكن الأحوال !

وكانت بلاد اليونان تشهد أغرب عيد من أعيادها في شهر « بويدروميون » - أواخر سبتمبر وأوائل أكتوبر - وهو عيد يهدف الى الاحتفال بذبول الحبوب ثم عودتها الى الانبساط والازدهار ، رمزا الى الموت والبعث . وهذا يقابل ما ورد في أساطيرهم عن « بيرسيفون » التي اختطفها « هاديس » وقضى عليها بأن تعيش ستة أشهر من كل عام تحت الأرض وفي الظلام ، وستة أشهر فوق الأرض وفي ضياء الشمس . . . وقد التصقت

بهذا العيد أمور كثيرة من التحرر من الأخلاقيات - وإن اتخذت طابعا دينيا غريبا - وقد تطورت هذه الأمور الى طقوس لذهب ديني تحاط عباداته وتطبيقاته بغموض عجيب !

وفي الأيام الستة الأولى من هذا العيد ، الذي كان يستغرق تسعة أيام ، كان القوم يخرجون في مواكب مريحة الى البحر ، وهم يقدمون القرابين وسط الضجيج والضوضاء . . ثم يغتسلون في البحر - رمزا للتطهر - وينطلقون في « الطريق المقدسة » بين أثينا واليوسيس ، وهي مسافة تعادل ١٤ كيلومترا . . فكان الآلاف يسبرون وقد أحاطوا رؤوسهم بتيجان من الغصون ، وحملوا المشاعل وأدوات الزراعة وسنابل القمح وأقماع الذرة ، يتقدمهم كاهن في زي « اياخوس » - وهو الاسم الأثيني للمعبود « ديونيسوس » - حتى يبلغوا خليج (اليوسيس) ، حيث تظل الجبال تردد أصدااء أغانيهم ، والأمواج تعكس وهج مشاعلهم بقيسة أيام العيد .

أغرب الأعياد ينظم احتفالا بجمع العنب

● ومن الأعياد الاغريقية الطريفة عيد « أوسخوفوريا » ، الذي كانت أثينا تحتفل به في شهر « يانيسيون » - أي بين أواخر نوفمبر وأوائل ديسمبر من كل عام - ابتهاجا بالكروم . . وكان القوم يعدون لهذا العيد بانتخاب أجمل الأولاد من كل القبائل ، ثم ينتخبون أجمل ولدين من بينهم ، بشرط أن يكون أبواهما على قيد الحياة ، فيعهدون بهما الى كاهنات بارعات الجمال ، موفورات النشاط ، لتربيتهما . . فاذا حان موعد العيد ، انطلق الولدان ، وهما في ثياب الاناث ، في سباق من معبد ديونيسوس الى معبد « سكيراس » الأثيني ، عند مرفأ (فالبروم) ، وهما يحملان أغصانا من الكروم متفلسلة بالعنب . . وكان الفائز يظفر بكأس من شراب « العنساصر

الخمسة « ، الذى كان يتألف من المنتجات الرئيسية الخمسة على طول العام : النبيذ ، وعسل النحل ، والجبن ، والحبوب ، والزيت ..

ويرد « بلوتارخ » أصل هذا العيد الى « ثيسوس » ، الذى زهد فى كل العذارى ، واختار غلامين - ليصبحاه فى رحلته - ممن اجتمعت لهم الجرأة والشجاعة ، مع مظهر الاناث . وبالمداومة على الحمامات الساخنة ، وحمايتهما من الشمس والهواء ، وتضميخ شعورهما وتبدليك جسميهما بالزيت ، اكتسبا مظهر الاناث . ثم أخذ « ثيسوس » يدرّبهما على عادات الاناث ، وعلى تقليدهن فى الصوت والمشى والحركات ، حتى لم يعد من سبيل لتمييزهما عن العذارى . وعند عودته ، نظم موكبا تقدمه محوطة بالفتيين وهما فى ثياب النساء ، وقد حملا غصون الكروم ، تحية للالهين « باخوس » و « اربادن » ، اذ صادفت عودة « ثيسوس » موسم جمع العنب ! .. وفى اليوم التالى لهذا العيد ، كان فتية أثينا ينظمون مهرجانا تتخلله الألعاب الرياضية ، ويشترك فيه الفلمان من كافة الأعمار ..

((كبش الفداء)) يطرد من المدينة !

● كذلك كان الاغريق يحتفلون فى شهر « مينخيون » - ويقابل أواخر ابريل وأوائل مايو - بعيد « ادونيا » ، المستمد من أسطورة قديمة ، عن شاب بارع الجمال يدعى « ادونيس » كان أثرا مقربا للربة « افروديت » ، فلما لقي مصرعه أثناء الصيد ، حزنّت عليه الربة حزنا شديدا ، حتى أشفق عليها أبو الآلهة « زيوس » ، فوافق على أن يرده اليها من عالم الظلال لفترة قصيرة من كل عام .. لذلك كان هذا العيد يبدأ بيوم حزن ورثاء لأدونيس ، يعقبه - فى اليوم التالى - فرح وبهجة .. وكانت النساء بالذات هن أكثر الناس احتفالا بهذا العيد ،

الذي كانت تعرض فيه صور وتمائيل لأدونيس وأفروديت .
وفي عيد « ثارجيليا » - الذي كان يقام تكريماً للالهين
« ارتيميس » و « أبوللو » - اعتادت مجموعات من المغنين ،
رجالاً وأولاداً ، أن تتنافس على الغناء . ولكن مدينة
(كولو فون) امتازت بطقوس خاصة أدخلتها على هذا العيد ،
عقب نكبة كانت قد حلت بها . . فكان القوم يختارون
(فارماكوس) - أي شخصاً يعد بمثابة « كبش فداء » ،
ينصحي تكفيراً عن ذنوب القوم كلهم - وقد اعتادوا لهذا الغرض
أن يختاروا أقبح رجل شكلاً ، أو أبغض رجل إلى قلوبهم ،
فكانوا يسوقونه خلال المدينة ، بين مظاهر السخط والتحقير ،
حتى يخرجوا به وراء أسوارها ، فيدفعوا اليه بخبز وجبن
وتين ، ويطردوه بعيداً عنها ! ويضيف بعض الرواة أنهم كانوا
يضربون خصيتيه بفروع التين والأشواك البحرية ، وسط
أنغام المزمار !

ولعل أغرب الأعياد جميعاً ، هو عيد كان يقام في (أماثوس)
بجزيرة قبرص ، تكريماً للربة « أدريان » ، التي تروى
الأساطير أنها هبطت هناك مع « ثيسبيوس » ، وماتت وهي
تلد ، دون أن تضع وليداً ما ! . . لذلك يأتي القوم في كل عام
بشباب جميل ، يضعونه في فراش ، ليقلد المرأة في آلام المخاض
وأوجاعه !

الحضارة الإغريقية مزجت العبادة بالجنس

● ومما يثير الدهشة ، كثرة ما كتبه الأقدمون عن
الرقصات الشهوية التي كانت تصاحب أعياد الإغريق ، وهي
رقصات كانت تتجرد من كل حياء ، تصحبها أغان وحركات
صامتة . والواقع أن الحياة الجنسية كانت تخالط الطقوس
الدينية عندهم في غير موارد . ومرة أخرى ، ننبه إلى التمايل
الواضح لذلك ، وهو ما قامت عليه حضارتهم من نظرة تقديس

الى انجاب النسل والتكاثر ، ومن نظرة اجلال للجمال في كافة صورته وأوضاعه . . . ويحسن - في هذه المناسبة - أن نوجه الانتباه الى أن النساء كن يحرم من حضور بعض أعيادهم ومهرجاناتهم ، كما كان الرجال يمنعون من حضور الأعياد المقتصرة على النساء . . . بل كان ذكور الحيوان - كالكلاب - تمنع من التسلل الى أماكن الاحتفال !

وهكذا نقف أمام تضارب غريب ، يؤكد ما ذكرناه من تعليل : فبينما تتسم بعض الطقوس بمظاهر جنسية ، نجد الحرص على التفرقة بين الجنسين في الاحتفالات . ولا ينبغي أن نتسرع في الحكم ، على هذا الضوء ، فما زلنا نكرر أن الجنس كان يلعب دورا رئيسيا ، وكبيرا ، في حضارة الاغريق . . . ولا يزال مجال بحثنا واسعا ، ولم يلم بعد بالحب ، والبقاء والشذوذ الجنسي ، وغير ذلك من تفصيلات . . .

((الهيرمافروديتوس)) : جنس ثالث ابتكره الاغريق !

● وقبل أن ننتقل الى هذه التفصيلات ، لا يفوتنا أن نذكر أن الاغريق أسفروا عن ميل عجيب الى « الازدواج الجنسي » ، إذا صح هذا التعبير بدلا من « التخنث » ، لوصف الطبيعة البشرية التي تجمع بين الجنسين . وقد قادهم هذا الى ابتكار جنس ثالث ، لا هو بالذكر فقط ، ولا هو بالأنثى فقط ، أطلقوا عليه « هيرمافروديتوس » . . . واللفظ كما نرى يجمع بين ((هيرمز)) - وهو أحد آربابهم - و ((افروديت)) ، وهي الأخرى ربة . . . وكانوا يهشون ((الهيرمافروديتوس)) بشكل انسان ذي لعينة ، وله جسم امرأة ، ويجمع بين أعضاء الجنسين التناسلية !

وكذلك أوجدوا لهذا الجنس الثالث أصلا في أساطيرهم : فزعموا أن « هيرمز » و « افروديت » أنجبا ولدا باهر الجمال ، شغفت به - حين بلغ الخامسة عشرة من عمره -

« سالماسيس » ، وكانت حورية في نبع ماء ، فسلطت عليه سحرها ، حتى اجتذبتة الى أعماق الماء ، وحملته على أن يعانقها ، ثم طلبت من الآلهة ألا يسمحوا بانفصال حبيبها عنها ، فما كان من الآلهة إلا أن ضمواهما معا في كيان واحد ، ذى جنسين ! .. وتمضى الأسطورة فتزعم أن « هيرمز » و « افروديت » أضفيا على النبع صفة خفية ، تحول أى رجل يغتسل فيه الى انسان مخنث ، نصف رجل ونصف امرأة ! وعن هذه الأسطورة تولدت عادات معينة عند الاغريق ، ففي (اسبرطه) كانت العروس ترتدى - عند الزواج - ثياب الذكور .. وفي جزيرة (قوس) كان العريس ، وكهنة معبد هرقل ، يرتدون ثياب الاناث ، عند عقد الزواج .. وفي (ارجوس) ، كان الناس يحتفلون سنويا بعيد يسمى « هايبرستيكا » ، وفيه ترتدى الاناث ثياب الذكور ، ويرتدى هؤلاء ثياب الاناث ! .. ويقال انه كان يقام لتكريم النساء ، اذ حملن السلاح وحاربن ملك كريت « كليومينس » ، عندما انهزم رجالهن !

ولقد روى « تيوفراستوس » أن التقاليد كانت توجب الاحتفاظ بصورة أو أكثر من صور « الهيرما فروديتوس » في كل بيت ، فتتوج بالزهور في اليومين الخامس والسابع من كل شهر .. كما كان اليوم الرابع من كل شهر « مقدسا » ، يكرس لتكريم المعبودين « هيرمز » و « افروديت » ، وكان الاغريق يؤمنون بأنه يوم مناسب للمتعة الجنسية أ

المخلوقات ذات الجنس المزدوج الهمت الفنانين !

● ويذكر الفن الاغريقى بكثير من التحف التى تمثل « الهيرما فروديتوس » ، أو المشتقة من فكرة المخلوق المزدوج الجنس ، سواء بالرسم أو النحت أو التشكيل .. ولقد كانت البيوت والحمامات والملاعب تزين - بعد القرن الرابع قبل

الميلاد - بتماثيل وصور « الهيرما فروديتوس » ، ويتخذ معظمها شكل شاب بازع الجمال ، له قوام امرأة ممشوقة ، بديعة الردين ، وأعضاء الذكر التناسلية . وكانت ترسم الصور وتنحت التماثيل في كافة الأوضاع ، لا سيما الوضع النائم الذى كان يبرز مفاتن الأنوثة والرجولة معا . وهذا الطراز يمكن أن يشاهد الى اليوم في مبنى متحفى (اوفيتزى) بفلورنسا ، و (فيلا بورجيزى) في روما ، ومتحف (اللوفر) بباريس ، وغيرها . . على أن أكثر هذه التحف اتصافا بالجنسية الفاضحة - كما نراها في ايامنا - هي تلك التى تمثل « الهيرما فروديتوس » في جماع مع الآله « بان » أو « ساتيرس » !

وهناك شخصية أخرى ، جمعت بين الجنسين ، وكانت لها قداسة لدى الاغريق ، وهى « ليوسيبوس » ، التى كان يقام لتكريمها مهرجان « ابوديسيا » ، أو « مهرجان التعرى » فى (كريت) . . وكانت « ليوسيبوس » انثى بحكم المولد ، ولكن أمها أخذت تضرع الى الآلهة ، حتى أشفق عليها الآله « ليتو » وحولها الى ذكر ، بأن أضاف الى جسم الانثى أعضاء الذكر ! . . وكان من عادة أهل (فيستوس) - بجزيرة كريت - أن ترقد العروس ، فى الليلة السابقة لزفافها ، بجوار تمثال خشبى لـ « ليوسيبوس » ، كما كان أهل البلدة يعرضون تمثال « ليوسيبوس » - فى عيده - وهو فى ثياب انثى ، ثم يأخذون فى خلع الثياب عنه ، حتى تبدو أعضائه الذكر . . ومن هنا سمي العيد « مهرجان التعرى » !

عادات وتقاليد تبرز بين الجنسين

● ويبدو ان نظرية « الازدواج الجنسى » قد ظهرت فى اقدم العصور . ولم يقتصر أثرها على الهام الفنانين ، بل لقد ترتبت عليها عادات وتقاليد شتى . . من ذلك ما رواه

« بلوتارخ » ، من أن حاجة اليونان الى زيادة السكان دعت الى السماح للنساء المتمتعيات بكامل الحقوق المدنية ، بالزواج من رجال من طائفة « البريوسى » ، وهى طائفة كان أفرادها أحرارا ، ولكنهم لا يتمتعون بالحقوق السياسية ، ولما كانوا يعتبرون أقل مكانة من المواطنين الأحرار المتمتعين بهذه الحقوق ، فإن المرأة التى كانت تتزوج من أحد رجالهم ، كانت تلبس لحية زائفة اذا ما نامت معه ! .. هذا ، بينما كان شبان جزيرة (قوس) يستقبلون عرائسهم - ليلية الزفاف - وقد ارتدوا ثياب النساء ! .. وعكس ذلك ما كان يحدث فى (اسبرطه) ، اذ كانت العروس تستقبل عريسها وقد ارتدت ثياب الرجال ، وقصت شعرها !

ومن الخطأ أن نحاول تفسير هذه العادات والتقاليد ، بأكثر من أن الاغريق كانوا - فى أعماق العقل اللاواعى - يؤمنون بأن كل انسان يجمع فى تركيبه عناصر الذكورة والأنوثة بنسب متفاوتة ، فاذا زادت الأولى على الثانية كان ذكرا ، واذا زادت الثانية على الأولى كان انثى .. وهذا عين ما يؤكد العلم الحديث .

أعياد « هيرمز » كانت تمجيدا لظهر الرجولة !

ج على أن أكثر أعياد الاغريق اتساما بطابع الجنس ، كانت اعياد « الأفروديسيا » ، أى أعياد « افروديت » التى كان الشعب يقيمها فى كل أرجاء بلاد اليونان ، وان لم تعتبر أعيادا رسمية . وكان لخدام « افروديت » - من بغايا الجنسيتين - دور كبير فيما كان يسود بعضها من اسراف فى المجون والخلاعة ، ومن افراط جنسى . ومن هنا - كما يقول « بلوتارخ » - استعيرت كلمة « افروديسيا » ، لليسالى الحمراء التى ينغمس فيها رجال البحر ، حين يرسون على البر ، بعد طول حرمان من صحبة النساء !

وفي (ثيسالى) ، كان القوم يحتفلون بعيد « افروديت انوسيا » ، فكانوا يقصرونه على النساء وحدهن ، ويقصون الرجال عنه ، (مما يوحى - لبعض الكتاب - بأن له صلة بالشذوذ الجنسي !) . . . وبقدر تعدد أعياد « افروديت » ، كانت أعياد « هيرمز » قليلة ، ولكنها لم تكن بدورها تفتقر الى الطابع الجنسي ، وليس « الاباحى » . . . على أن « هيرمز » - بوجه عام - كان يمثل ازدهار جمال الرجال ، وكانوا يصفونه بالطهر السامى الذى يتصف به الصبى عندما يقف على أعتاب مرحلة التحول الى الرجولة . . . ولهذا فلا عجب اذا وجدنا أن أجمل فتية (تانجارا) كان - فى احتفال هذه المدينة بعيد هيرمز - يحمل على كتفيه كبشا ، ويطوف به حول سور المدينة . ويقال ان الكبش كان - بعد الطواف - يذبح ، أو يطلق سراحه خارج المدينة ، رمزا الى أنه قد حمل خطايا أهلها ، فأعفاهم بذلك من آثامهم !

وكان لعيد « هيرمز » - فى (كريت) - طابع خاص ، اذ كان العبد يأخذ وضع السيد ، ويقوم السيد بنفسه على خدمته ! .

ونكتفى - فى بحثنا - بهذا القدر عن أعياد الاغريق ومهرجاناتهم . واذا كنا لم نستعرض جميع هذه الأعياد - وما كان أكثر عددها ! - فاننا قد حرصنا على اختيار أبرزها ، وعلى ايضاح أهم مميزاتها ومظاهرها ، كعنصر لا غنى عنه فى دراستنا لآثر الجنس فى الحضارة الاغريقية .

والى حلقة أخرى ، نقدم فيها لك مزيدا من هذه الدراسة
المتعة .

سقوط فرنسا

« بقية المنشود صفحة ١٤ »

والسياسية « - التي كان من الجلى أنها لم تلم بهما الماماً بذكر ! - ويجمع الكاتبان على أنها كانت ، على تقيض الكونتة دي بورت ، تقنع بممارسة نفوذها في الخفاء .

أما الكونتة دي بورت ، فكانت قد تزوجت من صاحب لقب ، سرعان ما وجد منصباً في مؤسسات أبيها - الذي كان من كبار المقاولين وصانعي السفن - في مرسيليا . ولقد آلت على نفسها أن تغزو باريس ، حيث تعرفت برينو ، الذي كان في ضعف عمرها . . وبطموحها تقربت الى زوجة ((رينو)) ، ولكنها سرعان ما تبينت أن نجم الرجل في صعود ، فاصبحت عشيقة له ! . . ويقول برتيناكس ان الزوجة والعشيقة أخذتا تتصارعان في عنف حول الفريسة (رينو) ، ((وكانت كل منهما تتجسس على الأخرى وتتتبعها ، من الصباح حتى المساء ، حتى أصبح صراعهما علنيا)) ! . . وفي سنة ١٩٣٨ ، هجر « رينو » بيته ، واستقر - دون زوجته - في مسكن بميدان « باليه بوربون » ، حيث ظل حتى نهاية عمره . وهناك استحوذت عليه الكونتة تماما ، ولم يقدر لأحد أن يميظ اللثام عن سر قبضتها القوية على رجل في مثل ذكائه وقوة إرادته ، رغم أنها كانت « سمراء ، ذات شعر أجعد ، وقم واسع ، ينبعث منه صوت خال من العذوبة » ! - كما وصفها الجنرال « سير ادوارد سبيرز » ، الذي كان ضابط الاتصال البريطاني مع « رينو » - وأضاف « موروا » أنها كانت « مجنونة بفض الشيء ، مشيرة للأعصاب ، متداخلة فيما ليس لها - كما قدر للأحداث أن تبين - بل و « خطرة » ، صفتها الغاليتة هي الطموح ، فلم تكتف بأن يكون « رينو » وزيراً للمالية بل عقدت العزم على جعله رئيساً للوزراء ، مهما كان الثمن . . فملات

المجتمعات الباريسية بروايات عن افتقار « دالاديه » للنشاط، وأوحت الى كل امرئ بأن الضرورة الملحة تدعو الى أن يخلفه « رينو » .. ومن الطبيعي أن هذه الأقاويل كانت تبلغ « دالاديه » في نفس المساء الذي كانت تقال فيه ، فازدادت حدة كراهية هذا لرينو !

ويروى « موروا » انطباعه عقب التقائه برينو ، بعد شهرين من تولى الرجل رئاسة الوزارة ، فيقول انه « كان مضطرب الأعصاب ، مهموما . وكانت على مكتبه ثلاثة أجهزة تليفونية ، أحدها متصل بأقسام الوزارة (داخلي) ، والآخر بخط خارجي ، والثالث بحجرة مدام دي بورت . وكان جرس التليفون الأخير لا يكف عن الرنين ، فرفع « رينو » المسامع ، ويصفى لحظة ، ثم يصيح في ضيق : « نعم .. نعم .. هذا مفهوم .. ولكن أتوسل اليك أن تدعيني أؤدي عملي » .. ثم لم يلبث أن كف عن اجابة الرنين !

ولقد رحلت مدام دي بورت الى الخارج مرتين - لعلاج أعصابها - فالتقت في (فيينا) بعدد من النمساويين والالمان النازيين .. ولاحظ أحد المراقبين أنها كانت تزداد اتجاهها الى اليمين ، كلما ازداد « رينو » اتجاهها الى اليسار ! أما قبل تولى « رينو » رئاسة الوزارة ، فقد كان في صراع مع « دالاديه » .. وعشيقتهما مشتبكتين في معركة أخرى ، في جمهورية تمزقها الخلافات .. وكان « دالاديه » يرأس الوزارة ، ولكن « رينو » وعشيقتة كانا يتربسان له ، في صبر !

مغاملات بين بطل أسطوري وسياسي طامع !

● في تلك الفترة الحرجة ، استأنف المارشال « هنري فيليب بيتان » و « بير لافال » الصداقة التي كانت تربطهما قبل سنوات . كان « بيتان » - الذي عين سفيراً لدى أسبانيا ، في ربيع ذلك العام - قد سأل « لافال » في الخفاء عن تقديراته

للموقف السياسي في باريس . . وكان اهتمامه منصبا على الوضع السياسي ، وليس على الجيش !

وكان « لافال » - الناقم على الأحوال بسبب اقضائه عن الحكم منذ ١٩٣٦ - قد حرص ، لسنوات عدة ، على أن يوحى للقائد الشيخ بأنه كفيل بأن يرفعه يوما إلى رئاسة الوزارة أو رئاسة الجمهورية . . وذلك ليكسب من ورائه نفوذا يمكنه من توجيه شئون فرنسا . بل أنه كان منذ سنة ١٩٣٢ يدعو في ابهاء البرلمان إلى انتخاب « بيتان » رئيسا للجمهورية ، حتى سألته المارشال نفسه أن يكف عن ذلك !

ولقد رد « بيتان » لصديقه الجميل ، يوم تشييع جنازة « لوى برتو » - وزير الخارجية الذي اغتيل في سنة ١٩٢٤ - اذ نصح رئيس الوزراء « جاستون دوميرج » بأن يضمن « لافال » وزيرا للخارجية ، فانصاع « دوميرج » للنصيحة . . وبعد عام ، التقى « بيتان » و « لافال » - الذي كان قد أصبح رئيسا للوزارة - في جنازة أخرى . . وتذاكر الاثنان الأمور والأحوال ، فنصح الأول الثاني بأن يتخطى المعارضة البرلمانية ويفعل ما يراه ضروريا « للمصلحة القومية » . فرد « لافال » بأن هذا كان من أصعب الأمور ، وأن « بيتان » - بما له من مكانة ووضع - هو الوحيد القادر على انتهاج هذا المنهج !

وكان « بيتان » و « لافال » حريصين على ألا يكثرا من التلاقى علانية . ولكنهما وجدا في الكونت « رينيه دى شامبرون » - الذي تزوج ابنة لافال الوحيدة ، في سنة ١٩٣٥ - وسيطا بينهما . وما لبث بيتان أن شرع يعد قوائم بتشكيلات وزارية ، بناء على مقترحات من « لافال » وبعض اليمينيين الذين أخذوا يلتفون حوله ، مما غذى غروره واقتناعه بأن يوسعه أن يكون « مخلص فرنسا » من الجمهورية التي استشرى فيها الفساد .

ولقد اعترف « دالاديه » - فيما بعد - بأنه لم يظن

الى مؤامرات « بيتان » و « لافال » ، ولم يكن يدري سوى أن وزارته وبلاده منشقتان على نفسيهما . . وحوالى نهاية أغسطس ١٩٣٩ ، أيقن « دالاديه » من أن هتلر يتأهب لغزو (بولندا) بعد أيام ، وأن على حكومته أن تفى بوعدها بمناصرة بولندا ، برغم الفرقة الشائعة في وزارته ، والضعف الذى كانت عليه فرنسا !

فرنسا . . على اعتاب الحرب الفعلية

● **وفعلا** ، أصدر هتلر أمره بغزو بولندا ، فى الساعة الثانية عشرة والنصف من مساء ٣١ أغسطس . . وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح أول سبتمبر عقدت الوزارة الفرنسية اجتماعا موجزا لتدارس الموقف ، وتقرر إصدار الأمر بالتعبئة العامة ، ودعوة البرلمان للاجتماع - فى اليوم التالى - لاستصدار موافقته على تخويل الحكومة حق شن الحرب عند اللزوم . ذلك لأن « دالاديه » أحجم عن طلب الموافقة على « اعلان الحرب » قبل أن تتم التعبئة العامة بأكملها ، خشية تعريض فرنسا لهجوم جوى مفاجيء !

وفى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ٢ سبتمبر ، اجتمع مجلسا البرلمان - وكانا فى أجازة برغم تصاعد الأزمة فى الأيام السابقة - وقرا رئيس الوزراء « دالاديه » على أعضائهما رسالة من رئيس الجمهورية بتأييد بولندا - وان أبدى الرغبة فى علاج الموقف سلميا ! - وقابل البرلمان خطاب رئيس الوزراء بتحمس ، وإن لم يعن هذا أن الأعضاء جميعا كانوا يحبذون الحرب . . وعندما طلب « دالاديه » الى اللجنة المالية - بعد ذلك - ٧٠ بليوناً من الفرنكات من أجل الحرب ، تساءل بعض الأعضاء عما إذا كان هذا « (تخويلا) » للحكومة باعلان الحرب ، فأجاب « (دالاديه) » بأنه « (سيرجع الى البرلمان) » اذا دعت الضرورة للحرب . . ولهذا وجه « (لافال) » و « (بير فلاندان) »

وغيرهما من معارضي الحرب ، الاتهام الى « دالاديه » - فيما بعد - بأنه نكث بوعده ، ولم يرجع للبرلمان عند الاعلان الفعلي للحرب .

واتفقت الحكومتان الفرنسية والبريطانية على توجيه اذارين لآلمانيا بايقاف العمليات الحربية . . فوجهت بريطانيا اذارها في الساعة الثامنة من صباح الأحد ٣ سبتمبر ، ووجهت فرنسا اذارها بعد الظهر .

السفير الفرنسي يرتاب في صوت وزيره !

● وكان « بونيه » - وزير الخارجية الفرنسية اذ ذاك - قد ذهب في الساعة الثامنة من ذلك الصباح الى وزارة الحربية ، ليجتمع بدالاديه الذي كان يتولى هذه الوزارة الى جانب الرئاسة . وحدد « دالاديه » بدء القتال بالساعة الخامسة من صباح يوم الاثنين ، بناء على مشورة هيئة أركان الحرب . وعلى هذا الأساس ، وضع « بونيه » صيغة الانذار الفرنسي ، وأبلغ سفيره لدى برلين « روبر كولوندر » بأن يقدمه بنفسه - عند الظهر تماما - وأن يطلب رد ألمانيا على مذكرة فرنسية سابقة بتاريخ أول سبتمبر . . « فاذا كان الرد بالنفي ، أبلغ وزير الخارجية الألمانية ، أو من يمثله ، بأن فرنسا ستضطر - ابتداء من الساعة الخامسة من صباح الاثنين ٤ سبتمبر - الى أن تفي بالتزاماتها لبولندا ، وهي التزامات معروفة للحكومة الألمانية » .

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف اتصل « دالاديه » ببونيه مرة أخرى ، وأخبره بأنه انتزع من رئيس هيئة أركان الحرب - الجنرال « لوى كولسون » - تعهدا بتقديم موعد بدء القتال اثنى عشرة ساعة ، فأصبح « الساعة الخامسة من مساء الأحد ٣ سبتمبر » . فأبلغ « بونيه » هذا التعديل بسرعة الى سفيره ، الذي صححه في الانذار ، بخط اليد .

وفجأة ، استولت على السفير ((كولوندر)) الوسوس :
 أحقا كان يُتكلم باسم وزير الخارجية الفرنسي ؟ . فطلب من
 الوزير تأكيداً من شخصية أخرى - من شخصيات الوزارة -
 يكون صوتها مألوفاً لدى السفير . وكان أن كلف ((يونيه))
 اثنين من المسؤولين بأن يؤكدوا التعليمات للسفير تليفونيا .
 واذ ذاك فقط ، اتجه السفير الى وزارة الخارجية الألمانية .
 وقبل الساعة الخامسة بنصف الساعة ، أصدر الجنرال
 « جاميلان » تعليمات سرية الى الجيش والاسطول والطيران ،
 بتأخير بدء القتال اثنتي عشرة ساعة عن الموعد المحدد بالانذار
 « تنسيقاً للعمل مع السلاح الجوى البريطانى » . . وهكذا
 بدأ تردد القائد العام الفرنسى منذ الساعة الاولى للحرب !
 وبدأ أن فرنسا اهتدت الى نوع من الوحدة الداخلية ،
 فى ساعات الأزمة ، فسارت عمليات التعبئة بسرعة ويسر ،
 وحفلت الضحف - التى فرضت عليها رقابة شديدة -
 بتحييد وفاء الحكومة بوعدھا لبولندا . ومع أنه لم يكن ثمة
 حماس للحرب ، فقد كان هناك الكثير من الاقتناع بأن هتلر
 جعل الحرب أمراً لا مخلص منه .

تردد القائد العام ، أضاع فرصة النصر !

● ولكن هذا كله كان فى الظاهر . أما وراء السطح ، فكانت
 لدى الفرنسيين شكوك تؤرقهم ازاء حكمة الحكومة ، بل
 كانت هناك معارضة للاتجاه الذى اتخذته . اذ لم تكن فرنسا
 قد استكملت البرء التام من استنزاف الحرب العالمية الاولى
 لطاقتها ومقدراتها ، وخالج الجمهور - و « دالاديه »
 نفسه ! - الخوف من أن لا تقوى الدولة على الخروج سالمة
 من حرب جديدة ، ولو كان النصر حليفها ! . . ولكن الشكوك
 والخوف ظلت بلا علاج . ولدهشة الفرنسيين - وعميق
 ارتيساحهم - بدأت فى الغرب ، اذ ذاك ، فترة من أعجب

الفترات في تاريخ الحروب :- فترة « الحرب الزائفة » ، التي امتدت ثمانية أشهر لم تقع فيها اشتباكات خطيرة ، ولم ترق فيها دماء .. وكانت هذه الفترة خليقة بأن تثير كثيرا من الأوهام .. ولكنها لم تكن سوى تمهيد لتحطيم كل أوهام الجمهورية الثالثة في فرنسا !

كانت فرنسا متفوقة تفوقا تاما في الرجال والمدافع والدبابات . وفي مقابل ٨٥ فرقة مسلحة لديها ، لم يكن لدى الألمان سوى ٣٤ فرقة ، ٢٣ منها من الاحتياطي المفتقر الى التدريب والأسلحة المناسبة والدخائر ووسائل النقل . وكانت فرق « البانزر » ، والفرق الآلية ، موجهة جميعا الى (بولندا) . ومع ذلك ، فقد شاء الحظ لألمانيا ألا تتعرض لهجوم جدي خطر .. لفرط حرص القائد العام الفرنسي !

كان كل « الهجوم » الذي وقع ، على حد تعبير الكولونيل شارل ديغول - قائد الدبابات في الجيش الخامس ، في (السار) ، أذ ذاك - مجرد مناوشات واستعراضات قليلة ! وأدت الهزيمة السريعة لبولندا الى تخفيف الضغط على « جاميلان » من جانب أنصار فكرة المبادأة بالهجوم من منطقة (السار) ، اذ أثارت مشكلة احتمال استعادة الألمان قواتهم الرئيسية ، ليلقوا بها ضد فرنسا . ويقول جاميلان انه قرر - في ٣٠ سبتمبر - أن « ساعة الانسحاب من السار قد حانت » . فذهب بصحبة الجنرال « الفونس جورج » الى « دالاديه » ليقنعه بدواعي ذلك الانسحاب ، وهما يدركان ما في ذلك من صدمة للحكومة التي أسرفت في دعايتها عن « الغزو الفرنسي لألمانيا » !

وفعلا أبدى رئيس الوزراء تخوفه من رد الفعل ، « لا في فرنسا وحدها ، بل في العالم كله » .. ولكنه ، بدافع من « الوطنية العميقة » وافق على اقتراح « جاميلان » .



رأى « لافال » في المارشال العجوز «بيتان»
مجرد «مقلب قف» يمكنه من حكم فرنسا المهزومة !

ولتفادي تسرب الخطة للألمان ، تقرر عدم اطلاع مجلس الوزراء عليها ، فلم يعلم بها سوى رئيس الجمهورية .

مساومات سياسية في وسط الأزمة !

● وكان لزاما أن يتم الانسحاب الفرنسي سرا . . فهل كان ذلك لأن بعض القادة بدأوا يعتقدون أنه لا حكمة في مواصلة الحرب ، بعد « زوال » بولندا ؟ . لقد عرض هتلر - في ٦ أكتوبر - الصلح ، ورأى « بونيه » أن عرضه « يستحق الاهتمام » من الحكومة ، ولكن « دالاديه » أقصى « بونيه » عندئذ عن وزارة الخارجية ، وعرضها على « أدوار هيريو » - رئيس مجلس النواب ، وأحد أقطاب الحزب الراديكالي - قبلها بشرط أن يدخل « بيتان » عضوا في الحكومة .

وطلب « بيتان » مهلة ، ريثما يستشير أصدقاءه ، وكان معظمهم - وبينهم « لافال » - يلحون عليه في أن يتولى بنفسه رئاسة الوزارة . والتقى المارشال بالجنرال « جاميلان » فأسر اليه بأنه ما كان لينضم الى وزارة بين أعضائها « هيريو » ، ثم رحل « بيتان » الى أسبانيا دون أن يقابل « دالاديه » ثانية ، وأرسل اليه - من هناك - رفضه لما عرض عليه .

وهكذا بدأ « البطل العظيم » - بيتان - يخوض مياه السياسة الفدارة ، برغم كبر سنه . فدعا « هنري ليميري » - عضو الشيوخ الذي كان يعتبر من غلاة الرجعيين - الى مباحثته في (سان سباستيان) ، فأوجس « ليميري » من هذا اللقاء ، خشية أن ترتاب الحكومة في أنه كان يشترك في مؤامرة لاسقاطها . ولكنه ما لبث أن خف الى الملتقى - في سرية تامة - في ١٠ أكتوبر ، وقال لبيتان ان الأمور كانت تسوء في الجيش (عليك أن تعد نفسك لتشكيل حكومة تتولى الحرب ، كما فعل كليمانسو) . وقال المرشسال أنه

جل حرب ، وليست مهنته إدارة شؤون الحكم ، ولكن عضو لشيوخ طمأنه ، ورشح له أسماء للوزارة ، كان بينها « لافال » لداخلية . ومع أن « بيتان » ظل يعرب عن عزوفه عن تولي لحكم ، فان متملقيه لم يعتبروا هذا ردا نهائيا .

ولم يكن « لافال » - في تلك الاثناء - خاملا ، بل كان شيطا في ابهاء البرلمان ، وفي المطاعم التي كان يغشاها رجال لسياسة ، يروج لفكرة « حكومة بيتان » . وعندما اعترض ايلي بوا - رئيس تحرير « بيتي باريزيان » التي كانت وسع صحف فرنسا اليومية رواجاً - على كبر سن « بيتان » ، حديث نشر في ٢٧ أكتوبر ، قال لافال : « هذا لا يهم ، فما لدى سنتطلبه منه ؟ . . أن يكون مجرد تمثال على قاعدة . . سمه ، ومكانته ، ولا شيء أكثر من هذا ! »

وما لبثت ألمانيا أن شعرت بما يجري ، وكانت ترى ن « بيتان » من دعاة سياسة السلام في فرنسا ، ومن المؤمنين أن بلاده لن تجنى من الحرب شيئاً ، حتى لو انتصرت !

انشقاقات في الحكومة والقيادة الفرنسيين

● وأشرقت سنة ١٩٣٩ على نهايتها ، و « دالاديه » نرنح بوزارة معظم أعضائها من المسنين ، المكدودين . كما كانت لقيادة العليا في أيدي شيوخ نصبت حيويتهم وذكاؤهم . وكان بعدام الثقة بين اثنين من زعماء الحكومة - هما دالاديه ورينو - يقابله انعدام الثقة بين اثنين من كبار قادة الجيش ، هما جاميلان - القائد العام - ونائبه « جورج » الذي كان نولى قيادة الجبهة الفرنسية الألمانية . فقد كان الصراع بين اثنين القائدين مريراً ، لا سيما أن « جورج » كان يعتقد بأن جاميلان « دسائس ، يستغل « دالاديه » ليحتفظ بسلطانه ، دون مراعاة للكفاءة والمقدرة - ويتشبهت بأن يكون هو خطط للحرب ، بينما يقتصر دور « جورج » على التنفيذ .

ومن ناحية أخرى ، كان ثمة تدمير من بعض الضباط الكبار -
على رأسهم ((ديجول)) - اذ كانوا يلحون في ضرورة إجراء
تدريبات واسعة ، لأعداد القوات لتكتيكات الحرب الخاطفة ،
التي استخدمها هتلر في (بولندا) بنجاح . . ولكن ((جاميلان))
كان يأبى أن يصفى اليهم !

وفي اليوم الأخير من نوفمبر ، قامت روسيا بغزو
(فنلندا) ، فثار الغرب استنكارا ، واشتد الضغط على
فرنسا - التي لم تبذل جهدا لمساعدة بولندا - كي تخف
لجدة (فنلندا) ، ولكنها لم تكن تملك أية مساعدة فعالة .
وعندما اضطرت فنلندا الى توقيع الصلح مع روسيا - مجبرة
- في ١٤ مارس ١٩٤٠ ، بدأ الهجوم البرلماني ضد « دالاييه » :
اذ عقد مجلس الشيوخ - في ١٦ مارس - جلسة سرية تجلى
فيها الاجماع على لوم « دالادييه » ، لا لتقصيره في العمل ضد
ألمانيا ، وانما لتقصيره في العمل ضد روسيا . . ولقد أفاض
« دالادييه » في الدفاع عن سياسته في البرلمان ، ولكنه بدا -
في بعض مراحل النقاش - خائرا ، مثبت العزيمة . .

أخيرا سقط ((دالادييه)) . . فخلفه ((رينو)) !

● وكان « دالادييه » قد سقط عن ظهر جواد ، فكسرت
قدمه - أثناء قضائه نهاية الأسبوع مع عشيقته في الريف ، في
شهر يناير - واضطر للآزمة الفراش عدة أسابيع ، عجز خلالها
عن عرقلة المؤامرات التي كانت تحاك ضده . . ومن هنا كان
شعوره بالخور وثبوت العزيمة ، فلم يلبث أن دعا البرلمان الى
طرح الثقة بسياسته في الحرب . .

وطرحت الثقة ، فأولاه مجلس الشيوخ ٢٣٦ صوتا ،
ضد لا شيء ، مع امتناع ٦٠ عضوا عن التصويت . . أما مجلس
النواب ، فبلغ عدد الأصوات المؤيدة للحكومة فيه ٢٣٠ صوتا ،

ضد صوت واحد ؛ ولكن ٣٠٠ نائب امتنعوا عن التصويت ، ومع أن هذه النتيجة مكنته من البقاء في الحكم ، فإنه فقد تأييد الأغلبية ، ومن ثم استقال عقب الجلسة مباشرة !

وخلفه « رينو » ، الذي كان في الحادية والستين من العمر ، ولكنه عرف بالنشاط المفرط ، والبت في الأمور ، والدعوة الى التجديد في الحكم ، والى ادخال النظم والأسلحة الحديثة في الجيش . . وكان - منذ سنة ١٩٣٥ - ينادى ، دون جدوى . بإنشاء فرق مدرعة كالتى أنشأتها ألمانيا ؛ كما أنه عارض سياسة التراجع أمام هتلر - في (ميونيخ) - وأصر على أن تدخل فرنسا الحرب عند هجوم ألمانيا على بولندا . . فضلا عن أنه لم يكتف - خلال الأشهر الستة الأولى من الحرب - بإيمانه بأن في وسعه أن يكون أشد من ((دالاديه)) في إدارة سياسة الحرب . وكان على اتصال مستمر بصديقه ((شارل ديغول)) ، ومتفقا معه على وجوب أحداث هزة توقف الجيش ، وتخلصه من العناصر المتخشبة - في القيادة العليا - مع تنظيم فرق مدرعة ، وتجهيزها بالذبابات المتنازلة التى كانت متوفرة لدى الجيش فعلا .

على أن « رينو » كان ، منذ انتخابه نائبا لأول مرة - في سنة ١٩١٩ - غير مستند الى قاعدة حزبية واسعة ، مما كبده الكثير عندما شرع في تأليف حكومته . إذ حاول دالاديه وحزبه « الاشتراكي الراديكالى » - الذى كانت له الأغلبية الثانية في مجلس النواب - تخريب مساعيه ، ورفض دالاديه أن يشترك في الحكومة الجديدة ، عندما قال « رينو » أنه يعتزم الاحتفاظ لنفسه بوزارة الدفاع ، التى كان دالاديه يتولاها . ولم يلبث « رينو » أن اضطر لترك وزارة الدفاع لفريمه ، عندما تبين أنه لا سبيل لتأليف الحكومة بدون التعاون مع الحزب الاشتراكي الراديكالى .

الصراع التقليدي بين رينو ودالادييه . . يستمر !

● وجاءت حكومته غير متناسقة ، ضمت ٦ من الاشتراكيين ، و ١١ من الاشتراكيين الراديكاليين ، والباقيون من الجناح الأيسر لأحزاب الوسط المعتدلة . وقد خلت الوزارة من عضو شبيه دائم ، هو « جورج بونيه » ، الذي اشترك في ١٥ وزارة طيلة السنوات الخمس عشرة الأخيرة ، والذي لم يعد « رينو » يطيقه منذ مؤتمر (ميونيخ) ، لا سيما أنه كان يراه ميالاً للصلح مع ألمانيا . وأوغر هذا الاقصاء صدر « بونيه » ، الذي كان قد استخدم نفوذه لإقرار قانون يختصر المدة القانونية بين الطلاق والزواج التالي ، لتمكين « رينو » من التعجيل بالزواج من عشيقته بعد طلاقها من زوجها . . فهل نسي « رينو » هذا الصنيع ؟

وفازت حكومة « رينو » في مجلس النواب بأغلبية صوت واحد فقط ، فتكشف الانشقاق في الوحدة التي بدت ظاهرياً في فترة الحرب . وازدادت الفرقة ، فاذا نصف مجلس النواب يعارض الحكومة ، واشتد التصادم بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع في حكومته (أي دالادييه) ، وطففت الأطماع السياسية على مصلحة الأمة المهددة .

وفي ١٥ مايو ، أبلغ « جاميلان » الكولونيل « ديجول » باختياره لقيادة الفرقة الرابعة المدرعة ، التي انشئت حديثاً . وكان « رينو » يحاول استبقاء الكولونيل في باريس ليكون مستشاره العسكري ، وعرض عليه منصب السكرتير في « وزارة الحرب » . ولكن « دالادييه » كان قد غانى الكثير من انتقادات ديجول اللاذعة ، في السنين السابقة ، فعارض بشدة رغبة « رينو » ، وهدد بالاستقالة . ولم يجد رئيس الوزراء بداً من أن يعين « بول بودوان » - المدير العام لبنك الهند الصينية - في المنصب الذي أعده لديجول ، كما عينه وكيلًا

للخارجية في الوقت ذاته . . فاذا « بودوان » يؤيد كل ما كان يعارضه « رينو » : كان معجبا بموسولينى وايطاليا الفاشية وكان - قبل الحرب - قد دعا فرنسا الى توثيق علاقاتها بألمانيا النازية « التى استحوطت مكانها تحت الشمس بجدارة » على حد تعبيره !

عشيقته « رينو » واصداؤها يعملون ضده !

● وكان « بودوان » يؤمن بأن الوقت قد حان لتقييد الديمقراطية البرلمانية التى كانت فرنسا تمارسها ، والحد من البرلمان ، وانشاء سلطة تنفيذية قوية « من صفوة النخبة فى الدولة » . ولقد وثق علاقاته بالكونتيسة دى بورت - عشيقته رينو - حتى لقد كان يتحدث اليها مرة أو اثنتين فى اليوم ، ويشدد الضغط - عن طريقها - لا على رئيس الوزراء وحده ، بل على كافة الوزراء !

ولقد ظل مسلك الكونتيسة دى بورت محيرا للمؤرخين : فبرغم حبها لرينو ، ونضالها سنوات طويلة لتدفعه الى القمة ، فإنها عملت دائبة على تحطيم أصراره - حين رأس الحكومة - على خوض الحرب وانقاذ الجمهورية . ولكن أصبح « بودوان » تبعد تلك الحيرة ، فقد كانت وراء ذلك التحطيم !

وبينما كان الربيع يقترب ، كانت ثمة كتلة تتكون ضد رئيس الوزراء ، من أقرب المقربين اليه ، ومنهم عشيقته ! وقد ر لهذه الكتلة أن تجتذب شخصيات قوية النفوذ ، كأعظم بطلين باقين منذ الحرب العالمية الاولى « وهما » بيتسان « و « جاميلان ») وكالرجعيين ، ومعارضى الحرب - وفى مقدمتهم « لافال » - وأغرب ما فى الأمر ، أن « رينو » ، وهو السياسى الداهية ، لم يفتن لما كان يجرى !

وقرر « رينو » - فى ٤ مايو - أن يتخلص من القائد العام « جاميلان » ، فوافاه مستشاره العسكرى واثنان من

سكرتيريه بمبررات كافية لذلك : منها اخفاق « جاميلان » فى القيام بعمل فعال عندما غزا الألمان (النرويج) فى شهر أبريل . ومن ثم اتجه « رينو » الى « ليبران » رئيس الجمهورية ، فى صباح ٩ مايو ، ليطلعه على ما اعتزم . بيد أن « ليبران » خشى من إثارة أزمة وزارية ، (فما كان « دالاديه » ليقبل اقضاء « جاميلان ») . . بيد أن « رينو » ظل على عزمه ، ولو أدى الأمر الى أن يستقيل اذا خذله مجلس الوزراء !

فرنسا بلا حكومة ولا قائد . . أمام الخطر !

● وفعلا ، انعقد المجلس فى الساعة العاشرة والنصف - من الصباح ذاته - وقد خيم عليه صمت شامل ، وبدأ الرئيس شاحب الوجه ، أجش الصوت ، (اذ كان فريسة « الانفلونزا » طيلة الأسبوع السابق) ، بينما كان « بودوان » يقرأ القرار ومبرراته . . وقال « رينو » ، أخيرا ، ان فرنسا خليقة بأن تخسر الحرب اذا بقى « جاميلان » قائدا عاما . . ودعا مجلس الوزراء الى الموافقة على تعيين قائد آخر . . لكنه لم يظفر بغير الصمت !

ثم التفت الجميع صوب « دالاديه » - وزير الدفاع ، وحامى جاميلان - فألقى اللوم فيما أصاب (النرويج) على بريطانيا ، ودافع عن القائد العام ، قائلا ان هدوء الجبهة الفرنسية الألمانية كان متعمدا ومقصودا ، ريثما تستكمل فرنسا إعادة تسليحها : وأبدى دالاديه أسفه لأن « جاميلان » لم يمنح فرصة للدفاع عن نفسه ، وعاب على رئيس الوزراء مثل هذا الانتقاد الخطير لقائد يعترف للجميع بذكائه وحزمه ، وان كان هذا الانتقاد لم يثر الا داخل جدران قاعة مجلس الوزراء !

وازاء موقف دالاديه ، أعلن « رينو » انه يعتبر الوزارة مستقيلة ، ورجا كتمان الأمر ريثما يتسنى تأليف

حكومة جديدة • وما ان علم ((جاميلان)) بالأمر ، حتى قدم استقالته ، لأنه لم يشأ أن يكون سبباً في أزمة جديدة !
بيد أنه لم يلبث أن أوقف - في الساعة الواحدة من الصباح التالي - لوصول نبأ من جاسوس فرنسي ، خلف الخطوط الألمانية ، جاء فيه أن الألمان يزحفون نحو الغرب !
وبينما تجمع أكبر جيش الماني لمهاجمة فرنسا -



من حضيض الهزيمة الساحقة ، ارتفع صوت
واحد ينادى بالمقاومة : صوت ((دينجول)) !

(١٣٦ فرقة ، منها ١٠ فرق مدرعة ، يوازرها أسطول جوى جبار) - وتأهب ليهوى بضربته عند الفجر ، كانت الجمهورية الفرنسية بدون حكومة ، وبدون قائد عام !

قيادة عليا . . بدون جهاز لاسلكى !

● قسمت القيادة الفرنسية العليا نفسها الى ثلاث قيادات : جاميلان - الذى حذا حذو « رينو » وسحب استقالته ، فى ساعة الخطر - وقد بقى فى (فانسين) على الحافة الشرقية لباريس . . والجنرال « جورج » الذى تولى العمليات على طول الجبهة وعرضها ، واتخذ مقرة فى الشمال الشرقى ، عند (لافيرتيه سوجوار) . . وبين (فانسين) و (لافيرتيه) ، كان مقر القيادة العليا فى (مونترى) يرأسه الجنرال « اندريه دومين » ، تحت اشراف « جاميلان » . وكانت وسائل الاتصال بين القيادات الثلاث ، فى حالة يرثى لها ! لم يكن فى مقر القائد العام جهاز واحد للاسلكى ، فوجد « جاميلان » نفسه - فى اول أيام المعركة - فى عزلة عن الأحداث ! . . وبرغم وجود تليفون ، فانه كان يضطر الى أن يستقل السيارة ليبقى على اتصال بالجنرال « جورج » . . وكانت الرحلة تستغرق ساعة ، على طرق مزدحمة . . وهكذا كان القائد العام الفرنسى يضيع وقته هباء ، فى معركة من أهم المارك التاريخية . . وكانت أوامره تستغرق ٤٨ ساعة ، ريثما تجتاز درجات القيادة ، وتصل الى مسرح العمليات ، ويبدأ تنفيذها !

وفى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ١٣ مايو ، بدأ الألمان عبورهم لنهر (الموز) وحول (سيدان) . وكان بوسع المدفعية الفرنسية - فى الظروف العادية - اغراق القوارب وتشيت الزاحفين ، ولكنها ظلت عاجزة : اما لأن المدفعية

الألمانية أصلت مراكزها نارا حامية ، أو لأن رجالها ظل منبطحين على الأرض ، من فرط قسوة الغارات الجوية . ومع ثم ، لم يأت الليل حتى كان الألمان قد احتلوا المرتفعات التي كانت تمكن المراقبين الفرنسيين من استطلاع ميدان القتال بأكمله !

الذعر يذهب بعقول الضباط والجنود !

● والى الساعة الخامسة والنصف مساء ، كان الموقف « خطيرا » فحشب . . وكان رأس الحربة الألماني صغيرا ، ومع عجز الألمان من نقل أية مدفعية عبر النهر . . كما كانت المدافع والدبابات متوفرة لدى الفرنسيين . . ولكن التطور جاء سريعا ، فيما بين الساعتين السادسة والسابعة . . إذا الذعر استولى فجأة على جنود الفرقة (٥٥) الفرنسية ! . ولم تبدأ هذه الظاهرة في المقدمة - حيث المشاة - وإنما بدأت في المؤخرة ، حيث المدفعية التي كان من المفروض أن تطلق حممها . . فما أن تراجع مشاة الفرقة عن غابات (مارفيه) حتى انطلقت صيحات عامة بأن دبابات الألمان وصلت إلى (بولسون) . . وإذا الذعر يذهب برشيد اثنين من قادة المدفعية الثقيلة للفرقة - برتبة (كولونيل) - فلم ينقصر نصف الساعة حتى كانت الطرق تفص بالجنود الهاربين !

ولقد حاول الجنرال « لافونتين » - قائد الفرقة (٥٥) - سد الطرق في وجه الهاربين ، ولكن هؤلاء واصلوا اندفاعهم الجنوني طيلة الليل ، ومنهم من لم يتوقف حتى بلغ (ريمس) ، على بعد حوالي ٧٠ كيلومترا ! . . وفي خلال ثلاث ساعات أو أربع ، كانت الفرقة (٥٥) مشاة ، بكافة جنودها ومدفيعتها ، قد تلاشت ! . . مع أن الألمان لم يكونوا قد نقلوا دبابة واحدة عبر نهر (الموز) !

.. وسرى الذعر إلى القيادة : ففي منتصف الليل

طلب الجنرال « جورج » من الجنرال « دومين » أن يوافيه . . فلما وصل هذا ، وجد « جورج » وأركان حربه مجتمعين في غرفة الخرائط ، وكأنهم أسرة تلتف حول عزيز يختصر . . وقال جورج : « لقد تحطمت جبهتنا عند (سيدان) . . كانت هناك حالات هرب من الميدان » . . ثم انهار في مقعد ، وانخرط في البكاء !

وحاول « دومين » - المشهور بروحه العالية - أن يرفع من معنويات « جورج » وضباطه ، وأن يدعوهم لانقضاء الموقف . . ورسم خطة هجوم مضاد قوى . لتقوم به قيادة الجبهة الشمالية الشرقية . . ووافق « بوفر » - قائد تلك الجبهة - وأصدر أوامره بالفعل . . ولكن أعصاب « جورج » كانت قد تحطمت . وبرغم أن الجيشين الثانى والثاسع كانا باقيين ، لم يمسا بأى أذى ، فان « القيادة العليا » كانت قد فقدت معنوياتها !

تشرشل يأبى أن يصدق انهيار فرنسا !

● وعقد « رينو » أول اجتماع للجنة الحرب ، بعد ظهر يوم ١٤ مايو . . وأخطر تشرشل - تليفونيا - أن الموقف غاية في السوء ، وأن الألمان اخترقوا خطوط التحصينات جنوبى (سيدان) . . وكان البريطانيون قد أرسلوا أربعة أسراب من طائرات القتال ، فطالب بعشرة أخرى . . ولم يصدق البريطانيون انهيار الموقف بهذه السرعة ، ولكن « رينو » أيقظ تشرشل فى الصباح التالى ، ليقول له تليفونيا : « لقد هزمنا ! . . خسرنا المعركة ! » . . ولم يشأ تشرشل أن يصدق ، بل قال : « سينتهى الهجوم بعد قليل ، على ضوء التجارب المعروفة . . سيضطرون للتوقف - بعد خمسة أيام أو ستة - فى انتظار الامدادات ، واذ ذاك تحين الفرصة لهجوم مضاد ! » لكن « رينو » رد قائلاً ان تجارب الحرب السابقة قد

تغيرت ، وان الألمان يدفعون بسيل من الدبابات . . واعترف
تشرشل - فيما بعد - بأنه لم يستطع أن يعقل الانقلاب الذي
أصاب أساليب الحرب ، باستخدام مصفحات سريعة الحركة !
وفي نهاية ١٥ مايو ، تلقى تشرشل رسالة من « رينو »
بأن طريق الألمان الى باريس مفتوح ! وفي منتصف ليل ذلك
اليوم ، اتصل « جاميلان » بوزير الدفاع « دالاديه » ، فاذا
به قد أوى الى مخدعه ، وأمر بعدم ازعاجه . . واكتفى
جاميلان بأن أبلغ من تلقى المكالمات ، بأن على الحكومة أن تتأهب
لمغادرة باريس ! . . وسرعان ما اتصل « رينو » - اذ نقلت
اليه الرسالة - بجاميلان ، فقال له هذا : « انما طلبت أن
يستعد الوزراء للرحيل ، حتى لا يضطروا الى مغادرة العاصمة
باريتيك ، اذا زحف عليها الألمان » .

ودعى مجلس الوزراء الى اجتماع عاجل في الساعة
الثالثة صباحا . . وبدأ « دالاديه » منهارا . . وفي ظهر ١٦
مايو ، اجتمع في مكتب « رينو » - بوزارة الخارجية - عدد
من الوزراء ، ورئيسا مجلسي البرلمان ، والجنرال « بير هيرنج »
- الحاكم العسكري لباريس - وكان رئيس الوزراء منهمكا في
اعداد بيان لأهل باريس يدعوهم الى مبارحتها . . وقال وزير
المواصلات انه لم يكن يملك أن يضع قطارا واحدا في خدمة
النازحين ، وان ما لديه من سيارات النقل عدد قليل !

درس في الاستراتيجية يلقيه القائد المهزوم !

● **اذ ذاك** ، أصبح لزاما أن يتحكم العقل في علاج الموقف .
وتبين المجتمعون أن قرار الحكومة سيثير الذعر بين الأهالي
والجنود . . وفيما كان النقاش دائرا ، ارتفعت ضججة في
الخارج ، فأطل « اناتول دي مونزي » - وزير المواصلات -
من إحدى النوافذ ، واذا طرود من وثائق وزارة الخارجية
تهوى من أحد الطوابق العليا الى فناء الوزارة ، ثم توقد فيها

النار .. وسرعان ما أحاط الدخان قصر الـ « كى دورسيه »
الفخم ، بغلالة قائمة .. وصاحت الكونتيسة دى بورت : « آى
غيبى أمر بهذا ؟ » .. واذ قيل لها ان رئيس الوزراء أمر بذلك ،
اتصلت به ، فتنصل من المسئولية .. ولكن الكونتيسة لم تلبث
ان وجدت نفسها - بعد قليل - منهكة فى حزم امتعتها وامتعة
عشيقها .. رئيس الوزراء !

والى « مركز أعصاب » فرنسا المرتبكة ، الذى أحاط
به الدخان ، وصل تشيرشل فى الساعة الخامسة والثلاث
منساء .. وكان قد تبين - منذ بلغ المطار - أن الموقف أسوأ من
كل ما كان يتصور .. ووقف « جاميلان » أمام خريطة ، يبين
المواقع التى اخترقها الألمان ، و « يشرح التطورات فى وضوح
وهدوء ، وكأنه يلقي درسا فى الاستراتيجية الحربية » - على
حد تعبير « بودوان » ! - وما ان انتهى من « الدرس » ، حتى
خيم على المكان صمت طويل ، قطعه تشيرشل متسائلا :
- وابن الاحتياطى الاستراتيجى ؟

ويقول تشيرشل فى مذكراته : « والتفت الجنرال جاميلان
نحوى ، وهز رأسه وكتفيه قائلا : « لا يوجد احتياطى » ! ..
وذهلت » !

((بيتان)) يظهر على مسرح الأحداث !

● ومع ذلك ، فقد ظل تشيرشل لا يصدق أن اندفاع
المصفحات الألمانية خطر كبير ، « فان الدبابات تمثل قوة
محدودة ، ما لم تكن مدعمة بمشاة . فهى لا تستطيع ممارسة
أعمال الصيانة لنفسها ، وهى تحتاج الى وقود وأمدادات
متوالية » .. وأجمع جاميلان ، ورينو ، ودالاديه ، على
مطالبة بريطانيا بمزيد من الطائرات المقاتلة .. ولكن تشيرشل
أصر على أن المدفعية وحدها هى التى تستطيع إيقاف
الدبابات ! .. وكان غريبا ألا ترى القيادة العليا الفرنسية هذا

الرأى ، وقد كانت تمتلك أعظم مدفعية في أوروبا ! .. وكان منها لا أنها لم تستغل تفوقها في المدفعية لايقاف الدبابات المعادية !

ووافق تشيرشل - أخيرا - على إرسال عشرة أسراب من المقاتلات البريطانية ، فلم يبق لحماية إنجلترا سوى ٢٥ سربا ! .. وازاء النكبة الهائلة ، عمده « رينو » الى تغيير القائد العام ، ووالى تعديل الوزارة ، فتولى بنفسه وزارة الدفاع ، ونقل « دالاديه » الى الخارجية ، (اذ أن الأخير ظل يتولى الوزارة الأولى منذ سنة ١٩٣٦ ، ومن ثم فقد كان أكثر مسئولية من أى سياسى آخر عن حالة الجيش !) .. ويقول الذين شاهدوه اذ ذاك انه كان محطما - كما كان قادة فرنسا الكبار - لانهيار الجيش فى تسعة أيام !

وعندما أعلن التعديل الوزارى - فى ١٨ مايو - كان « بيتان » قد عين وزيرا للحوالة ونائبا لرئيس الوزراء ، كما عين الجنرال « فيجان » قائدا عاما .. وما كان « رينو » - اذ ذاك - يترك ما فى ذهن « بطل فردان » ، ولا سماع بأن « بيتان » قال لغراتكو ، قبيل مبارحته اسبانيا : « لقد هزمت بلادى ، وهم يدعوني لأعقد الصلح وأوقع الهزيمة .. ها هى ذى نتيجة ٣٠ عاما من الماركسية » !

على أن رينو وزملاءه لم يلبثوا أن فطنوا الى أن « بيتان » كان يسعى لرئاسة الحكومة ، ليتخلص من السياسيين الذين كان يلعنهم منذ وصوله الى باريس !

ظهور « دييجول » .. وبعده بزوغ نجمه !

● أشار الجنرال « فيجان » على وزير المستعمرات « لوى رولان » - بعد أسبوع من توليه منصبه - بأن تبقى الحكومة فى باريس ، ولو دخلها الألمان ، كما فعل شيوخ « روما » عندما هزتها القبائل البربرية منذ قرون ، (فعندما

حل الفزاة روما ، وجدوا أعضاء مجلس الشيوخ جالسين في
«أعدهم صامتين . . » ولقد ذبحوهم من آخرهم ، ولكن
فهل لم يخل من أبهة وعظمة « ! » . . ووجد الوزير أن
حبه يدفعه إلى إبلاغ رئيس الجمهورية « لوبران » بهذا
ي ، فما كان من الأخير إلا أن طوح ذراعيه في الهواء ،
نحا : « لابد أنه مجنون ! . . أريد أن ألقى مصر شوشينج
جستشار النمسا الذي اعتقله النازيون سنة ١٩٣٨ » ؟
فإن تتصرف حكومة سجيئة في تسيير دفة الحرب بحرية ؟
إلى أين تراه يقودنا ؟ .

واخلفت الشكوك تسهم عقول الفرنسيين ضد الانجليز ،
تلك الفترة ، إذ راودتهم الهواجس بأن انجلترا قد تقبل
بيع صالح منفرد مع هتلر ، الأمر الذي عكر العلاقات بين
الليفتين - سيما وأن نفس الهواجس راودت الانجليز نحو
مسا ! - والواقع أن « رينو » تلقى ، في ٢٠ مايو ، إيعاء من
لأن بأن يتقدم اليهم بشروط صالح ، إذا شاء أن تلقى بلاده
جاهلا من المنتصرين . . ولكن « رينو » رفض مجرد الفكرة .

ولقد شهد يوم ٥ يونيو عام ١٩٤٠ حدثا بالغ الأهمية
له أثر في مستقبل فرنسا : إذ أصدر « رينو » أمرا بتعيين
هارل دييجول « - قائد فرقة المدرعات الرابعة - وكيلا
أرة الدفاع . . فأتى ذلك كلام من « بيتان » ، و « فيجان »
لدى وصف دييجول بأنه طفل ، مع أن عمره كان إذ ذاك ٤٩
سنة !) وقال : « أنه صحفي أكثر منه ضابطا ، ورأيه في نفسه
« ! » . . أما « بيتان » فوصف « دييجول » بأنه مغرور ،
ول « يظن أنه يعرف كل شيء عن ميكانيكات الحرب .
زهو يزين له أن يظن أن فن الحرب لا يخفى عليه . . وهو
يؤت في الجيش سوى أصدقاء قلائل ، ولا عجب ، لأنه
متعاليا على الجميع !

ومن العجيب أن تكون هذه الفكرة لدى « بيتان » - وفي غمرة هزيمة فرنسا وتفككها - راجعة الى أن « ديغول » نشر ، قبل ذلك باثني عشر عاما ، كتابا عن الجيش ، سمح له « بيتان » (كرئيس لأركان الحرب) بنشره ، على أن تكون كلمة الاهداء - في مقدمة الكتاب - لبيتان . . ولكن ديغول أهمل توجيه الاهداء الى القائد « الأسطوري » !

((فيجان)) يتوقع دخول الألمان باريس في ٢٤ ساعة !

٥ **وقرر مجلس الوزراء - في ٩ يونيو ١٩٤٠ - مغادرة العاصمة في اليوم التالي ، والانتقال الى (تور) .** كان الألمان قد عبروا نهر (السين) في موقعين ، وأخذت القوات الفرنسية تتراجع أمامهم في غرب باريس وشمالها ، وتوقع « فيجان » أن يصلوا الى العاصمة في ظرف ٢٤ ساعة ، إذا علموا بمدى ضعف فرنسا . . وصاح القائد : « اننا ندفع ثمن عشرين عاما من الأكاذيب والنظريات السياسية ! » .

وكتب « بودوان » - في مذكراته - أن « فيجان » كان يرى ألا داعي لاراقة الدماء ، ما دامت فرنسا قد هزمت . . وأنه قال له في هذا الصدد : « لماذا نسوق فرنسا الى القتو ؟ . . وفي أي حالة من الانهيار الاجتماعي نسوقها ؟ » . واضطرب « فيجان » مع « ديغول » ، في الاجتماع الذي عقده مجلس الوزراء في ذلك اليوم (٩ يونيو) : إذ طلب « رينو » الى القائد العام اعداد منطقة للصمود في شبه جزيرة (بريتاني) ، فقال « فيجان » أن هذا مضيعة للوقت . . وسفه تأييد ديغول للفكرة ، ولكن ديغول ذكر - فيما بعد - أنه أيدها لأنها تيسر للحكومة ، حين تزداد الأحوال سوءا ، أن تعبر البحر الى شمال افريقيا ، ايمانا منه بأن فرنسا ما كانت تستطيع الصمود الا في مراكش أو الجزائر !

عشيقة رينو تدعو إلى الانسحاب !

● **وقضى الوزراء والقادة ليلة ١٠ - ١١ يونيو في سياراتهم ، وهي تقلهم ببطء بالغ ، وسط جحافل المهاجرين من باريس ، صوب الجنوب .. وفي النهار التالي ، تبعثروا في المساكن القائمة جنوب نهر (اللوار) ، من (بريار) شرقاً حتى (تور) غرباً .. وكانت المواصلات التليفونية قليلة ، وفي أسوأ حال .. واضطرت وزارة الخارجية إلى أن تعتمد على « راديو » متنقل كان مع السفير البريطاني - سفير « رونالد كامبل » - لمعرفة الأنباء الخارجية .. وكان الضجيج والفوضى يسودان المنزل الذي استقر فيه « رينو » فبع عشيقته ومساعديه .. حتى لقد قال الجنرال « سيرز » أن رأسه كان يلدور بمجرد التفكير في أن هذا البيت كان « قلب فرنسا ومركز العقل فيها .. المكان الذي تتخذ فيه القرارات » ! .. وذكر أن السفير أخبره بأن « مدام دي بورت » أطلبت عليه وعلى رئيس الوزراء - أثناء اجتماعهما هناك - ثلاث مرات أو أربع .. ثم أردف : « ولقد علمنا جميعاً أنها كانت تندفع إلى حجرة رئيس الوزراء ، بمجرد أن يغادرها واحد منها ، فتنهال عليه بالأسئلة عما دار في الاجتماع ، وباللوم ، قائلة : ما جدوى الاستمرار في الصمود ؟ » !**

خلافات .. على انقاص فرنسا المنهارة !

● **بعد فجر ١٤ يونيو بقليل ، دخلت قوات هتلر (باريس) .. وفي اليوم ذاته ، فسرت حكومة فرنسا إلى (بوزدو) .. وشعر رئيس الوزراء بأن « الأوامر أتت أخذت تنمو وتستفحل » .. وتبين ، خلال اليومين الأولين ، أن العسكريين كانوا يتجسسون على اتصالاته التليفونية .. وكان - وهو مهزق مكشود - يعتقد بأن الأسطول الفرنسي**

قادر على مواصلة الحرب من شمال إفريقيا ، (إذ كانت مراكش والجزائر وتونس لا تزال أجزاء من الامبراطورية الفرنسية) .

وفي الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر ١٥ يونيو ، وصل « فيجان » الى بوردو ، وكان المارشال « بيتان » قد طلب الى « رينو » - في الصباح - عقد هدنة ، وعارض انتقال الحكومة الى شمال إفريقيا . . . ويتعليمات منه ، زاره « فيجان » قبل أن يقابل « رينو » . . .

وكان الخلاف بين رئيس الوزراء والرجلين على أشده ، برغم الموقف . . . وكانت الحكومة منقسمة على نفسها ، والهوة بينها وبين القيادة العليا في اتساع . . . وقال « رينو » للقائد العام ان عليه أن يطلب إيقاف إطلاق النار ، بشرط أن يختار موعدا كافيا لأن ينتقل أقصى عدد ممكن من القوات - مع الحكومة - الى شمال إفريقيا . . .

واجاب فيجان في غضب : « لن تبرح الحكومة فرنسا ! » . . . اما عن طلب الهدنة ، فقال مهتاجا : « ان أجلب مثل هذا العار على الجيش الفرنسي ما حيت ! » . . . وبدأ واضحا أنه كان يهدف الى أن تتحمل الحكومة - لا الجيش - عار الاستسلام ! . . . وكان هو و « بيتان » يؤمنان بأن الحلفاء - وليست فرنسا وحدها - قد خسروا الحرب ، وأن على فرنسا أن تخرج من الحرب فورا .

واقترح « كامى شوتان » - وكان نائبا لرئيس الوزراء مثل « بيتان » ، وقد قضى عدة أسابيع في التقرب الى العسكرى المعجوز ، وراء ظهر رينو - ألا تطلب فرنسا الهدنة ، بل أن تسأل ألمانيا عن الشروط التي تطلبها للهدنة . . . وشعر « رينو » بأن أغلبية الوزراء يحبذون هذا الاقتراح ، فأخطر رئيس الجمهورية - الذي حضر اجتماع مجلس الوزراء - بأنه مستقيل . . . وهتف « لوبران » في فورة عاطفية : « اذا

استقلت ، فأننى سأستقيل كذلك ! » . . وحاول « رينو » أن يثنيه ، ولكنه - فى قرارة نفسه - كان قد أيقن بفشل صراعه مع العسكريين !

مشروع الدولة البريطانية الفرنسية المتحدة !

● وفى ١٦ يونيو ، اتصل الجنرال ديغول - وكان قد ذهب الى لندن - برئيس الوزراء « رينو » ، ليبلغه عرضا خطيرا وعاجلا من الحكومة البريطانية ، . . وكان العرض يتمثل فى اذاعة بيان بقيام « اتحاد » بين بريطانيا وفرنسا ، هذا نصه :
 ((فى هذه اللحظة التى تمثل أخرج لحظات تاريخ العالم الحديث ، تعلن حكومتنا المملكة المتحدة والجمهورية الفرنسية اتحادا لا تنقسم عراه ، وتصميمها لا يتين ، على المضي فى دفاعهما المشترك عن العدالة والحرية . . وتعلن الحكومتان أن فرنسا وبريطانيا العظمى لن تعودا دولتين ، وانما تصبحان دولة واحدة ، هى الاتحاد الفرنسى البريطانى . . وسيتمتع كل مواطن فرنسى فورا بالتبعية البريطانية ، وسيصبح كل متمتع بالرقعية البريطانية مواطنا فرنسيا)) .

وكان معنى ذلك أن تصبح هناك « وزارة حرب » واحدة ، تدير الحرب ، وتمارس الحكم من أى مكان يتيسر لها . . وصاح رينو : « اننى أبذل حياتى دفاعا عن هذه المقترحات » . فأسلم ديغول مسماع التليفون الى تشرشل ، ليتفقا على اللقاء فى (بريتانى) - فى اليوم التالى - ليعلنا قيام الاتحاد . وطار ديغول لفوره الى « بور دو » حاملا نسخة من البيان . ولم يكن المشروع من ابتكار تشرشل ، بل كان قد سمعه فى اليوم السابق أثناء نقاش بين « لورد هاليفاكس » - وزير الخارجية البريطانى - وزميله الفرنسى « جان مونييه » ، وبعض دبلوماسيين من الطرفين . وقد تلقاه « ديغول » موجسا من استحالة اعلان الاتحاد فى وقت مناسب . . ومع

ذلك ، فقد اعتبر اعلان التضامن - في حد ذاته - « عملا ذا قيمة كبرى » .

وفي (بوردو) ، تحسول مكتب « رينو » الى مسرح انفعال شديد . . . وحمل الجنرال « سبيرز » ترجمة أعدها للبيان ، الى حجرة السكرتارية لنسخها ، واذا به يجد مدام ((دي بورت)) ، التي وقفت خائفه تقرأ كل كلمة يوقعها السكرتير على الآلة الكاتبة . . . وكان من العسير التكهّن بها اذا كانت ، وقتئذ ، واقعة تحت تأثير الدهشة ، أو الغضب ، ولكن التعبيرين تجليا معا في مسالكها !

وعندما اجتمع مجلس الوزراء الفرنسي - في الخامسة من بعد ظهر ذلك اليوم - ليقرر : هل تطلب الحكومة شروط الهدنة ، أو تنتقل الى شمال افريقيا لتواصل الحرب ، قرأ « رينو » البيان ببطء ، ضاعطا على أهم الكلمات ، وأردفه بنياً للقاء المتفق عليه في (بريتاني) .

في ساعة يأس ، أسلم رينو فرنسا الى بيتان !

● **ويروي « رينو »** أنه بهت ، عندما قوبل البيان بصمت تام . . . ثم تكلم أحد الوزراء ليرفض - في ابراء - فكرة الاتحاد . . . وأعقبه آخر باتهام بريطانيا بالرغبة في جعل فرنسا « من ممتلكات التاج » . . . وكانت تعليقات الوزراء أكبر صدمة تلقاها « رينو » في حياته . وفي تلك الاثناء ، وردت رسالة من الجنرال « جورج » بأن الجنود كانوا يتراجعون في فوضى وارتباك ، وقد طوق العدو فريقا منهم ، فتحول الوزراء عن مناقشة مشروع الاتحاد ، ليدرسوا موضوع الهدنة !

ومن التصريحات التي أدلى بها الوزراء - فيما بعد - لا يخالجنّا الشك في أن الأغلبية كانت ضد الهدنة ، ولكن « رينو » لم يفتن قط الى أن يطلب احصاء الأصوات . . . وقد زعم - بعد الحرب - أن أنصار رفض الهدنة كانوا أقلية

جوله ، ثم حاول أن يلتمس عذرا لاغفاله أخذ الأصوات ، قائلا ان الوزارة كانت منقسمة على نفسها ، وان هذا الانقسام كان يشل أى تصرف فى موقف حيوى كهذا ! . . وقال « لوبران » - فى محاكمة « بيتان » ، بعد الحرب - أن « رينو » أنبأه ، بعد الاجتماع ، بأن أنصاره أصبحوا أقلية ، ولكنه (أى لوبران) طلب اليه الاستمرار فى الحكم . . غير أن « رينو » كان منهوك القوى ، فقال لرئيس الجمهورية : « إذا شئت تنفيذ هذه السياسة (الهدنة) ، فاذهب وكلف المارشال بيتان بها » ! . . وما فطن الى أن هذه الكلمات كان مقبرا لها أن تشوه كل مستقبله ، إذ أعطت خصومه الحجة فى أن يقولوا ان « رينو » هو الذى نصح رئيس الجمهورية بأن يعهد بالحكم الى « بيتان » ، برغم ادراكه أن « بيتان » سيبادر الى طلب الهدنة !

وقد كتب « رينو » - فى ١٢ مايو ١٩٤١ - رسالة الى « بيتان » ، من السجن الذى ألقاه فيه المارشال ، جاء فيها : « منذ عام ، تحملت مسئولية الاشارة على رئيس الجمهورية بتعيينك خلفا لى . . ولست أنكر المسئولية . . ولكنى أسأل فرنسا أن تغفر لى !

فى ساعة واحدة . . تألفت حكومة « بيتان » !
 ● اجتمع الوزراء خارج مكتب « لوبران » ، فى الساعة العاشرة مساء ، ليتخذوا القرار الأخير - فى موضوع الهدنة - وهم موقنون بأن الأغلبية تناصر رأى « رينو » . . ولكن « رينو » فاجأهم بأن « بيتان » منهمك فى تشكيل وزارة جديدة ، ثم انصرف . . وثار أنصاره لكرامتهم ، إذ رأوا فى رفعه استقالة الحكومة كلها - دون استشارة أعضائها - تصرفا خطيرا ، فى موقف تاريخى شديد الحرج .
 ولكم كانت دهشة رئيس الجمهورية ، عندما كلف

بيتان بتشكيل الوزارة - في الساعة العاشرة مساء - فاذا به يوافيه بأسماء وزرائه في الحادية عشرة . . وهو الذي لم يكن على معرفة بعدد كبير من السياسيين ، مما أوحى بأن ((التشكيل كان جاهزا في جيبه منذ فترة)) . . أو - في رأي عدد آخر من السياسيين - كان هناك من راح يدفع المارشال للحكم ، وقد أعد له قائمة الوزراء !

ولقد ذهب الجنرال سبيرز - بعد هذه التطورات - إلى منزل « رينو » فلم يجده ، ولكنه صادف الجنرال ديجول ، مستندا إلى أحد أعمدة بهو المنزل . . وكان « ديجول » قد اتخذ قراره - منذ الصباح - في حالة ما إذا طلبت حكومته الهدنة ، فهمس لسبيرز برغبته في العودة إلى إنجلترا ، وبخشيته أن يمنعه « فيجان » ويعتقله . . وعلى هذا ، اتفقا على اللقاء في مقر الدبلوماسيين البريطانيين ، في ساعة متأخرة من الليل . وهناك ، أكد « ديجول » تصميمه على الرحيل ، لينظم حركة مقاومة ضد حكومة « بيتان » . .

((لافال)) يسعى لتقاضي ثمن تأييده للمارشال !

● واتصل سبيرز بتشرشل ، فوافق على احضار « ديجول » ، إذ أنه كان كل من يستطيع البريطانيون أن يعولوا عليه من الفرنسيين ، بالرغم من أنه لم يكن مشهورا لدى الرأي العام الفرنسي . . واتفق على أن يذهب إلى السفارة البريطانية - في الساعة من صباح اليوم التالي - فتقله سيارة السفارة إلى المطار ، وتسلمه إلى طائرة بريطانية . . وعندما ذهب « ديجول » مع « سبيرز » - في الصباح التالي (الاثنين) - إلى المطار ، كان عليه أن يتظاهر بأنه جاء لوداع صديقه البريطاني ، فيصعد معه إلى الطائرة . . وفي اللحظة الأخيرة ، قال الطيار أن أمتعة ديجول تضمنت قطعاً صغيرة كثيرة ، لا بد من تثبيتها بالحبال في أماكنها . . وبينما

كان البحث يجرى عن حبسال ، وصل اثنان من « ياوران » رئاسة الوزراء ، يسالان عن وجهة « ديجول » ، فقليل لهما انه كان موفدا الى انجلترا في مهمة .. وما ان اقتنع الرجلان وانصرفا ، حتى بادرت الطائرة الى الاقلاع .. وقال تشرشل - فيما بعد - « ان ديجول كان يحمل معه في هذه الطائرة الصغيرة ، شرف فرنسا ! »

وبينما كان « ديجول » فى الجو ، كان « بير لافال » قد بدأ يحقق على « بيتان » . فلقد ظن أن المارشال سيذكر - عند تأليفه حكومته - أنه مدين بالكثير للجهود التى ظل « لافال » يبذلها طويلا ، لتحقيق هذه الغاية .. ولكنه حين ذهب لمقابلته - فى الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم الأحد - وجد أن « بيتان » عينه وزيرا للعدل ، وكان يطمع فى وزارة الخارجية .. وكان « بيتان » قد عين « بودوان » للخارجية ، فلما حاول ارضاء « لافال » ، نبهه « فيجان » الى أن هذا قد يعتبر إثارة منه لبريطانيا ضد حكمه .. ولم يشترك « لافال » فى الحكومة ، لتمسكه بمطلبه !

الكولونيل « المخال الى الاستيلاء » يبدأ الجهاد

● وفى الساعة السادسة من مساء يوم ١٨ يونيو ، جلس الجنرال ديجول فى « استوديو » بالاذاعة البريطانية - لا يصحبه سوى مذيع بريطانى - ليوجه أول أحاديثه الى مواطنيه : « ان القادة الذين كانوا على رأس الجيوش الفرنسية سنوات عديدة ، قد ألغوا حكومة . وهذه الحكومة قد اتصلت بالعدو - تسليما منها بهزيمة جيوشنا - لتنتهى القتال .. ولكن ، هل انتهى الأمر ؟ هل تبدد الأمل ؟ هل الهزيمة نهائية ؟ كلا ! .. لأن فرنسا ليست وحيدة ... »

وكان - كما ذكر فيما بعد - يشعر بأنه ، وهو فى التاسعة والأربعين من عمره ، قد أنهى الحياة التى عاشها فى

أطار « فرنسا متينة صلبة » وجيش لا يتفكك » . . . ليغوص في مفامرة تقطعت به فيها كل روابط كانت تربطه بالماضي ، وأخذت رياح القدر تتدافعه ! . . . وبدأ أن كلماته في غمرة الهزيمة - تنبعث في فراغ . . . ولعل هذا كان شعور الإذاعة البريطانية - لغرب العجب ! - فلم تتخذ التدابير للاحتفاظ بتسجيل لها ! . . . ولم تولها صحيفة « (التايمز) » اللندنية سوى سطور قليلة ، ولا تقدمت أية شخصية سياسية أو عسكرية للوقوف بجانبه في هذا التحدي . . . بل أن الذين سمعوها من الفرنسيين ، كانوا قلة ضئيلة لا سيما أن الكهرباء كانت مقطوعة في كثير من المدن ، فكانت أجهزة « (الراديو) » معطلة . . . وشعر « (ديجول) » أنه وحيد ، ولكن رسالته كانت تبدو له بجلاء ! . . .

أما حكومة (بوردو) ، فقد أصدرت بياناً بأن « ديجول » لا يملك ما يؤهله لأن يوجه تصريحات إلى الرأي العام « لأنه لم يعد عضواً في الحكومة » . . . ودعت الحكومة للعودة ، فكتب - بعد يومين - إلى « فيجان » يؤكد استعداده للعودة إذا عدلت الحكومة عن توقيع الهدنة ، ويتوسل إليه أن يتجنب النكبة ، وأن ينتقل والحكومة إلى أجزاء فرنسا - وراء البحار - لمواصلة النضال . ولكن الرسالة أعيثت إلى ديجول - فيما بعد - وعليها هذه الكلمات : « إذا أراد الكولونيل المحال للاستيداع « ديجول » أن يتصل بالجنرال فيجان ، فعليه أن يفعل ذلك بالطرق النظامية » !

في اللحظة الأخيرة . . . أرجأ « (لويران) » سفره !

● وفي نفس اليوم - ١٨ يونيو - اتصل « بيتان » بالسفير الأسباني ، ليتحرى عن موقف الألمان ، بينما كان بعض السياسيين - وفي مقدمتهم رئيساً مجلسي النواب والشيوخ - يضغطون على الحكومة لترحل إلى أفريقيا . . .

ولكن العنتكزي العجوز ظل يردد في أصرار : « لن أبرح فرنسا » ! . . . وعرض رئيسا البرلمان أن يبقى « بيتان » و « فيجان » . واثنان أو ثلاثة من الوزراء ، وينتقل الباقون إلى شمال إفريقيا . . . وبعد لأي ، قبل « بيتان » ، ووافق مجلس الوزراء في الصباح التالي - على ذلك . وتقرر أن يسافر « لوبران » ورئيسا البرلمان - هريو وجانيشي - والوزراء من ميناء (بورت فاندر) ، بينما يبحر أعضاء البرلمان من (بوردو) مباشرة .

ولكن « لوبران » وزملاءه غفلوا عن تأمر « لافال » ، ومقدرة المارشال العجوز على الصمود ، ودسائس السياسيين الدعوريين الذين كانوا يعارضون اتخاذ (الجزائر) مقرا للحكومة ، لأن هذا كان معناه استمرار الحرب !

ومن ثم ، فبينما كانت العدة تتخذ للرحيل ، فوجيء رئيس الجمهورية وزملاؤه بحديث يذاع للمارشال بيتان - في ظهر يوم ٢٠ يونيو - مبررا طلبه للهدنة ، مؤكدا أنه كرئيس للحكومة ، باق في فرنسا . . . وبينما كانت سيارة « لوبران » تتجه إلى الباب الخارجي لمقره - في الساعة الثانية بعد الظهر - فوجيء بنبا تليفوني بأن « بيتان » دعا إلى اجتماع خاص لمجلس الوزراء ، فقرر الرئيس البقاء . . .

سكرتير مجلس الوزراء يكذب مرتين !

● وكان النبا خدعة قام بها « رافائيل اليبير » ، سكرتير مجلس الوزراء - وكان رجلا ملتويا ومن أشد المتحمسين للملكية - لسف مشروع الرحيل . . . فقد أبلغ « بيتان » معلومات كاذبة ، مؤداها أن القوات الفرنسية استطاعت أن توقف الألمان عن عبور نهر (اللوار) ، ومن ثم فلا داعي لسفر رئيس الجمهورية والوزراء ، ووافق « بيتان » . . . أما « ليبران » فأكد أنه برغم ذلك يعتزم الرحيل مع الآخرين !

ولقد اعترف ((اليبير)) - بعد عامين - بأن هذه كانت ((الاكثوبة الأولى)) . . وكانت ((الاكثوبة الثانية)) أن أملي أمرا - باسم رئيس الوزراء ، ودون علمه - إلى كل وزير بأن يلزم بيته حتى الساعة الثامنة من الصباح التالي ، وختم الأوامر بخاتم رئيس الوزراء ، وزور عليها توقيعها . . وجازت الخدعة ، حتى على الجنرال ((فيجان)) !
وهكذا انتهى آخر أمل لرئيس الجمهورية والآخرين في نقل الحكومة إلى شمال أفريقيا !

ادوار هريو يفتح باب الاستسلام !

● ولكم بهت « ادوار هريو » - رئيس مجلس الشيوخ - عندما أبلغ في منتصف ليل ١٧ - ١٨ يونيو ، أن الألمان كانوا يزحفون على مدينته (ليون) ، وأن قوة فرنسية قوامها ٣٠٠٠ رجل - معظمهم من الزنوج - كانت معتزمة الدفاع عن المدينة ونسف الجسور . . وأن المدينة كلها قد تدمر خلال القتال ! وأسرع « هريو » إلى إيقاف « بيتان » ، مطالباً إياه بانقاذ مدينته من الخراب . . ومع دهشة المارشال - الذي كان لا يزال تحت تأثير النوم ! - من هذا الطلب الصادر من أشد المعارضين للهدنة ، فقد بادر بإصدار أوامره بإعلان ليون « مدينة مفتوحة » . . وما أن علم رؤساء المدن الأخرى بذلك ، حتى أنهالت الطلبات بإعلان مدنها مفتوحة هي الأخرى ، وبالتالي . . بإصدار الأوامر للقوات الفرنسية بعدم إثارة أي عمل من أعمال الدفاع . . فوافقت الحكومة ، عن طيب خاطر ! وأعقب ذلك ، صدور أمر من الجنرال كولسون ، وزير الدفاع الجديد ، بتحريم انسحاب السلطات المدنية والعسكرية من المدن ، في حالة وصول العدو إليها ! . . وكان معنى هذا : ((التسليم)) للألمان ((بمجرد وصولهم)) !
وأطيعت هذه الأوامر بسرعة وارتينساح في كثير من

الأماكن .. حتى أن قائد إحدى الفصائل استسلم لوحدة من الألمان - قبل وصولها إلى موقعه - بمجرد أمر تليفوني !

((لافال)) ينشط لهدم الجمهورية .. وتحقيق أطماعه !

● ابتلع « لافال » كبريائه وغضبه ، وسعى إلى الحكومة - يوم ٢٣ يونيو - طالباً أي منصب وزاري ، فعينه « بيتان » وزير دولة ، ثم حذر وزير الخارجية من أن يسمح له بالتدخل في الشؤون الخارجية ! .. ولقد بهت « بودوان » لهذا التعيين ، ولكن المارشال قال أن وجود « لافال » في الحكومة ، خير من تركه خارجها يحيك المؤامرات الخطرة !

وفي ٣٠ يونيو ، عقد المارشال اجتماعاً حضره « لافال » و « أليبير » و « بودوان » .. وكان من رأى الأخير أن يأمر رئيس الحكومة بتأجيل البرلمان ستة أشهر ، ولكن « لافال » و « أليبير » عارضاً هذا الإجراء ، بحجة أن فرنسا المهزومة كانت في حاجة إلى جهاز دولة يستطيع التفاوض مع الألمان ، وأن الضرورة تدعو إلى عقد البرلمان بمجلسيه فوراً ، وحثه على أن يفوض رئيس الوزراء ويمنحه السلطة الكاملة لوضع دستور جديد لنظام حكم جديد !

واعتبر « بودوان » أن مثل هذا الإجراء سيعتبر - في رأى أغلبية البرلمانيين - أمراً بالانتحار .. ولكن المارشال كان ضعيفاً في السياسة ، لا يستقر على رأى .. وقد حاول الإفلات من الحاح « لافال » ، فتعلل بأن الأمر من اختصاص رئيس الجمهورية .. ولكن « لافال » لم ينثن ، بل قال : « سأحصل فوراً على موافقة لبران التامة » ! .. وانطلق لفوره ، ثم عاد بعد ساعة ، يفخر بأنه قوض كل معارضة لرئيس الجمهورية ، وحصل على موافقته على تعديل الدستور !

ثم شرع لافال في هدم « الجمهورية الثالثة » .. وكم

كانت دهشته ، حين أيده الاشتراكيون ، الذين كانوا آخر من يقر الديكتاتورية الفاشية ! . . بل إن كثيرا من أقطابهم ، دعوا إلى الالتفاف حول « بيتان » ، و دخل الأحزاب السياسية . . وإن راحوا يتساءلون في أنفسهم : إذا أصبح المارشال ديكتاتورا ، فمن خلفه إذا أصابه حادث ؟ . . وكان جواب « لافال » بسيطا : « إن المارشال سيعين اسم خليفته بنفسه » !

والواقع أن « لافال » كان يسعى لأن يعينه « بيتان » خليفة له . . كانت خطته ترمى إلى التخلص من الجمهورية البرلمانية وإقامة « بيتان » ديكتاتورا . . ثم السعى إلى اقناع المارشال بأن يختاره خليفة له . وراح يعمل جاهدا لاقناع أعضاء البرلمان بأن يقرروا بأنفسهم نهاية الجمهورية !

... وماتت الجمهورية الفرنسية الثالثة !

● وبينما كان « رينو » وعشيقتة الكونتة « دي بورت » في سيارتهما - يوم ٢٨ يونيو - تعرضت السيارة لحادث ، ولقيت الكونتة مصرعها . . وفي ٢٩ يوليو ، رحل « رينو » - بزعم أوامر الأطباء الذين كانوا يعالجونه في (قيشي) ، لا لينقل الجمهورية من تدابير « لافال » ، كما ظن الكثيرون ، وإنما ليندفع عن اثنين من « ياورانه » ، اعتقلا في مدريد ومعهما مبالغ ضخمة من أموال « المصاريف السرية » - التي كانت تحت تصرفه وهو رئيس للوزراء - وحلى ومجوهرات عشيقته . . وكنا نحاول أن تهريب كل هذه الثروة ، بتعليمات منه !

وما إن أتم مهمته هذه بنجاح ، حتى تذكر أوامر الأطباء ، فلم يشأ حضور اجتماعات البرلمان ، وغادر (قيشي) ، لا يحمل ضغينة ما لبيتان !

ولقد اجتمع مجلسا البرلمان - بعد ظهر يوم ١٠ يوليو - في هيئة جمعية عامة ، وبدأ الأعضاء يشعرون بخطورة المهمة ،

ولكن أنصار لا قال راحوا يصيحون : « صوتوا ! » . . وحاول « جانينى » توجيههم الى مراعاة الاجراءات البرلمانية ، وسماع آراء الذين طلبوا الكلام قبل التصويت ، حتى يتيح فرصة للمعارضة . . ولكن الصيحات ظلت تنادى : « التصويت ! »

وضاعت كل الأساليب ، والمناورات ، والتكتيكات البرلمانية . . وبدأ التصويت ، وقد أصبح كل امرئ على دراية بأن المطلوب هو النطق بحكم الاعداد على الجمهورية . . ومع ذلك ، فان عدد المعارضين لم يتجاوز ٨٠ ، والذين امتنعوا عن التصويت ١٧ ، بينما كان المؤيدون ٥٦٩ !

وماتت الجمهورية الفرنسية الثالثة . . او - على الأصح

- انتحرت !

وكما أعلن مولدها بعد هزيمة - اذ أعلنت في ٤ سبتمبر ١٨٧٠ ، عقب هزيمة منكرة أوقعها الألمان (البروسيون) بالفرنسيين - فانها لفظت آخر أنفاسها عقب هزيمة منكرة أخرى ، أوقعها بفرنسا أبناء البروسيين وأحفادهم ، بعد ٧٠ عاماً !

وماتت الجمهورية الثالثة ، وبقي أن توارى التراب . . ودفنت في عجلة بالغة ، وكأما كان أقزام (فيشى) يخشون أن تترد اليها الحياة !

وبدا « فيليب بيتان » - بتحريض من « لا قال » و « فيجان » وأنصارهما - يستخدم الأسلوب الملكى القديم : « نحن فيليب بيتان ، مارشال فرنسا ، اذ أتولى وظائف الدولة الفرنسية ، أمر بما هو آت . . . »

وهكذا أصدر مرسوم انتهاء الدستور الجمهورى ، وتولى السلطة المطلقة « لسن القوانين وضمان تنفيذها » . .

وبعد أن أصدر مرسوما بتعيين « لافال » خليفة له (١) ، لم يبق سوى أضعف — ولكن أعند — النقاط في مخطط « لافال » : التخلص من رئيس الجمهورية « لبران » !

وفي ١٣ يوليو ، ذهب إليه « بيتان » (٢) ، ليقول له : « لقد حانت اللحظة الأليمة يا سيدي الرئيس . لقد أحسنت خدمة الدولة ، ولكن الجمعية القومية قررت موقفا جديدا . ولن أكون خليفتك ، لأن نظاما جديدا للحكم يبدأ اليوم » .

وكان جواب لبران : « لا تتعب نفسك . لقد ظلت طيلة حياتي الخادم الأمين للقانون ، حتى ولو لم يحظ بتأييدى الأدبى . ولن يزعجنى أن أطيعه مرة أخرى . لقد تكلمت الجمعية القومية ، وعلى جميع الفرنسيين أن يطيعوا » .

ونزل « لبران » . . وراحت الجمهورية الثالثة أدراج التاريخ .

(١) وقد تولى لافال رئاسة الوزارة بالفعل في إبريل ١٩٤٢ فتعاون مع الألمان إلى الحد الذى انتهى بالخلفاء إلى محاكمته عقب تحرير فرنسا ، وتنفيذ الحكم بأعدامه في عام ١٩٤٥ (عن ٦٢ عاما) . وقد بدأ لافال حياته كمحام ، ثم دخل الحياة السياسية حتى انتخب عضوا بمجلس النواب (١٩١٤) ، وفي عام ١٩٢١ صار رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية . . ثم وزيرا للعمل (١٩٢٢) ، فوزيرا للمستعمرات (١٩٢٤) ، فوزيرا للخارجية (١٩٢٤ - ١٩٣٥) ، فرئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية (١٩٣٥ - ١٩٣٦) ، فنائب رئيس في حكومة فيشى (من يوليو إلى ديسمبر ١٩٤٠) ، وأخيرا رئيسا للوزارة حتى حوكم وأعدم .

(٢) استمر بيتان رئيسا للدولة حتى ١٩٤٤ فلما حرر الحلفاء فرنسا هرب إلى سويسرا ، لكنه عاد فسلم نفسه في إبريل ١٩٤٥ حين طلب للمحاكمة . وفي أغسطس ١٩٤٥ أدين بالتعاون مع الألمان وحكم عليه بالأعدام ، لكن ديجول خفف الحكم إلى السجن المؤبد ، فقصي بيتان في السجن ٦ أعوام حتى مات عام ١٩٥١ عن ٩٥ عاما .

شركة الخطوط الجوية العالمية TWA تعلن عن أسهل طريق للوصول إلى أمريكا

يُدفع الـ ١٠٪ مقدماً
والباقي يقتسط
على ٢٤ شهراً
رحلتان أسبوعياً

تليفون:

القاهرة ٥٩٧٦٠

الابكندرية ٢٦٣٢٨



TRANS. WORLD AIRLINES

محتويات الكتاب

صفحة

الموضوع

- سقوط فرنسا : أحدث كتاب للصحفي العالمي المعاصر
 ((وليم شيرر)) تلخيص : حلمي مراد ٥ و ١٢٩
 فتاة الجيش : الرواية اليابانية التي فاز مؤلفها
 ((باسوناري كاواباتا)) بجائزة نوبل : تلخيص
 مختار الجوهري ... ١٥
 مأساة مايرلنج : أشهر قصص الحب والسياسة في
 تاريخ أوروبا الحديث ، للكاتب الفرنسي المعاصر
 ((لويس سوريل)) تلخيص : إبراهيم سوريال ٦٧
 صراع الحب والواجب : من قصص المقاومة في حرب
 الاستقلال الإيطالية ، بقلم إبراهيم المصري ... ٩٧
 الحياة الجنسية عند الأفريق : للباحث الاجتماعي الكبير
 ((فرانز ليشت)) تلخيص : محمد بدر الدين خليل ١٠٩

مجلة الصغار

شخصيات خالدة : ابن سينا - صادق أو لا تصدق -
 حمام أمير أسبوي يكلف نصف مليون دولار ! - عصر الحديد
 بدأ في مصر ! - أعلى صوت على سطح الأرض - جاليليو -
 الأفعى التي تبصق سماً ! - هل سألت نفسك ؟ (اختبار
 لمعوماتك) - يقود ثورة ضد نفسه - أبشع جزاء في التاريخ -
 ابتنا الشمس (قصة للصغار) .. الخ .



أخصائون
 في المطبوعات
 المعاجلة

الشعب
 مؤسسة صحفية عربية

تصدر
 عن

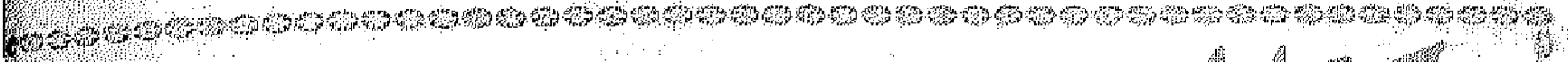
كتاب

الإدارة : ٩٤ شارع قصر العيني بالقاهرة - ت ٢١٨١٠ • مكتبة دار الشعب - ت ٢٩٩٩١

رئيس مجلس الإدارة
 السيد إبراهيم

الناشر : كمال السيد ت ٢١٨١٠-٢١٨١٩
 دور النشر : القاهرة ٤٤٤٨١

التوزيع : مكتبة دار الشعب



كتابي

ومطبخي

يعد كتابي للشباب من الشهرة
 القومية والشاوية واليهودية
 في الأندلس والجزيرة العربية
 و الأندلس والجزيرة العربية

مكنبة الشباب

وتنوع عنها هذا السلاسل:
 ١- التراث العالمي للشباب
 ٢- التراث العربي للشباب
 ٣- قصص حياة الخالدون
 ٤- لكل سؤال جواب



ألف قصة وقصة من أدب العالم

تسجل شامل لأعلام ألف قصة قصص
 من أدب جميع البلاد في جميع العصور

مكتبة أدب السينما

قصص أشهر الأفلام العالمية
 القديمة والحديثة، مترجمة بالصورة

القصص الشعبي

أنتظروا قولكم
 ما تفتي ببلاد العالم

مكتبة القصص العلي

ترتاد بك عالم الغد
 كما تأهب له البشرية

مكتبة حركة القيد

أنتظروا قولكم
 ما تفتي ببلاد العالم

مكتبة الحياة الخاصة

لعباقة الإنسانية

مكتبة القصص الواقعي

اعترافات برونها أصحها
 وتجارب برونها أكرمها العسى

الرسائل والأعمال

للكاتب المكنون والظاهر

مكتبة المرأة

كل ما يهم المرأة أن تعرفه عن نفسها
 وكل ما يهمها أن تعرفه عن عالمها
 منذ فجر التاريخ حتى اليوم